

ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربعمائة

ذكر القبض على عميد الملك وقتله

في هذه السنة قبض ألب أرسلان على الوزير عميد الملك أبي نصر منصور بن محمد الكندري وزير طغرل بك . وسبب ذلك أن عميد الملك قصد خدمة نظام الملك وزير ألب أرسلان وقدم بين يديه خمسمائة دينار واعتذر وانصرف من عنده ، فسار أكثر الناس معه فخوف السلطان من غائلة ذلك فقبض عليه وأنفذه إلى مرو الروذ وأتى عليه سنة في الاعتقال ثم نفذ إليه غلامين فدخلا عليه وهو محموم فقالا له تب مما أنت عليه ففعل ودخل فودع أهله وخرج إلى مسجد هناك فصلى ركعتين وأراد الغلامان خنقه ، فقال : لست بلص ، وخرق خرقة من طرف كفه وعصب عينيه فضربوه بالسيف ، وكان قتله في ذي الحجة ولف في قميص دقيقي من ملابس الخليفة وخرقة كانت البردة التي عند الخلفاء فيها وحملت جثته إلى كندر فدفن عند أبيه وكان عمره يوم قتل نيفاً وأربعين سنة ، وكان سبب اتصاله بالسلطان طغرل بك أن السلطان لما ورد نيسابور طلب رجلاً في يكتب له ويكون فصيحاً بالعربية فدل عليه الموفق والد أبي سهل وأعطاه السعادة ، وكان فاضلاً وانتشر من شعره ما قاله في غلام تركي صغير السن كان واقفاً على رأسه يقطع بالسكين قصة فقال عميد الملك فيه :

٦٠٠. أنا مشغول بحبه وهو مشغول بلعبه لو أراد الله خيراً

لمحبه

وصلاحاً

لـ نقلت رقة خديه إلى قسوة قلبه صانه الله فما أكثر إعجابي
بعجبه

ومن شعره :
٦ إن كان بالناس ضيق من مناقشتي فالموت قد وسع الدنيا على
الناس
لـ مضيت والشامت المغبون يتبعني فكل لكأس المنايا شارب
حاسي

وقال أبو الحسن الباخري يخاطب ألب أرسلان عند قتل
الْكَندري :

٦٠ وعملك أدناه وأعلى محله وبؤاه من ملكه كنفاً رجباً
٦١ قضي كل مولى منكما حق عبده فخوله الدنيا وخولته
العقبى

وكان عميد الملك خصياً قد خصاه طغرل بك لأنه أرسله يخطب
عليه امرأة ليتزوجها ، فتزوجها هو وعصى عليه فظفر به وخصاه
وأقره على خدمته ، وقيل ، بل أعداؤه أشاعوا عنه أنه تزوجها
فخصى نفسه ليخلص من سياسة السلطنة فقال فيه علي بن
الحسن الباخري :

٦٢ قالوا محا السلطان منه تعزة سمة الفحول وكان قرماً
هائلاً

٦٣ قلت اسكتوا فالآن زاد فحولة لما اعتدى عن أنثيه
عاطلاً

٦٤ فالفحل يأنف أن يسمى بعضه أنشى لذلك جذه مستاصلاً
يعني بالأنشى واحدة الانثيين .

وكان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقعة في الشافعي
رضي الله تعالى عنه ، بلغ من تعصبه أنه خاطب السلطان في لعن
الرافضة على منابر خراسان فأذن في ذلك فأمر بلعنهم وأضاف
إليهم الأشعرية فأنف من ذلك أئمة خراسان منهم الإمام أبو
القاسم القشيري والإمام أبو المعالي الجويني وغيرهما ، ففارقوا
خراسان وأقام أمام الحرميين بمكة أربع سنين إلى أن انقضت

دولته يدرس ويفتي فلهذا لقب إمام الحرمين ، فلما جاءت الدولة النظامية أحضر من انتزح منهم وأكرمهم وأحسن إليهم وقيل إنه تاب من الواقعة في الشافعي فإن صح فقد أفلح وإلاّ (فعلى نفسها براقش تجني) ، ومن العجب أن ذكره دفن بخوارزم لما خصي ودمه مسفوح بمرور جسده مدفون بكندر ورأسه ما عدا قحفه مدفون بنيسابور ، ونقل قحفه إلى كرمان لأن نظام الملك كان هناك فاعتبروا يا أولي الأبصار ولما قرب للقتل قال للقاصد إليه قل لنظام الملك بئسما عودت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر قليلاً وقع فيه ولم يخلف عميد الملك غير بنت .

ذكر ملك ألب أرسلان ختلان وهراة وصغانيا

لما توفي طغرلبيك وملك ألب أرسلان عصى عليه أمير ختلان

بقلعته

ومنع

الخراج ، فقصده السلطان فرأى الحصن منيعاً على شاهق فأقام عليه وقاتله فلم يصل منه إلى مراده ففي بعض الأيام باشر ألب أرسلان القتال بنفسه وترجل وصعد في الجبل فتبعه الخلق وتقدموا عليه في الموقف ، وألحوا في الزحف والقتال وكان صاحب القلعة على شرافة من سورها يحرض الناس على القتال فاتته نشابة من العسكر فقتلته وتسلم ألب أرسلان القلعة وصارت في جملة ممالكه وكان عمه فخر الملك بيغو بن ميكائيل في هراة ، فعصى أيضاً عليه وطمع في الملك لنفسه فسار إليه ألب أرسلان في العساكر العظيمة فحصره وضيق عليه وأدام القتال ليلاً ونهاراً فتسلم المدينة وخرج عمه إليه فأبقى عليه وأكرمه وأحسن صحبته وسار من هناك إلى صغانيان وأميرها اسمه موسى ، وكان قد عصى عليه ، فلما قاربه ألب أرسلان صعد موسى إلى قلعة على رأس جبل شاهق ومعه من الرجال الكماة جماعة كثيرة فوصل السلطان إليه وباشر الحرب لوقته ، فلم ينتصف النهار حتى صعد العسكر الجبل وملكوا القلعة قهراً وأخذ موسى أسيراً فأمر بقتله فبذل في نفسه أموالاً كثيرة فقال السلطان ليس رزا أوان تجارة ، واستولى على تلك الولاية بأسرها وعاد إلى مرو ثم منها إلى نيسابور.

ذكر عود ابنة الخليفة إلى بغداد والخطبة للسلطان ألب أرسلان ببغداد

في هذه السنة أمر السلطان ألب أرسلان السيدة ابنة الخليفة بالعود إلى بغداد ، وأعلمها أنه لم يقبض على عميد الملك إلا لما اعتمده من نقلها من بغداد إلى الري بغير رضا الخليفة ، وأمر الأمير إيتكين السليمانى بالمسير في خدمتها إلى بغداد والمقام بها شحنة وأنفذ أبا سهل محمد بن هبة الله المعروف بابن الموفق

للمسير في الصحبة وأمر بالمخاطبة في إقامة الخطبة له ، فمات في الطريق مجرداً وهذا أبو سهل من رؤساء أصحاب الشافعي بنيسابور ، وكان يحضر طعامه في رمضان كل ليلة أربعمئة متفقه ويصلهم ليلة العيد بكسوة ودنانير تغمهم ، فلما سمع بموته أرسل العميد أبا الفتح المظفر بن الحسين فمات أيضاً في الطريق فالزم السلطان رئيس العراقيين بالمسير فوصلوا بغداد منتصف ربيع الآخر وخرج عميد الدولة ابن الوزير فخر الدولة بن جهير لتلقيهم ، واقترح السلطان أن يخاطب بالولد المؤيد فأجيب إلى ذلك ولقب ضياء الدين عضد الدولة وجلس الخليفة جلوساً عاماً سابع جمادى الأولى وشافه الرسل بتقليد ألب أرسلان للسلطنة وسلمت الخلع بمشهد من الخلق وأرسل إليه من الديوان لأخذ البيعة

النقيب طراداً الزينبي فوصلوا وهو بَنَفْجُوان (١) من أذربيجان
فلبسَ الخلع وباع للخليفة .

ذكر الحرب بين ألب أرسلان وقتلمش

سمع ألب أرسلان أن شهاب الدولة قتلمش وهو من السلجوقية أيضاً وهو جد الملوك أصحاب قونية وقيصرية وأقصرا وملطية يومنا هذا قد عصى عليه وجمع جموعاً كثيرة ، وقصد الري ليستولي عليها فجهز ألب أرسلان جيشاً عظيماً ، وسيرهم على المفازة إلى الري ، فسبقوا قتلمش إليها وسار ألب أرسلان من نيسابور أول المحرم من هذه السنة ، فلما وصل إلى دامغان أرسل إلى قتلمش ينكر عليه فعله وينهاه عن ارتكاب هذه الحال ويأمره بتركها فإنه يرعى له القرابة والرحم ، فأجاب قتلمش جواب مغتر بمن معه من الجموع ، ونهب قرى الري وأجرى الماء على وادي الملح ، وهي سبخة فتعذر سلوكها فقال نظام الملك قد جعلت لك من خراسان جنداً ينصرونك ولا يخذلونك ، ويرمون ذلك بسهام لا تخطيء وهم العلماء والزهاد فقد جعلتهم بالإحسان إليهم من أعظم أعوانك وقرب السلطان من قتلمش فلبس نظام الملك السلاح وعبا الكتائب واصطف العسكران ، وكان قتلمش يعلم علم النجوم فوقف ونظر فرأى أن طالعه في ذلك اليوم قد قارنه نحوس لا يرى معها ظفر ، فقصد المحاذرة وجعل السبخة بينه وبين ملب أرسلان ليمتنع من اللقاء فسلك ألب أرسلان طريقاً في الماء وخاض غمرته وتبعه العسكر ، فطلع منه سالماً هو وعسكره فصاروا مع قتلمش واقتتلوا ، فلم يثبت عسكر قتلمش لعسكر السلطان وانهزموا لساعاتهم ومضى منهزماً إلى قلعة كردكوه وهي من جملة حصونه ومعاقله واستولى القتل والأسر

على عسكره فأراد السلطان قتل الأسرى فشفع فيهم نظام الملك فعفا عنهم وأطلقهم ، ولما سكن الغبار ونزل العسكر وجد قتلمش ميتا مُلقى على الأرض لا يدري كيف كان موته قيل : إنه مات من الخوف والله أعلم ، فبكى السلطان لموته وقعد لعزائه وعظم عليه فقده فسلاه نظام الملك ، ودخل ألب أرسلان إلى مدينة الري آخر المحرم من السنة، ومن العجب أن هذا قتلمش كان يعلم علم النجوم قد أتقنه مع أنه تركي ويعلم غيره من علوم للقوم ثم إن أولاده من بعده لم يزالوا يطلبون هذه العلوم الأولية ويقربون أهلها فنالهم بهذا غصاصة في دينهم وسيرد

(١) تَفْجَوَانِ : بالفتح ثم السكون وجيم وآخره نون : وهو بلد

من نواحي أران ، وهو نخجوان .

من أخبارهم ما يعلم منه ذلك وغيره من أحوالهم .

ذكر فتح ألب أرسلان مدينة آني وغيرها من بلاد النصرانية

ثم سار السلطان من الري أول ربيع الأول وسار إلى أذربيجان ، فوصل إلى مَرَنْد (١) عازماً على قتال الروم وغزوهم ، فلما كان بمَرَنْد أتاه أمير من أمراء التركمان كان يكثر غزو الروم اسمه طغديكين ومعه من عشيرته خلق كثير ، قد ألفوا الجهاد وعرفوا ، تلك البلاد وحته على قصد بلادهم وضمن له سلوك الطريق المستقيم إليها ، فسار معه فسلك بالعساكر في مضائق تلك الأرض ومخارمها فوصل إلى نقجوان فأمر بعمل السفن لعبور نهر رأس ، فقبل له : إن سكان حُوفِي وسَلَمَاس (٢) من أذربيجان لم يقوموا بواجب الطاعة وإنهم قد امتنعوا ببلادهم ، فستر إليهم عميد خراسان ودعاهم إلى الطاعة ، وتهدهم إن امتنعوا فأطاعوا وصاروا من جملة حزبه واجتمع عليه هناك من الملوك ، والعساكر مالا يحصى ، فلما فرغ من جمع العساكر والسفن سار إلى بلاد الكرج وجعل مكانه في عسكره ولده ملكشاه ونظام الملك وزيره ، فسار ملكشاه ونظام الملك إلى قلعة فيها جمع كثير من الروم ، فنزل أهلها منها ولَخطفوا هن العسكر وقتلوا منهم فئة كثيرة فنزل نظام الملك وملكشاه وقاتلوا من بالقلعة ، وزحفوا إليهم ، فقتل أمير القلعة وملكها المسلمون ، وساروا منها إلى قلعة سرماري وير قلعة فيها المياه الجارية والبساتين ، فقاتلوها وملكوها وأنزلوا منها أهلها ، وكان بالقرب منها قلعة أخرى ففتحها . ملكشاه وأراد تخريبها فنهاه نظام الملك عن ذلك وقال هي ثغر للمسلمين وشحنها . بالرجال والذخائر والأموال والسلاح ، وسلم هذه القلاع إلى أمير نقجوان وسار ملكشاه ونظام الملك إلى مدينة مريم

نشين وفيها كثير من الرهبان والقسيسين وملوك النصارى في وعامتهم يتقربون إلى أهل هذه البلدة وهي مدينة حصينة سورها من الأحجار الكبار . الصلبة المشدودة بالرصاص والحديد وعندها نهر كبير ، فاعد نظام الملك لقتالها ما لا يحتاج إليه من السفن وغيرها وقاتلها وواصل قتالها ليلاً ونهاراً وجعل العساكر عليها

(1) مرند: بفتح أوله وثانيه ونون ساكنة ودال: من مشاهير مدن أذربيجان بينها وبين تبريز يومان:

(2) خوفى: بلد مشهور من أعمال أذربيجان حصن كثير الخير والفواكه، ينسب اليها الثياب الخويّة.

وسلماس: بفتح أوله وثانيه وآخره سين أخرى: مدينة مشهورة بأذربيجان بينها وبين أرمية يومان، وبينها وبين تبريز ثلاثة أيام

يقاتلون بالنوبة فضجر الكفار وأخذهم الإعياء والكلال ، فوصل المسلمون إلى سورها ونصبوا عليه السلالم وصعدوا إلى أعلاه لأن المعاول كلت عن نقبه لقوة حجره ، فلما رأى أهلها المسلمين على السور ، فتَّ ذلك في أعضادهم وسقط في أيديهم ودخل ملكشاه البلد ونظام الملك وأحرقوا البيع وخربوها وقتلوا كثيراً من أهلها وأسلم كثير فنجوا من القتل ، واستدعى ألب أرسلان إليه ابنه ونظام الملك وفرح بما يسره الله من الفتح عبيد ولده وفتح لملكشاه في طريقه عدة من القلاع والحصون وأسر من النصارى ما لا يحصون كثرة وساروا إلى سبيذشهر ، فجرى بين أهلها وبين المسلمين حروب شديدة استشهد فيها كثير من المسلمين ، ثم إن الله تعالى يسر فتحها فملكها ألب أرسلان وسار منها إلى مدينة أعال لال وهي حصينة عالية الأسوار شاهقة البنيان ، وهي من جهة الشرق والغرب على جبل عال وعلى الجبل عدة من الحصون ومن الجانبين الآخرين نهر كبير لا يخاض ، فلما رآها المسلمون علموا عجزهم عن فتحها والاستيلاء عليها ، وكان ملكها من الكرج وهكذا ما تقدم من البلاد التي ذكرنا فتحها وعقد السلطان جسراً على النهر عريضاً واشتد القتال وعظم الخطب فخرج من المدينة رجلان يستغيثان ويطلبان الأمان ، والتمسا من السلطان أن يرسل معهما طائفة من العسكر فسير جمعاً صالحاً فلما جازوا الفصيل أحاط بهم الكرج من أهل المدينة قاتلوهم فاكثروا القتل فيهم ولم يتمكن المسلمون من الهزيمة لضيق المسلك وخرج الكرج من البلد وقصدوا العسكر واشتد القتال ، وكان السلطان ذلك الوقت يصلي فأتاه الصريخ فلم يبرح حتى فرغ من صلاته وركب وتقدم إلى الكفار فقاتلهم وكبّر المسلمون عليهم فولوا منهزمين فدخلوا

البلد والمسلمون معهم ، ودخلها السلطان وملكها واعتصم جماعة من أهلها في برج من أبراج المدينة ، فقاتلهم المسلمون فأمر السلطان بإلقاء الحطب حول البرج وأحرقه، ففعل ذلك ، وأحرق البرج ومن فيه ، وعاد السلطان إلى خيامه وغنم المسلمون في المدينة ما لا يحصى . ولما جن الليل عصفت ريح شديدة وكان قد بقي من تلك النار التي أحرق بها البرج بقية كثيرة فأطارتها الرياح فاحترقت المدينة بأسرها ، وذلك في رجب سنة ست وخمسين ، وملك السلطان قلعة حصينة كانت إلى جانب تلك المدينة وأخذها وسار منها إلى ناحية فرس ومدينة آني وبالقرب منها ناحيتان يقال لهما دسل ورده ونورة فخرج أهلها مذعنين بالإسلام وخربوا البيع وبنوا المساجد وسار منها إلى مدينة اني فوصل إليها فرآها مدينة حصينة شديدة الامتناع لا ترام ثلاثة

أرباعها على نهر أرس والربع الآخر نهر عميق شديد الجربة لو طرحت فيه الحجارة الكبار لدحاها وحملها ، والطريق إليها على خندق تليه سور من الحجارة الصم ، وهي بلدة كبيرة عامرة كثيرة الأهل فيها ما يزيد على خمسمائة بيعة ، فحصرها وضيق عليها إلا أن المسلمين قد أيسوا من فتحها لما رأوا من حصانتها ، فعمل السلطان برجاً من خشب وشحنه بالمقاتلة ونضب عليه المنجنيق ورماة النشاب فكشفوا الروم عن السور وتقدم المسلمون إليه لينقبوه فأتاهم من لطف الله ، ما لم يكن في حسابهم ، فانهدمت قطعة كبيرة من السور بغير سبب فدخلوا المدينة وقتلوا من أهلها ما لا يحصى بحيث أن كثيراً من المسلمين عجزوا عن دخول البلد من كثرة القتلى ، وأسروا نحواً مما قتلوا . وسارت البشري بهذه الفتوح في البلاد فسر المسلمون وترى كتاب الفتح ببغداد في دار الخلافة فبرز خط الخليفة بالثناء على ألب أرسلان والدعاء له ورتب فيها أميراً في عسكر جرار وعاد عنها، وقد راسله ملك الكرج في الهدنة فصالحه على أداء الجزية كل سنة فقبل ذلك . ولما رحل السلطان عائدا قصد أصبهان ثم سار منها إلى كرمان فاستقبله اخوه قاروت بك بن جفري بك داود ثم سار منها إلى مرو فزوج ابنه ملكشاه بابنة خاقان ملك ما وراء النهر ، وزفت إليه في هذا الوقت وزوج ابنه أرسلان شاه بابنة صاحب غزنة واتحد البيتان البيت السلجوقي والبيت المحمودي واتفقت الكلمة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في ربيع الأول ظهر بالعراق وخوزستان وكثير من البلاد جماعة من الأكراد خرجوا يتصيدون فرأوا في البرية خيماً سوداً ، وسمعوا منها لطمأً شديداً وعويلاً كثيراً وقائلاً يتول : قد

مات سيدرك ملك الجن ، وأفي بلد لم يلطم أهله عليه ويعملون له العزاء ، قلع أصله وأهلك أهله فخرج كثير من النساء في البلاد إلى المقابر يلطن وينحن وينشرن شعورهن وخرج رجال من سفلة الناس يفعلون ذلك وكان ذلك ضحكة عظيمة ، ولقد جرى في أيامنا نجن في الموصل وما والاها من البلاد إلى العراق وغيرها نحو هذا ، وذلك أن الناس سنة ستمائة أصابهم وجع كثير في حلوقهم ومات منه كثير من الناس فظهر ان امرأة من الجن يقال لها أم عنقود مات ابنها عنقود وكل من لا يعمل له مأتماً أصابه هذا المرض فكثر فعل ذلك وكانوا يقولون يا أم عنقود اعذرنا قد مات عنقود ما درينا، وكان النساء يلطن وكذلك الأوباش .

وفيهـا ولي أبو الغنائم المعمر بن محمد بن عبيدالله العلوي نقابة العلويين ببغداد وإمارة الموسم ولقب بالطاهر ذي المناقب وكان المرتضى أبو الفتح أسامة قد استعفى من النقابة وصاهر بني خفاجة وانتقل معهم إلى البرية وتوفي أسامة بمشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام في رجب سنة اثنتين وسبعين . وفيها في جمادى الآخرة توفي أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان الأسدي النحوي المتكلم كان له اختيار في الفقه وكان عالماً بالنسب ويمشي في الأسواق مكشوف الرأس ولم يقبل من أحد شيئاً وكان موته في جمادى الآخرة وقد جاوز ثمانين سنة وكان يميل إلى مذهبه مرجئة المعتزلة ويعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار . وفيها انقض كوكب عظيم وكثر نوره فصار أكثر من نور القمر وسمع له دوي عظيم ثم غاب .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة

ذكر الحرب بين بني حماد والعرب

في هذه السنة كانت حرب بين الناصر بن علناس بن حماد ومن معه من رجال المغاربة من صنهاجة ومن زناتة ومن العرب عدي والأثيج وبين رياح وزغبة وسليم ومع هؤلاء المعز بن زيري الزناتي على مدينة سبتة ، وكان سببها أن حماد بن بلكين جد الناصر كان بينه وبين باديس بن المنصور من الخلف وموت باديس محاصراً قلعة حماد ما هو مذكور ولولا تلك القلعة لأخذ سريعاً وإنما امتنع هو وأولاده بعده بها وهي من أمنع الحصون ، وكذلك ما استمر بين حماد والمعز بن باديس ودخول حماد في طاعته ما تقدم ذكره ، وكذلك أيضاً ما كان بين القائد ابن حماد وبين المعز وكان القائد يضم الغدر وخلع طاعة المعز والعجز يمنعه من ذلك فلما رأى القائد قوة العرب وما نال المعز منهم خلع الطاعة واستبدّ بالبلاد وبعده ولده محسن وبعده ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد وبعده ابن عمه الناصر بن علناس بن محمد بن حماد وكل منهم متحصن بالقلعة وقد جعلوها دار ملكهم فلما رحل المعز من القيروان وصبرة إلى المهدية تمكنت العرب ونهبت الناس وخربت البلاد وانتقل كثير من أهلها إلى بلاد بني حماد لكونها جبلاً وعرة يمكن الامتناع بها من العرب فعمرت بلادهم وكثرت أموالهم وفي نفوسهم الضغائن والحقود من باديس ومن بعده من أولادهم يرثه صغير عن كبير ، وولي تميم بن المعز بعد أبيه فاستبد كل من هو ببلد وقلعة بمكانه وتميم صابر يداري ويتجلد واتصل بتميم أن الناصر بن علناس يقع فيه في مجلسه ويذمه وأنه عزم على المسير إليه ليحاصره بالمهدية وأنه قد حالف بعض صنهاجة وزناتة

وبني هلال ليعينوه على حصار المهديّة فلما صح ذلك عنده أرسل
إلى أمراء بني رياح فأحضرهم إليه وقال أنتم تعلمون أن المهديّة
حصن منيع أكثره في البحر لا يقاتل منه في البر غير أربعة أبراج
يحميها أربعون

رجلاً ، وإنما جمع الناصر هذه العساكر إليكم فقالوا له ، الذي
تقوله حق ونحب منك المعونة فأعطاهم المال والسلاح من الرماح
والسيوف والدروع والدرق فجمعوا قومهم وتحالفوا واتفقوا على
لقاء الناصر وأرسل إلى من مع الناصر من بني هلال يقبحون
عندهم مساعدتهم للناصر ويخوفونهم منه إن قوي وأنه يهلكهم
بمن معه من زناته وصنهاجة وأنهم إنما يستمر لهم المقام
والاستيلاء على البلاد إذا تم الخلف وضعف السلطان فأجابهم بنو
هلال إلى الموافقة وقالوا اجعلوا أول حملة تحملونها علينا فنحن
ننهزم بالناس ونعود عليهم ويكون لنا ثلث الغنيمة فأجابهم إلى
ذلك واستقر الأمر وأرسل المعز بن زيري الزناتي إلى من مع
الناصر من زناته بنحو ذلك فوعده أيضاً أن ينهزموا فحينئذ رحلت
رياح وزناته جميعها وسار إليهم الناصر بصنهاجة وزناته وبني هلال ،
فالتقت العساكر بمدينة سبته فحملت رياح على بني هلال وحمل
المعز على زناته فانهزمت الطائفتان وتبعهم عساكر الناصر
منهزمين ووقع فيهم القتل فقتل فيمن قتل القاسم بن علناس أخو
الناصر وكان مبلغ من قتل من صنهاجة وزناته أربعاً وعشرين ألفاً
وسلم الناصر في نفر يسير وغنمت العرب جميع ما كان في
العسكر من مال وسلاح ودواب وغير ذلك ، فاققسموها على ما
استقر بينهم وبهذه الواقعة تم للعرب ملك البلاد فانهم قدموها في
ضيق وفقر وقلة دواب فاستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم وقل
المحامي عن البلاد وأرسلوا الألوية والطبول وخيم الناصر بدوابها
إلى تميم فردها وقال يقبح بي أن آخذ سلب ابن عمي فارضي
العرب بذلك .

لما كانت هذه الواقعة بين بني حماد والعرب وقويت العرب
فاهتم تميم بن المعز لذلك وأصابه حزن شديد فبلغ ذلك الناصر
وكان له وزير اسمه أبو بكر بن أبي الفتوح وكان رجلاً جيداً يحب
الاتفاق بينهم ويهوى دولة تميم فقال للناصر : ألم أشرك عليك أن لا
تقصد ابن عمك ؟ وان تتفقوا على العرب فإنكما لو اتفقتما
لأخرجتما العرب فقال الناصر : لقد صدقت ولكن لا مرّة لما قدر
فاصلح ذات بيننا ، فأرسل الوزير رسولاً من عنده إلى تميم يعتذر
ويرغب في الإصلاح فقبل تميم قوله وأراد أن يرسل رسولاً إلى
الناصر فاستشار أصحابه فاجتمع رأيهم على محمد بن البعبع
وقالوا له : هذا رجل غريب وقد أحسنت إليه وحصل ، منك الأموال
والأملاك فأحضره وأعطاه مالاً ودواب

وعبيداً وأرسله ، فسار مع الرسول حتى وصل إلى الناصر فلما أوصل الكتاب وأدّى الرسالة قال للناصر : معي وصية إليك وأحب أن تخلي المجلس فقال الناصر : أنا لا أخفي عن وزيرى شيئاً فقال : بهذا أمرني الأمير تميم . فقام الوزير أبو بكر وانصرف فلما خرج تجال الرسول : يا مولاي إن الوزير مخامر عليك هواه مع الأمير تميم لا يخفي عنه من أمورك شيئاً وتميم مشغول مع عبيده قد استبد بهم واطرح صنهاجة وغير هؤلاء ولو وصلت بعسكرك ما بت إلا فيها لبغض الجند والرعية لتميم وأنا أشير عليك بما تملك به المهدية وغيرها وذكر له عمارة بجاية وأشار عليه أن يتخذها دار ملك ويقرب من بلاد إفريقية وقال له : أنا أنتقل إليك بأهلي وأدبر دولتك فأجابه الناصر إلى ذلك وارتاب بوزيره وسار مع الرسول إلى بجاية وترك الوزير بالقلعة ، فلما وصل الناصر والرسول إلى بجاية أراه موضع المينا والبلد والدار السلطانية وغير ذلك فأمر الناصر من ساعته بالبناء والعمل وسر بذلك وشكره وعاهده على وزارته إذا عاد إليه ورجعا إلى القلعة فقال الناصر لوزيره : إن هذا الرسول محب لنا وقد أشار ببناء بجاية ويريد الانتقال إلينا فاكتب له جواب كتبه ففعل وسار الرسول وقد ارتاب به تميم حيث تجدد بناء بجاية عقيب مسيره إليهم وحضوره مع الناصر فيها وكان الرسول قد طلب من الناصر أن يرسل معه بعض ثقاته ليشاهد الأخبار ويعود بها فأرسل معه رسولا يثق به فكتب معه : إنني لما اجتمعت بتميم لم يسألني عن شيء قبل سؤاله عن بناء بجاية وقد عظم أمرها عليه واتهمني ، فانظر إلى من تثق به من العرب ترسلهم إلى موضع كذا فإني سائر إليهم مسرعاً وقد أخذت عهد زويلة وغيرها على طاعتك وسيّر الكتاب فلما قرأه الناصر سلمه

إلى الوزير فاستحسن الوزير ذلك وشكره وأثنى عليه وقال : لقد
نصح وبالع في الخدمة فلا تؤخر عنه إنفاذ العرب ليحضر معهم
ومضى الوزير إلى داره وكتب نسخة الكتاب وأرسل الكتاب الذي
بخط الرسول إلى تميم وكتاباً منه يذكر له الحال من أوله إلى
آخره . فلما وقف تميم على الكتاب عجب من ذلك وبقي يتوقع له
سبباً يأخذه به إلا أنه جعل عليه من يحرسه في الليل والنهار من
حيث لا يشعر فأتى بعض أولئك الحرس إلى تميم وأخبره أن
الرسول صنع طعاماً وأحضر عنده . الشريف الفهري وكان هذا
الشريف من رجال تميم وخواصه فأحضره تميم فقال : كنت
واصلًا إليك وحدثه ان ابن البعيع الرسول دعاني فلما حضرت عنده
قال : أنا في ذمامك أحب أن تعرفني مع من أخرج من المهدية
فمنعه من ذلك وهو خائف فأوقفه تميم على الكتاب الذي بخطه
وأمره

بإحضاره فأحضره الشريف فلما وصل إلى باب السلطان لقيه رجل بكتاب العرب الذين سيرهم الناصر ومعهم كتاب الناصر إليه يأمره بالحضور عنده فأخذ الكتاب وخرج الأمير تميم فلما رآه ابن البيع سقطت الكتب منه فإذا عنوان أحدها من الناصر بن علناس إلى فلان فقال له تميم : من أين هذه الكتب فسكت فأخذها وقرأها فقال الرسول ابن البيع : العفويا مولانا فقال لا عفا الله عنك وأمر به فقتل وغرقت جثته.

ذكر ملك ألب أرسلان جند وصيران

في هذه السنة عبر ألب أرسلان جيحون وسار إلى جند وصيران وهما عند بخارى وقبر جده سلجوق بجند فلما عبر النهر استقبله ملك جند وأطاعه وأهدى له هدايا جليلة فلم يغير ألب أرسلان عليه شيئاً وأقره على ما بيده وعاد عنه بعد أن أحسن إليه وأكرمه ووصل إلى كركانج خوارزم وسار منها إلى مرو .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ابتدئ بعمارة المدرسة النظامية ببغداد . وفيها انقض كوكب عظيم وصار له شعاع كثير أكثر من شعاع القمر وسمع له صوت مفزع .

وفيها توفي محمد بن أحمد أبو الحسين بن الأبنوسي روى عن الدارقطني وغيره .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة
ذكر عهد ألب أرسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه

في هذه السنة سار ألب أرسلان من مرو إلى رايبكان فنزل
بظاهرها ومعه جماعة امراء دولته فاخذ عليهم العهود والمواثيق
لولده ملكشاه بأنه السلطان بعده وأركبه ومشى بين يديه يحمل
الغاشية وخلع السلطان على جميع الأمراء وأمرهم بالخطبة له في
جميع البلاد التي يحكم عليها ففعل ذلك ، وأقطع البلاد فاقطع
مازندران للأمير إينانج بيغو ، وبلخ لأخيه سليمان بن داود جغري بك
، وخوارزم لأخيه أرسلان أرغو ، ومرو لابنه الآخر أرسلان شاه
وصغانيان وطخارستان لأخيه إلياس ، وولاية بغشور ونواحها
لمسعود بن أرناش وهو من أقارب السلطان وولاية اسفزار
لمودود بن أرتاش .

ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس

في هذه السنة سير تميم صاحب إفريقية عسكرياً كثيفاً إلى
مدينة تونس وبها أحمد بن خراسان قد أظهر عليه الخلاف وسبب
ذلك أن المعز بن باديس أبا تميم لما فارق القيروان والمنصورية
ورحل إلى المهديّة على ما ذكرناه ، استخلف على القيروان وعلى
قابس قائد بن ميمون الصنهاجي وأقام بها ثلاث سنين ثم غلبته
هواره عليها فسلمها إليهم وخرج إلى المهديّة ، فلما ولي الملك
تميم بن المعز بعد أبيه رده إليها وأقام عليها إلى الآن . ثم أظهر
الخلاف على تميم والتجأ إلى طاعة الناصر بن علناس بن حماد
فسير إليه تميم الآن عسكرياً كثيراً فلما سمع بهم قائد بن ميمون
علم أنه لا طاقة له بهم فترك القيروان وسار إلى الناصر فدخل
عسكر تميم القيروان وخربوا دور القائد وسار العسكر إلى قابس

وبها ابن خراسان فحصره بها سنة وشهرين ثم أطاع ابن خراسان
تميماً وصالحه وأما قائد فإنه أقام عند الناصر ثم أرسل إلى امراء
العرب فاشترى منهم إمارة القيروان فأجابوه إلى ذلك فعاد إليها
فبنى سورها وحصنها .

ذكر ملك شرف الدولة الأنبار وهيت وغيرهما

في هذه السنة سار شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران صاحب الموصل إلى السلطان ألب أرسلان فاقطعه الأنبار وهيت وحزبي والسنّ والتّوازيح (١) ووصل إلى بغداد فخرج .الوزير فخر الدولة بن جهير في الموكب فلقيه ونزل شرف الدولة بالحريم الطاهري وخلع عليه الخليفة .

ذكر عدة حوادث

في العشر الأول من جمادى الأولى ظهر كوكب كبير له ذؤابة طويلة بناحية المشرق عرضها نحو ثلاث أذرع وهي ممتدة إلى وسط السماء ، وبقي إلى السابع والعشرين من الشهر وغاب ثم ظهر أيضاً آخر الشهر المذكور عند غروب الشمس كوكب قد استدار نوره عليه كالقمر فارتاع الناس وانزعجوا ولما أظلم الليل صار له ذوائب نحو الجنوب وبقي عشرة أيام ثم اضمحل .

وفيهما في جمادى الآخرة كانت بخراسان والجمال زلزلة عظيمة بقيت تتردد أياماً تصدعت منها الجبال وأهلكت خلقاً كثيراً وانخسف منها عدة قرى وخرج الناس إلى الصحراء فأقاموا هناك . وفيها في جمادى الأولى وقع حريق بنهر معلى فاحترق من باب الجريد إلى آخر السوق الجديد من الجانبين .

وفيهما ولدت صبية باب الأرح ولدأ برم سين ورقبتين ووجهين وأربع أيدي على بدن واحد . وفي جمادى الآخرة توفي الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن . علي البيهقي ومولده سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وكان إماماً في الحديث والفقه على مذهب الشافعي وله فيه مصنفات أحدها السنن الكبير عشر مجلدات وغيره من التصانيف الحسنة ، كان عفيفاً زاهداً ومات بنيسابور .

(1) هيت : بكسر الهمزة؛ وهي بلدة على الفرات من نواحي
بغداد فوق الأنبار. وحربي : مقصورة والعامة تتلفظ به ممالاً؛ بليدة
في أقصى دجيل بين بغداد وتكريت مقابل الحظيرة .
والسن : بكسر أوله ، وتشديد نونه ، يقال لها سنّ بارقا : مدينة
على دجلة فوق تكريت لها سور وجامع كبير وفي أهلها علماء وفيها
كنائس وبيع للنصاري .
والبوازيح : بعد الزاي ياء ساكنة وجيم ؛ بلد قرب تكريت على
فم الزاب الأسفل حيث يصب في دجلة ويقال لها يوازيح الملك .

وفي شهر رمضان منها توفي أبو يعلى محمد بن الحسين بن
الفراء الحنبلي ومولده سنة ثمانين وثلاثمائة وعنه انتشر مذهب
أحمد رضي الله عنه وكان إليه قضاء الحريم ببغداد بدار الخلافة
وهو مصنف كتاب الصفات أتى فيه بكل عجيبة ، وترتيب أبوابه يدل
على التجسيم المحض تعالى الله عن ذلك وكان ابن تميمي
الحنبلي يقول .: لقد حَرِيَ أبو يعلى الفراء على الحنابلة خرية لا
يغسلها الماء .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة

ذكر عصيان ملك كرمان على ألب أرسلان وعوده إلى طاعته

في هذه السنة عصى ملك كرمان وهو قرا أرسلان على السلطان ألب أرسلان . وسبب ذلك أنه كان له وزير جاهل سولت له نفسه الاستبداد بالبلاد عن السلطان وأن صاحبه إذا عصى احتاج إلى التمسك به فحسن لصاحبه الخلاف على السلطان فاجاب إلى ذلك وخلع الطاعة وقطع الخطبة فسمع ألب أرسلان فسار إلى كرمان فلما قاربها وقعت طليعته على طليعة قرا أرسلان فانهمزت طليعة قرا أرسلان بعد قتال . فلما سمع قرا أرسلان وعسكره بانهمزام طليعتهم خافوا وتحيروا فانهمزوا لا يلوي أحد على آخر ، فدخل قرا أرسلان إلى جَيْرْقَت وامتنع بها وأرسل إلى السلطان ألب أرسلان يظهر الطاعة ويسال العفو عن زلته ، فعفا عنه وحضر عند السلطان فأكرمه وبكى وأبكى من عنده فأعاده إلى مملكته ولم يغير عليه شيئاً من حاله فقال للسلطان : إن لي بنات تجهيزهن إليك وأمورهن إليك ، فأجابه إلى ذلك وأعطى كل واحدة منهن مائة ألف دينار سوى الثياب والأقطاعات ثم سار منها إلى فارس فوصل إلى اصطخر وفتح قلعتها واستنزل واليها فحمل إليه الوالي هدايا عظيمة جليلة المقدار من جملتها قدح فيروزج فيه منوان من المسك المكتوب عليه اسم جمشيد الملك ، وأطاعه جميع حصون فارس . وبقي قلعة يقال لها بهنزاد فسار نظام الملك إليها وحصرها تحت جبلها وأعطى كل من رمى بسهم وأصاب قبضة من الدنانير ومن رمى حجراً ثوباً نفيساً ففتح القلعة في اليوم السادس عشر من نزوله ووصل السلطان إليه بعد الفتح فعظم محل نظام الملك عنده فأعلى منزلته وزاد في تحكيمه .

ذكر عدة حوادث

في المحرم منها توفي الأغر أبو سعد ضامن البصرة على باب
السلطان بالري

وعقدت البصرة وواسط على هزارسب بثلاثمائة ألف دينار
وفي صفر منها وصل إلى بغداد شرف الملك أبو سعد المستوفي
وبنى على مشهد أبي حنيفة رضي الله عنه مدرسة لأصحابه
وكتب الشريف أبو جعفر بن البياضي على القبة التي أحدثها :
لم تر أن العلم كان مشتتاً فجمعه هذا المغيب في
الحد

كذلك كانت هذه الأرض ميتة فأنشرها فضل العميد أبي
سعد

وفيهما في جُمادى الأولى وصلت أرسلان خاتون أخت السلطان
ألب أرسلان وهي زوجة الخليفة إلى بغداد واستقبلها فخر الدولة
بن جهير الوزير على فراسخ . وفيها في ، ذي القعدة احترقت تربة
معروف الكرخي رحمة الله عليه وسبب حريقها أن قيّمها كان
مريضاً فطبخ لنفسه ماء الشعير فاتصلت النار بخشب وبواري
كانت هناك فأحرقت واتصل الحريق فأمر الخليفة أبا سعد الصوفي
شيخ الشيوخ بعمارته .

وفيهما في ذي القعدة فرغت عمارة المدرسة النظامية وتقرر
التدريس بها للشيخ أبي إسحاق الشيرازي فلما اجتمع الناس
لحضور الدرس وانتظروا مجيئه تأخر فطلب فلم يوجد وكان سبب
تأخره أنه لقيه صبي فقال له : كيف تدرس في مكان مغصوب ؟
فتغيرت نيته عن التدريس بها . فلما ارتفع النهار وأيس الناس من
حضوره أشار الشيخ أبو منصور بن يوسف بابي نصر بن الصباغ ،
صاحب كتاب الشامل ، وقال : لا يجوز

أن ينفصل هذا الجمع إلا عن مدرس ولم يبق ببغداد من لم يحضر غير الوزير فجلس أبو نصر للدرس وظهر الشيخ أبو إسحاق بعد ذلك . ولما بلغ نظام الملك الخبر أقام القيامة على العميد أبي سعد ولم يزل يرفق بالشيخ أبي إسحاق حتى درس بالمدرسة وكان مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يوماً . وفيها في ذي القعدة قتل الصليحي أمير اليمن بمدينة المهجم قتله أحد أمرائها وأقيمت الدعوة العباسية هناك وكان قد ملك مكة على ما ذكرناه سنة خمس وخمسين وأمن الحجاج في أيامه فاثنوا عليه خيراً وكسا البيت بالحرير الأبيض الصيني ورد حلي البيت إليه وكان بنو حسن قد أخذوه وحملوه إلى اليمن فابتاعه الصليحي منهم . وفيها توفي عمر بن اسماعيل بن محمد أبو علي الطوسي قاضها وكان يلقب العراقي لطول مقامه ببغداد وتفقه على أبي طاهر الإسفرايني الشافعي وأبي محمد الشاشي وغيرهما .

ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة كانت حرب بين شرف الدولة بن قريش وبين بني كلاب بالرحبة وهم في طاعة العلوي المصري فكسروهم شرف الدولة وأخذ أسلابهم وأرسل أعلاماً كانت معهم عليها سمات المصري إلى بغداد وكسرت وطيفَ بها في البلد وأرسلت الخلع إلى شرف الدولة . وفيها في جُمادى الأولى كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة خربت الرملة وطلع الماء مني رؤوس الآبار وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألف نسمة وانشقت الصخرة. بالبيت المقدس وعادت بإذن الله تعالى وعاد البحر من الساحل مسيرة يوم فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون منه فرج الماء عليهم فاهلك منهم خلقاً كثيراً . وفيها في رجب ورد أبو العباس الخوافي بغداد عميداً من جهة السلطان . وفيها عزل فخر الدولة بن جهير من وزارة الخليفة فخرج من بغداد إلى نور الدولة دبّيس بن مزيد بالفلوجة وأرسل الخليفة إلى أبي يعلى والد الوزير أبي شجاع يستحضره ليوليه الوزارة وكان يكتب لهزارسب بن بنكير فسار فأدركه أجله في الطريق فمات ثم شفع نور الدولة في فخر الدولة بن جهير فأعيد إلى الوزارة سنة إحدى وستين في صفر .

وفيها كان بمصر غلاء شديد وانقضى سنة إحدى وستين وأربعمائة . وفيها حاصر الناصر بن علناس مدينة الأربس بإفريقية ففتحها وأمن أهلها . وفيها في المحرم توفي الشيخ أبو منصور بن عبد الملك بن يوسف ورثاه ابن الفضل وغيره من الشعراء وعم مصابة المسلمين وكان من أعيان الزمان فمن أفعاله أنه تسلم

المارستان العضدي وكان قد دثر واستولى عليه الخراب فجد في
عمارته وجعل فيه ثمانية وعشرين طبيباً وثلاثة من الخزان إلى غير
ذلك واشترى له الأملاك النفيسة بعد أن كان ليس به طبيب ولا
دواء وكان كثير المعروف والصلات والخير ولم يكن يلقب في
زمانه أحد بالشيخ الأجل سواه .

وفي المحرم أيضاً توفي أبو جعفر الطوسي فقيه الإمامية
بمشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في صفر أعيد فخر الدولة بن جهير إلى وزارة
ال خليفة على ما ذكرناه فلما عاد مدحه ابن الفضل فقال :
٦٠ قد رجع الحق إلى نصابه وأنت من كل الوري أولى
به

٦١ ما كنت إلا السيف سلته يد ثم أعادته إلى قرابه
وهي طويلة .

وفي شعبان احترق جامع دمشق وكان سبب احترقاه أنه وقع
بدمشق حرب بين المغاربة أصحاب المصريين والمشاركة ف ضربوا
داراً مجاورة للجامع بالنار ف احترقت واتصلت بالجامع وكانت
ال عامة سّين المغاربة فتركوا القتال واشتغلوا بإطفاء النار من
الجامع فعظم الخطب واشتد الأمر وأتى الحريق على الجامع
فدثرت محاسنه وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسة .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة أقبل ملك الروم من القسطنطينية في عسكر كثيف إلى الشام ونزل على مدينة منبج ونهبها وقتل أهلها وهزم محمود بن صالح بن مرداس وبني كلاب وابن حسان الطائي ومن معهما من جموع العرب ، ثم إن ملك الروم ارتحل وعاد إلى بلاده ولم يمكنه المقام لشدة الجوع . وفيها سار أمير الجيوش بدر من مصر في عساكر كثيرة إلى مدينة صور وحصرها وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عقيل فلما حصره وأرسل القاضي إلى الأمير قَوْلُوا مقدم الأتراك المقيمين بالشام يستنجد به فسار في اثني عشر ألف فارس فحصر مدينة صيدا وهي لأمر الجيوش بدر فرحل حينئذ بدر فعاد الأتراك فعاود بدر حصر صور براً وبحراً سنة وضيق على أهلها حتى أكلوا الخبز كل رطل بنصف دينار ولم يبلغ غرضه فرحل عنها .

وفيها سارت دار ضرب الدنانير ببغداد في يد وكلاء الخليفة وسبب ذلك أن البهرج كثر في أيدي الناس على السكك السلطانية وضرب اسم ولي العهد على الدينار وسُمي الأميري ومنع من التعامل بسواه . وفيها ورد رسول صاحب مكة محمد بن أبي هاشم ومعه ولده إلى السلطان ألب أرسلان يخبره بإقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله وللسلطان بمكة ، وإسقاط خطبة العلوي صاحب مصر وترك الأذان بحي على خير العمل فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعاً نفيسة وأجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار . وقال : إذا فعل أمير المدينة مهناً كذلك أعطيناه عشرين ألف دينار ، وكل سنة خمسة آلاف دينار .

وفيها تزوج عميد الدولة بن جهير بابنة نظام الملك بالري وعاد
إلى بغداد .

وفيهما في شهر رمضان توفي تاج الملوك هزارسب بن بكير بن عياض بأصبهان وهو عائد من عند السلطان إلى خوزستان وكان قد علا أمره وتزوج بأخت السلطان وبنى على نور الدولة ديبس بن مزيد وأغرى السلطان به ليأخذ بلاده ، فلما مات سار ديبس إلى السلطان ومعه شرف الدولة مسلم صاحب الموصل فخرج نظام الملك فلقيهما وتزوج شرف الدولة بأخت السلطان التي كانت امرأة هزارسب وعاد إلى بلادهما من همذان . وفيها كان بمصر غلاء شديد ومجاعة عظيمة حتى أكل الناس بعضهم بعضاً وفارقوا الديار المصرية فورد بغداد منهم خلق كثير هرباً من الجوع وورد التجار ومعهم ثياب صاحب مصر وآلات نهبت من الجوع وكان فيها أشياء كثيرة نهبت من دار الخلافة وقت القبض على الطائع لله سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ومما نهب أيضاً في فتنة البساسيري وخرج من خزانته ثمانون ألف قطعة بلور كبار ، وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القديم ، وأحد عشر ألف كزاغند وعشرون ألف سيف محلى ، وقال ابن الفضل يمدح القائم بأمر الله ويذكر الحال بقصيدة فيها :

٦٠ قد علم المصري أن جنوده سنو يوسف منها وطاعون
عمواس

٦١ أقامت به حتى استراب بنفسه وأوجس منه خيفة أي
إيجاس

في أبيات .

وفيهما توفي أبو الجوائز الحسن بن علي بن محمد الواسطي
كان أديباً شاعراً حسن القول فمن قوله :

٦ ٥ واحسرتي من قولها خان عهودي ولعها

٧ ٥ وحق من صيرني وقفاً عليها ولها

٨ ٥ ما خطرت بخاطري إلا كستني ولها

وتوفي محمد بن أحمد أبو غالب بن بشران الواسطي الأديب
وانتهت الرحلة إليه في الأدب وله شعر فممه في الزهد :

٦ ٥ يا شائداً للقصور كهلاً أقصر فقصر الفتى
الممات

٧ ٥ لم يجتمع شمل أهل قصر إلا قصارهم الشتات

٨ ٥ وإنما العيش مثل ظل منتقل ماله ثبات

وفيها توفي القاضي أبو الحسين محمد بن إبراهيم بن حرم
قاضي دمشق وأبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي العجائز
الخطيب بدمشق .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة
ذكر الخطبة للقائم بأمر الله والسلطان بحلب

في هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب لأمر المؤمنين القائم بأمر الله والسلطان ألب أرسلان . وسبب ذلك أنه رأى إقبال دولة السلطان وقوتها وانتشار دعوتها فجمع أهل حلب وقال : هذه دولة جديدة ومملكة شديدة ونحن تحت الخوف منهم وهم يستحلون دماءكم لأجل مذاهبكم والرأي أن نقيم الخطبة قبل أن يأتي وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل . فاجاب المشايخ ذلك ولبس المؤذنون السواد وخطبوا للقائم بأمر الله والسلطان فأخذت العامة حصر الجامع وقالوا : هذه حصر علي بن أبي طالب فليأت أبو بكر بحصر يصلي عليها بالناس ، وأرسل الخليفة إلى محمود الخلع مع نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي فلبسها ومدحه ابن سنان الخفاجي وأبو الفتيان بن حيوس وقال أبو عبدالله بن عطية يمدح القائم بأمر الله ويذكر الخطبة بحلب ومكة والمدينة :

٦٧ كم طائع لك لم تجلب عليه ولم تعرف لطاعته غير التقى
سبباً

٦٨ هذا البشير بإذعان الحجاز وذا داعي دمشق وذا المبعوث
من

ذكر استيلاء السلطان ألب أرسلان على حلب

في هذه السنة سار السلطان ألب أرسلان إلى حلب وجعل طريقه على ديار بكر ، فخرج إليه صاحبها نصر بن مروان وخدمه بمائة ألف دينار وحمل إليه إقامة عرف السلطان أنه قسطنطين على البلاد فأمر بردها ووصل إلى آمد فرآها ثغراً منيعاً فتبرك به وجعل

يمر يده على السور ويمسح بها صدره وسار إلى الرها فحصرها
فلم يظفر منها بطائل ، فسار إلى حلب وقد وصلها نقيب النقباء
أبو الفوارس طراد بالرسالة للقائمية والخلع فقال له محمود
صاحب حلب : أسألك الخروج إلى السلطان واستغفاه لي من
الحضور

عنده ، فخرج نقيب النقباء وأخبر السلطان بأنه قد لبس الخلع القائمية وخطب فقال : أي شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون حي على خير العمل ولا بد من الحضور ودوس بساطي . فامتنع محمود من ذلك فاشتد الحصار على البلد وغلت الأسعار وعظم القتال وزحف السلطان يوماً وقرب من البلد فوقع حجر منجنيق في فرسه فلما عظم الأمر على محمود خرج ليلاً ومعه والدته منيعة بنت وثاب النميري ، فدخل على السلطان وقالت له : هذا ولدي فافعل به ما تحب فتلقاها بالجميل وخلع على محمود وأعادته إلى بلده فأنفذ إلى السلطان مالا جزيلاً .

ذكر خروج ملك الروم إلى خلاط وأسرته

في هذه السنة خرج أرمانوس ملك الروم في مائتي ألف من الروم والفرنج والغرب والروس والبنجناك والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد ، فجاءوا في تجمل كثير وزى عظيم وقصد بلاد الإسلام فوصل إلى ملازكرد من أعمال خلاط فبلغ السلطان ألب أرسلان الخبر وهو بمدينة خوى من أذربيجان قد عاد من حلب وسمع ما فيه ملك الروم من كثرة الجموع فلم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو فسير الأتقال مع زوجته ونظام الملك إلى همذان وسار هو فيمن عنده من العساكر وهم خمسة عشر ألف فارس وجذ في السير وقال لهم : إنني أقاتل محتسباً صابراً فإن سلمت فنعمة من الله تعالى وإن كانت الشهادة فإن ابني ملكشاه ولي عهدي . وساروا فلما قارب العدو جعل له مقدمة فصادفت مقدمته عند خلاط مقدم الروسية في نحو عشرة آلاف من الروم فاقتتلوا فانهزمت الروسية وأسر مقدمهم وحمل إلى السلطان فجدع أنفه وأنفذ بالسلب إلى نظام الملك وأمره أن

يرسله إلى بغداد ، فلما تقارب العسكران أرسل السلطان إلى ملك الروم يطلب منه المهادنة فقال : لا هدنة إلا بالري فانزعج السلطان لذلك فقال له إمامه وفقهه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي : انك تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان وأرجو أن يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالإجابة فلما كان تلك الساعة صلى بهم وبكى السلطان فبكى الناس لبكائه ودعا ودعوا معه وقال لهم من أراد الانصراف فليصرف فما ههنا سلطان يأمر وينهي وألقى القوس والنشاب وأخذ السيف والديوس

وعقد ذنب فرسه بيده ولعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط وقال : إن قتلت فهذا كفني . وزحف إلى الروم وزحفوا إليه فلما قاربهم ترجّل وعَفَرَ وجهه على التراب وبكى وأكثر الدعاء ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه فحصل المسلمون في وسطهم وحجز الغبار بينهم فقتل المسلمون فيهم كيف شاؤوا وأنزل الله نصره عليهم فانهزم الروم وقتل منهم ما لا يحصى حتى امتلأت الأرض بجثث القتلى وأسِر ملك الروم ، أسره بعض غلمان كوهرائين فأراد قتله ولم يعرفه فقال له خادم مع الملك : لا تقتله فانه الملك وكان هذا الغلام قد عرضه كوهرائين على نظام الملك فردّه استحقاراً له فأثنى عليه كوهرائين ، فقال نظام الملك : عسى أن يأتينا بملك الروم أسيراً فكان كذلك فلما أسِر الغلام الملك أحضره عند كوهرائين فقصد السلطان وأخبره بأسر الملك فأمر بإحضاره فلما أحضر ضربه السلطان ألْب أرسلان ثلاثة مقارع بيده وقاله له : ألم أرسل إليك في الهدنة فأبيت ؟ فقال : دعني من التوبيخ وافعل ما تريد . فقال السلطان : ما عزمتم أن تفعل بي إن أسرتني فقال : أفعل القبيح ، قال له : فما تظن أنني أفعل بك ، قال : إما أن تقتلني وإما أن تشهرني في بلاد الإسلام والأخرى بعيدة وهي العفو وقبول الأموال واصطناعي نائباً عنك قال : ما عزمتم على غير هذا ففداه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وأن يرسل إليه عساكر الروم أي وقت طلبها وأن يطلق كل أسير في بلاد الروم . واستقر الأمر على ذلك وأنزله في خيمة وأرسل إليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها فأطلق له جماعة من البطارقة وخلع عليه من الغد فقال ملك الروم أين جهة الخليفة فدل عليه فقام وكشف رأسه وأومأ إلى الأرض بالخدمة وهادنه

السلطان خمسين سنة وسيره إلى بلاده وسير معه عسكرياً
أوصلوه إلى مأمته وشيعه السلطان فرسخاً .
وأما الروم فلما بلغهم خبر الوقعة وثب ميخائيل على المملكة
فملك البلاد فلما وصل أرمانوس الملك إلى قلعة دوقية بلغه الخبر
فلبس الصوف وأظهر الزهد وأرسل إلى ميخائيل يعرفه ما تقرر
مع السلطان وقال : إن شئت أن تفعل ما استقر وإن شئت
أمسكت ، فأجابه ميخائيل بإيثار ما استقر وطلب وساطته وسؤال
السلطان في ذلك وجمع أرمانوس ما عنده من المال فكان مائتي
ألف دينار فأرسله إلى السلطان وطبقاً ذهباً عليه جواهر بتسعين
ألف دينار وحلف له أنه لا يقدر على غير ذلك ثم إن أرمانوس
استولى على أعمال الأرمن وبلادهم وفدح الشعراء السلطان
وذكروا هذا الفتح فاكثرُوا .

ذكر ملك اتسز الرملة وبيت المقدس

في هذه السنة قصد اتسز بن أوق الخوارزمي وهو من أمراء السلطان ملكشاه بلد الشام فجمع الأتراك وسار إلى فلسطين ففتح مدينة الرملة ، وسار منها إلى البيت المقدس وحصره وفيه عساكر المصريين ففتحته وملك ما يجاورهما من البلاد ما عدا عسقلان وقصد دمشق فحصرها وتابع النهب لأعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها فضاق الأمر بالناس فصبروا ولم يمكنوه من ملك البلد ، فعاد عنه وأدام قصد أعماله وتخريبها حتى قلت الأقوات عندهم .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة توفي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفوراني الفقيه الشافعي مصنف كتاب الإبانة وغيرها .

وفي هذه السنة في ذي الحجة توفي الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي صاحب التاريخ والمصنفات الكثيرة ببغداد وكان إمام الدنيا في زمانه وممن حمل جنازته الشيخ أبو إسحاق الشيرازي .

وتوفي أيضاً فيها في شهر رمضان أبو يعلى محمد بن الحسين بن حمزة الجعفري فقيه الإمامية ، وحسان بن سعيد بن حسان بن محمد بن عبدالله المنيعي المخزومي من أهل مرو الروذ كان كثير الصدقة والمعروف والعبادة والقنوع بالقليل من القوت والإعراض عن زينة الدنيا وبهجتها وكان السلاطين يزورونه ويتبركون به وأكثر من بناء المساجد والخانقاهات والقناطر وغير ذلك من مصالح المسلمين وتوفيت أيضاً كريمة بنت أحمد بن محمد المرزوية وهي

التي تروي صحيح البخاري توفيت بمكة وإليها انتهى علو الإسناد
للصحيح إلى أن جاء أبو الوقت .

ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة

ذكر ولاية سعد الدولة كوهرائين شحنكية بغداد

في ربيع الأول من هذه السنة ورد إيتكين السليماني شحنة بغداد من عند السلطان إلى بغداد فقصد دار الخلافة وسال العفو عنه وأقام أياماً فلم يجب إلى ذلك . وكان سبب غضب الخليفة عليه أنه كان قد استخلف ابنه عند مسيره إلى السلطان وجعله شحنة ببغداد فقتل أحد المماليك الدارية فانفذ قميصه من الديوان إلى السلطان ووقع الخطاب في عزله وكان نظام الملك يعنى بالسليماني فأضاف إلى إقطاعه تكريت فكتب إليها من له يوان الخلافة بالتوقف عن تسليمها فلما رأى نظام الملك والسلطان إصرار الخليفة على الاستقالة من ولايته شحنكية بغداد سير سعد الدولة كوهرائين إلى بغداد شحنة وعزل السليماني عنها اتباعاً لما أمر به الخليفة القائم بأمر الله ولما ورد سعد الدولة خرج الناس لتلقيه وجلس له الخليفة .

ذكر تزويج ولي العهد بابنة السلطان

في هذه السنة أرسل الإمام القائم بأمر الله عميد الدولة بن جهير ومعه الخلع للسلطان ولولده ملكشاه وكان السلطان قد أرسل يطلب من الخليفة أن يأذن في أن يجعل ولده ملكشاه ولي عهده فأذن وسيرت له الخلع مع عميد الدولة وأمر عميد الدولة أن يخطب ابنة السلطان ألب أرسلان من سفري خاتون لولي العهد المقتدي بأمر الله ، فلما حضر عند السلطان خطب ابنته فأجيب إلى ذلك ، وعقد النكاح بظاهر نيسابور وكان عميد الدولة الوكيل في قبول النكاح ونظام الملك الوكيل من جهة السلطان في العقد وكان النثار جواهر وعاد عميد الدولة من عند السلطان إلى

ملكشاه وكان ببلاد فارس فلقية بأصبهان فأفاض عليه الخلع
فلبسها وسار إلى والده وعاد عميد الدولة إلى بغداد

فدخلها في ذي الحجة .

ذكر ولاية أبي الحسن بن عمار طرابلس

في هذه السنة في رجب توفي القاضي أبو طالب بن عمارة قاضي طرابلس وكان قد استولى عليها واستبد بالأمر فيها فلما توفي قام مكانه ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن بن عمارة ضبط البلد أحسن ضبط ولم يظهر لفقد عمه اثر كفايته .

ذكر ملك السلطان ألب أرسلان قلعة فضلون بفارس

في هذه السنة سير السلطان ألب أرسلان وزيره نظام الملك في عسكر إلى بلاد فارس ، وكان بها حصن من أمنع الحصون والمعازل وفيه صاحبه فضلون وهو لا يعطي الطاعة فنازله وحصره ودعاه إلى طاعة السلطان فاقنع فقاتله فلم يبلغ بقتاله غرضاً لعلو الحصن وارتفاعه ، فلم يطل مقامهم عليه حتى نادى أهل القلعة بطلب الأمان ليسلموا الحصن إليه ، فعجب الناس من ذلك ، وكان السبب فيه أن جميع الآبار التي بالقلعة غارت مياهها في ليلة واحدة ، فقادتهم ضرورة العطش إلى التسليم فلما طلبوا الأمان أمنهم نظام الملك وتسلم الحصن والتجأ فضلون إلى قلة القلعة وهي أعلى موضع فيها وفيه بناء مرتفع فاحتوى فيها فسيّر نظام الملك طائفة من العسكر إلى الموضع الذي فيه أهل فضلون وأقاربه ليحملوهم إليه وينهبوا ما لهم ، فسمع فضلون الخبر ففارق موضعه مستخفياً فيمن عنده من الجند وسار ليمنع عن أهله ، فاستقبله طلائع نظام الملك فخافهم فتفرق من معه واختفي في نبات الأرض فوقع فيه بعض العسكر فأخذه أسيراً وحمله إلى نظام الملك فأخذه وسار به إلى السلطان فأمنه وأطلقه .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة توفي القاضي أبو الحسين محمد بن أحمد بن
عبد الصمد بن المهدي بالله الخطيب بجامع المنصور وكان قد
أضر ، ومولده سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وكان إليه قضاء واسط
وخليفته عليها أبو محمد بن السمال .

ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة

ذكر قتل السلطان ألب أرسلان

في أول هذه السنة قصد السلطان ألب أرسلان - واسمه محمد وإنما غلب عليه ألب أرسلان - ما وراء النهر وصاحبه شمس الملك تكين فعقد علي جيحون جسراً وعبر عليه في نيف وعشرين يوماً وعسكره يزيد على مائتي ألف فارس ، فأتاه أصحابه بمستحفظ قلعة يعرف بيوسف الخوارزمي في سادس شهر ربيع الأول وحمل إلى قرب سريره مع غلامين فتقدم أن تضرب له أربعة أوتاد وتنشد أطرافه إليها فقال له يوسف : يا مخنث ، مثلي يقتل هذه القتلة ، فغضب السلطان ألب أرسلان وأخذ القوس والنشاب ، وقال للغلامين خليهاء ورماه السلطان يسهم فأخطأه - ولم يكن يخطيء سهمه - فوثب يوسف يريده والسلطان على سدة فلما رأى يوسف يقصده قام عن السدة ونزل عنها فعثر فوقع على وجهه فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه في خاصرته وكان سعد الدولة واقفاً فجرحه يوسف أيضاً جراحات ونهض السلطان فدخل إلى خيمة أخرى وضرب بعض الفراشين يوسف بمرزبة على رأسه فقتله وقطعه الأتراك ، وكان أهل سمرقند لما بلغهم عبور السلطان النهر وما فعل عسكره بتلك البلاد لا سيما بخارى اجتمعوا وختموا ختمات وسألوا الله أن يكفيهم أمره فاستجاب لهم ، ولما جرح السلطان قال : ما من وجه قصدته وعدو أردته إلا استعنت بالله عليه ، ولما كان أمس صعدت على تل فارتحت الأرض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت في نفسي : أنا ملك الدنيا وما يقدر أحد علي فعجزني الله تعالى بأضعف خلقه وأنا استغفر الله تعالى وأستقيله

من ذلك الخاطر فتوفي عاشر ربيع الأول من السنة فحمل إلى
مرو ودفن عند أبيه ومولده سنة أربع وعشرين وأربعمائة وبلغ من
العمر أربعين سنة وشهوراً وقيل كان مولده سنة عشرين
وأربعمائة وكانت مدة ملكه منذ خطب بالسلطنة إلى أن قتل تسع
سنين

وستة أشهر وأياماً ، ولما وصل خبر موته إلى بغداد جلس الوزير فخر الدولة بن جهير للعزاء به في صحن السلام .

ذكر نسب ألب أرسلان وبعض سيرته

هو ألب أرسلان محمد بن داود جفري بك بن ميكائيل بن سلجوق وكان كريماً عادلاً عاقلاً لا يسمع السعيات واتسع ملكه جداً ودان له العالم وبحق قيل له سلطان العالم . وكان رحيم القلب رفيقاً بالفقراء كثير الدعاء بدوام ما أنعم الله به عليه؛ اجتار يوماً بمرور على فقراء الخرائين فبكى وسأل الله تعالى أن يغنيه من فضله وكان يكثر الصدقة فيتصدق في رمضان بخمسة عشر ألف دينار ، وكان في ديوانه أسماء خلق كثير من الفقراء في جميع ممالكه عليهم الإدارات والصلات ولم يكن في جميع بلاده جناية ولا مصادرة قد قنع من الرعايا بالخراج الأصلي يؤخذ منهم كل سنة دفعتين رفقا بهم . وكتب إليه بعض السعاة سعاية في نظام الملك وزيره وذكر ماله في ممالكه من الرسوم والأموال ، وتى س كت على مصلاه فأخذها فقرأها ثم سلمها إلى نظام الملك وقال له : خذ هذا الكتاب فإن صدقوا في الذي كتبوه فهذب أخلاقك وأصلح أحوالك وإن كذبوا فاغفر لهم زلتهم واشغلهم بما يشتغلون به عن السعاية بالناس . وهذه حالة لا يذكر عن أحد من الملوك أحسن منها وكان كثيراً ما يقرأ عليه تواريخ الملوك وآدابهم وأحكام الشريعة ، ولما اشتهر بين الملوك حسن سيرته ومحافظته على عهوده أذعنوا له بالطاعة والموافقة بعد الامتناع وحضروا عنده من أقاصي ما وراء النهر إلى أقصى الشام . وكان شديد العناية بكف الجند عن أموال الرعية بلغه أن بعض خواص ممالكه سلب من بعض الرستاقية إزاراً فاخذ المملوك وصلبه فارتدع الناس عن

التعرض إلى جمال غيرهم ، ومناقبه كثيرة لا يليق بهذا الكتاب أكثر من هذا القدر منها وخلف ألب أرسلان من الأولاد ملكشاه وهو صار السلطان بعده وإياز وتكش وبوري برش وثُش وأرسلان وأرغو وسارة وعائشة وبنثاً أخرى .

ذكر ملك السلطان ملكشاه

لما جرح السلطان ألب أرسلان أوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه وكان معه وأمر أن يحلف له العسكر فحلفوا جميعهم وكان المتولي للأمر في ذلك نظام الملك وأرسل ملكشاه إلى بغداد يطلب الخطبة له فخطب له على منابرهما وأوصى ألب أرسلان ابنه

ملكشاه أيضاً أن يعطي أخاه قاورت بك بن داود أعمال فارس وكرمان وشيئاً عينه من المال ، وأن يزوج بزوجته وكان قاورت بك بكرمان وأوصى أن يعطي ابنه إياز بن ألب أرسلان ما كان لأبيه داود وهو خمسمائة ألف دينار وقال : كل من لم يرض بما أوصيت له فقاتلوه واستعينوا بما جعلته له على حربه . وعاد ملكشاه من بلاد ما وراء النهر في نيف وعشرين يوماً في ثلاثة أيام وقام بوزارة ملكشاه نظام الملك وزاد الأجناد في معاشهم سبعمائة ألف دينار وعادوا إلى خراسان وقصدوا نيسابور وراسل ملكشاه جماعة الملوك أصحاب الأطراف يدعوهم إلى الخطبة له والانقياد إليه ، وأقام إياز أرسلان بلخ وسار السلطان ملكشاه في عساكره من نيسابور إلى الري .

ذكر ملك صاحب سمرقند مدينة ترمذ

في هذه السنة في ربيع الآخر ملك التكين صاحب سمرقند مدينة ترمذ ، وسبب ذلك أنه لما بلغه وفاة ألب أرسلان وعود ابنه ملكشاه عن خراسان طمع في البلاد المجاورة له فقصد ترمذ أول ربيع الآخر وفتحها ونقل ما فيها من ذخائر وغيرها إلى سمرقند وكان إياز بن ألب أرسلان قد سار عن بلخ إلى الجوزجان فخاف أهل بلخ فأرسلوا إلى التكين يطلبون منه الأمان فأمنهم فخطبوا له فيها وورد إليها فنهب عسكره شيئاً من أموال الناس وعاد إلى ترمذ فثار أوباش بلخ بجماعة من أصحابه فقتلوهم فعاد إليهم وأمر بإحراق المدينة فخرج إليه أعيان أهلها وسألوه الصفح واعتذروا فعفا عنهم لكنه أخذ أموال التجار فغنم شيئاً عظيماً فلما وصل الخبر إلى إياز عاد من الجوزجان إلى بلخ فوصل غرة جمادى الأولى فأطاعه أهلها وسار عنها إلى ترمذ في عشرة آلاف فارس

في الثالث والعشرين من جُمادى الآخرة فلقاهم عسكر التكين
فانهزم إياز فغرق من عسكره في جيحون أكثرهم وقتل كثير منهم
ولم ينج إلا القليل .

ذكر قصد صاحب غزنة سكلکند

وفي هذه السنة أيضاً في جمادى الأولى وردت طائفة كثيرة
من عسكر غزنة إلى سكلکند ، وبها عثمان عم السلطان ملكشاه
ويلقب بأمير الأمراء فأخذه أسيراً وعادوا به إلى غزنة مع خزائنه
وحشمه فسمع الأمير كمشتكين بلكابك وهو من أكابر الأمراء فتبع
آثارهم وكان معه أنوشتكين جد ملوك خوارزم في زماننا فنهبوا
مدينة سكلکند .

ذكر الحرب بين السلطان ملكشاه وعمه قاورت بك

لما بلغ قاورت بك وهو بكرمان وفاة أخيه ألب أرسلان سار طالباً للري يريد الاستيلاء على الممالك فسبقه إليها السلطان ملكشاه ونظام الملك وسارا منها إليه فالتقوا بالقرب من همذان في شعبان ، وكان العسكر يميلون إلى قاورت بك فحملت ميسرة قاورت على ميمنة ملكشاه فهزموها ، وحمل شرف الدولة مسلم بن قريش وبهاء الدولة منصور بن ديبس بن مزيد وهما مع ملكشاه ومن معهما من العرب والأكراد على ميمنة قاورت بك فهزموها ، وتمت الهزيمة على أصحاب قاورت بك ، ومض المنهزمون من أصحاب السلطان ملكشاه إلى حلل شرف الدولة وبهاء الدولة فنهبوا غيظاً منهم حيث هزموا عسكر قاورت بك ونهبوا أيضاً ما كان لنقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي رسول الخليفة ، وجاء رجل سوادي إلى السلطان ملكشاه فاخبره أن عط قاورت بك في بعض القرى ، فأرسل من أخذه وأحضره فأمر سعد الدولة كوهرائين فخنقه وأقرّ كرمان بيد أولاده وسير إليهم الخلع وأقطع العرب والأكراد إقطاعات كثيرة لما فعلوه في الواقعة وكان السبب في حضور شرف الدولة وبهاء الدولة عند ملكشاه أن السلطان ألب أرسلان كان ساخطاً على شرف الدولة فأرسل الخليفة نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي إلى شرف الدولة بالموصل فأخذه وسار به إلى ألب أرسلان ليشفع فيه عند الخليفة ، فلما بلغ الزاب وقف على ملطفات كتبها وزيره أبو جابر بن صقلاب ، فأخذها شرف الدولة فغرقها وسار مع طراد فبلغهما الخبر بوفاة ألب أرسلان ومسير ابنه ملكشاه فتمما إليه وأما بهاء الدولة فإنه كان

قد سار بـمال أرسله به أبوه إلى السلطان فحضر الحرب بهذا السبب .

ذكر تفويض الأمور إلى نظام الملك

ثم إن عسكر ملكشاه يسطوا ومدوا أيديهم في أموال الرعية وقالوا ما يمنع السلطان أن يعطينا الأموال إلا نظام الملك فنال الرعية أذى شديد فذكر ذلك نظام الملك للسلطان فبين له ما في هذا الفعل من الوهن وخراب البلاد وذهاب السياسة فقال له : افعل في هذا ما تراه مصلحة فقال له نظام الملك : ما يمكنني أن أفعل إلا بأمرك فقال السلطان : قد رددت الأمور كلها كبيرها وصغيرها إليك فأنت الوالد ، وحلف له وأقطعه إقطاعاً زائداً

على ما كان من جملته طوس مدينة نظام الملك وخلع عليه ولقبه ألقاباً من جملتها أتابك ومعناه الأمير الوالد فظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته ما هو مشهور فمن ذلك أن امرأة ضعيفة استغاثت إليه فوقف يكلمها وتكلمه فدفعها بعض حجابها فانكر ذلك عليه وقال : إنما استخدمتك لأمثال هذه فان الأمراء والأعيان لا حاجة بهم إليك ، ثم صرفه عن حجبته .

ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان

في هذه السنة قتل ناصر الدولة أبو علي الحسن بن حمدان وهو من أولاد ناصر الدولة بن حمدان بمصر ، وكان قد تقدم فيها تقدماً عظيماً ونذكر ههنا الأسباب الموجبة لقتله فإنها تتبع بعضها بعضاً في حروب وتجارب ، وكان أوّل ذلك انحلال أمر الخلافة وفساد أحوال المستنصر بالله العلوي صاحبها وسببه أن والدته كانت غالبية على أمره وقد اصطنعت أبا سعيد إبراهيم التستري اليهودي وصار وزيراً لها ، فأشار عليها بوزارة أبي نصر الفلاحي فولته الوزارة واتفقا مدّة ثم صار الفلاحي ينفرد بالتدبير فوقع بينهما وحشة ، فخاف الفلاحي أن يفسد أمره مع أم المستنصر فاصطنع الغلمان الأتراك واستمالهم وزاد في أرزاقهم ، فلما وثق بهم وضعهم على قتل اليهودي فقتلوه فعظم الأمر على أم المستنصر وأغرّت به ولدها فقبض عليه وأرسلت من قتله تلك الليلة وكان بينهما في القتل تسعة أشهر ووزر بعده أبو البركات حسن بن محمد فوضعه على الغلمان الأتراك ، فافسد أحوالهم وشرع يشتري العبيد للمستنصر واستكثر منهم فوضعت أم المستنصر ليغري العبيد المجردين بالأتراك فخاف عاقبة ذلك وعلم أنه يورث شراً وفساداً فلم يفعل فتنكرت له وعزلته عن

الوزارة ، وولي بعده الوزارة أبو محمد اليازوري من قرية من قرى الرملة اسمها يازور فأمرته أيضاً بذلك فلم يفعل وأصلح الأمور إلى أن قتل ، ووزر أبو عبدالله الحسين بن البابلي فأمرته بما أمرت به غيره من الوزراء من إغراء العبيد بالأتراك ففعل فتغيرت نياتهم ، ثم إن المستنصر ركب ليشيع الحجاج فأجرى بعض الأتراك فرسه ، فوصل به إلى جماعة العبيد المحدثين وكانوا يحيطون بالمستنصر فضربه أحدهم فجرحه فعظم ذلك على الأتراك ، ونشبت بينهم الحرب ثم اصطلحوا على تسليم الجارح إليهم واستحكمت العداوة فقال الوزير للعبيد خذوا حذرکم فاجتمعوا في محلّتهم وعرف الأتراكُ ذلك فاجتمعوا إلى تقديمهم وقصدوا ناصر

الدولة بن حمدان وهو أكبر قائد بمصر وشكوا إليه واستمالوا المصامدة وكتامة وتعاهدوا وتعاقدوا فقوي الأتراك وضعف العبيد المحدثون فخرجوا من القاهرة إلى الصيد ليجتمعوا هناك ، فانضاف اليهم خلق كثير يزيدون على خمسين ألف فارس وراجل فخاف الأتراك وشكوا إلى المستنصر فأعاد الجواب أنه لا علم له بما فعل العبيد وأنه لا حقيقة له فظنوا قوله حيلة عليهم . ثم قوي الخبر بقرب العبيد منهم بكثرتهم فأجفل الأتراك وكتامة والمصامدة وكانت عدتهم ستة آلاف فالتقوا بموضع يعرف بكوم الريش واقتتلوا فانهزم الأتراك ومن معهم إلى القاهرة ، وكان بعضهم قد كمن في خمسمائة فارس فلما انهزم الأتراك خرج الكمين على ساقه العبيد ومن معهم وحملوا عليهم حملة منكرة وضربت البوقات فارتاع العبيد وظنوها مكيدة من المستنصر وأنه قد ركب في باقي العسكر فانهزموا وعاد عليهم الأتراك وحكموا فيهم السيوف فقتل منهم وغرق نحو أربعين ألفاً ، وكان يوماً مشهوداً وقويت نفوس الأتراك وعرفوا حسن رأي المستنصر فيهم وتجمعوا وحشدوا فتضاعفت عدتهم وزادت واجباتهم للانفاق فيهم ، فخلت الخزائن واضطربت الأمور وتجمع باقي العسكر من الشام وغيره إلى الصعيد فاجتمعوا مع العبيد فصاروا خمسة عشر ألف فارس وراجل وساروا إلى الجيزة فخرج عليهم الأتراك ومن معهم واقتتلوا في الماء عدة أيام ، ثم عبر الأتراك النيل إليهم مع ناصر الدولة بن حمدان فاقتتلوا فانهزم العبيد إلى الصعيد وعاد ناصر الدولة والأتراك منصورين . ثم إن العبيد اجتمعوا بالصعيد في خمسة عشر ألف فارس وراجل فقلق الأتراك لذلك فحضر مقدموهم دار المستنصر لشكوى حالهم فأمرت أم المستنصر من

عندها من العبيد بالهجوم على المتقدمين والفتك بهم ففعلوا ذلك ،
وسمع ناصر الدولة الخبر فهرب إلى ظاهر البلد واجتمع الأتراك
إليه ووقعت الحرب بينهم وبين العبيد ومن تبعهم من مصر
والقاهرة وحلف الأمير ناصر الدولة بن حمدان أنه لا ينزل عن
فرسه ولا يذوق طعاماً حتى ينفصل الحال بينهم فبقيت الحرب
ثلاثة أيام ثم ظفر بهم نم اصر الدولة وأكثر القتل فيهم ومن سلم
هرب وزالت دولتهم من القاهرة.

وكان بالإسكندرية جماعة من العبيد فلما كانت هذه الحادثة
طلبوا الأمان فأمنوا وأخذت منهم الاسكندرية وبقي العبيد الذين
بالصعيد فلما خلت الدولة للأتراك طمعوا في المستنصر وقل
ناموسه عندهم ، وطلبوا الأموال فخلت الخزائن فلم يبق فيها
شيء

البتة واختل ارتفاع الأعمال وهم يطالبون ، واعتذر المستنصر بعدم الأموال عنده فطلب ناصر الدولة العروض فأخرجت إليهم وقومت بالثمن البخس وصرفت إلى الجند ، قيل إن واجب الأتراك كان في الشهر عشرين ألف دينار فصار الآن في الشهر أربعمئة ألف دينار وأما العبيد بالصعيد فإنهم أفسدوا وقطعوا الطريق وأخافوا السبيل ، فسار إليهم ناصر الدولة في عسكر كثير فمضى العبيد من بين يديه إلى الصعيد الأعلى فأدركهم فقاتلهم وقتلوه فانهزم ناصر الدولة منهم وعاد إلى الجيزة بمصر واجتمع إليه من سلم من أصحابه وشغبوا على المستنصر واتهموه بتقوية العبيد والميل إليهم ، ثم جهزوا جيشاً وسيروه إلى طائفة من العبيد بالصعيد وقتلوه فقتل تلك الطائفة من العبيد فوهن الباقون وزالت دولتهم وعظم أمر ناصر الدولة وقويت شوكته وتفرد بالأمر دون الأتراك فامتنعوا من ذلك وعظم عليهم وفسدت نياتهم له ، فشكوا ذلك إلى الوزير وقالوا : كلما خرج من الخليفة مال أخذ أكثره له ولحاشيته ولا يصل إلينا منه إلا القليل . فقال الوزير : إنما وصل إلى هذا وغيره بكم فلو فارقتموه لم يتم له أمر فاتفق رأيهم على مفارقة ناصر الدولة وإخراجه . من مصر فاجتمعوا وشكوا إلى المستنصر وسألوه أن يخرج عنهم ناصر الدولة، فأرسل إليه يأمره بالخروج ويتهده إن لم يفعل فتخرج من القاهرة إلى الجيزة ونهبت داره ودور حواشيه وأصحابه ، فلما كان الليل دخل ناصر الدولة مستخفياً إلى القائد المعروف بتاج الملوك شادي فقَبَّلَ رجله وقال : اصطنعني فقال : أفعل ، فحالفه على قتل مقدم من الأتراك اسمه الدكر والوزير الخطير . وقال ناصر الدولة لشادي : تركب في أصحابك وتسير بين القصرين فإذا أمكنتك الفرصة فيهما

فاقتلهما ، وعاد ناصر الدولة إلى موضعه إلى الجيزة وفعل شادي ما أمره فركب الدكر إلى القصر فرأى شادي في جمعه فأنكره وأسرع فدخل القصر ففاته ، ثم أقبل الوزير في موكب فقتله شادي وأرسل إلى ناصر الدولة يأمره بالركوب فركب إلى باب القاهرة فقال الدكر للمستنصر : إن لم تركب وإلا هلك أنت ونحن ، فركب ولبس سلاحه وتبعه خلق عظيم من العامة والجند واصطفوا للقتال فحمل الأتراك على ناصر الدولة فانهزم وقتل من أصحابه خلق كثير ، ومضى منهزماً على وجهه لا يلوي على شيء وتبعه فل أصحابه فوصل إلى بني سنبس فأقام عندهم وصايرهم فقوي بهم . وتجهزت العساكر إليه ليعدوه فساروا حتى قربوا منه وكانوا ثلاث طوائف فأراد أحد المقدمين أن يفوز بالظفر وحلمه دون أصحابه فعبر فيمن معه إلى ناصر الدولة وحمل عليه فقاتله

فظفر به ناصر

الدولة فأخذه أسيراً وأكثر القتل في أصحابه وعبر العسكر الثاني ولم يشعروا بما جرى على أصحابهم فحمل ناصر الدولة عليهم ورفع رزوس القتلى على الرماح فوقع الرعب في قلوبهم فانهزموا وقتل أكثرهم وقويت نفس ناصر الدولة وعبر العسكر الثالث فهزمه وأكثر القتل فيهم وأسر مقدمهم وعظم أمره ، ونهب الريف فاقتطعه وقطع الميرة عن مصر براً وبحراً فغلت الأسعار بها وكثر الموت بالجوع وامتدت أيدي الجند بالقاهرة إلى النهب والقتل وعظم الوباء حتى إن أهل البيت الواحد كانوا يموتون كلهم في ليلة واحدة ، واشتد الغلاء حتى حُكي أن امرأة أكلت رغيفاً بألف دينار فاستبعد ذلك فقيل إنها باعت عروضاً قيمتها ألف دينار بثلاثمائة دينار واشترت بها حنطة حملها الحمال على ظهره فنهبت الحنطة في الطريق فنهبت هي مع الناس فكان الذي حصل لها مما عملته رغيفاً واحداً.

وقطع ناصر الدولة الطريق براً وبحراً فهلك العالم ومات أكثر أصحاب المستنصر وتفرق كثير منهم فراسل الأتراك من القاهرة ناصر الدولة في الصلح فاصطلحوا على أن يكون تاج الملوك شادي نائباً عن ناصر الدولة بالقاهرة يحمل المال إليه ولا يبقى معه لأحد حكم ، فلما دخل تاج الملوك إلى القاهرة تغير عن القاعدة واستبد بالأموال دون ناصر الدولة ولم يرسل إليه منها شيئاً فصار ناصر الدولة إلى الجيزة واستدعى إليه شادي وغيره من مقدمي الأتراك فخرجوا إليه إلا أقلهم فقبض عليهم كلهم ونهب ناحيتي مصر وأحرق كثيراً منها ، فسير إليه المستنصر عسكرياً فكبسوه فانهزم منهم ومضى هارباً فجمع جمعاً وعاد إليهم فقاتلهم فهزمهم وقطع خطبة المستنصر بالإسكندرية

ودمياط وكانا معه وكذلك جميع الريف ، وأرسل إلى الخليفة ببغداد يطلب خلعاً ليخطب له بمصر ، واضمحل أمر المستنصر وبطل ذكره وتفرق الناس من القاهرة وأرسل ناصر الدولة إليه أيضاً يطلب المال فرآه الرسول جالساً على حصير وليس حوله غير ثلاثة خدم ولم ير الرسول شيئاً من آثار المملكة . فلما أدى الرسالة قال : أما يكفي ناصر الدولة أن أجلس في مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير فبكى الرسول ، وعاد إلى ناصر الدولة فأخبره الخبر فأجرى له كل يوم مائة دينار . وعاد إلى القاهرة وحكم فيها وأذل السلطان وأصحابه ، وكان الذي حمله على ذلك أنه كان يظهر التسنن من بين أهله ولمجيب المستنصر وكان المغاربة كذلك فأعانوه على ما أراد وقبض على أم المستنصر وصادرها بخمسين ألف دينار ، وتفرق عن المستنصر أولاده وكثير من أهله إلى الغرب

وغيره من البلاد فمات كثير منهم جوعاً وانقضت سنة أربع وستين وما قبلها بالفتن وانحط السعر سنة خمس وستين ورخصت الأسعار . وبالع ناصر الدولة في إهانة المستنصر وفرق عنه عامة أصحابه وكان يقول لأحدهما : إنني أريد أن أوليك عمل كذا ، فيسير إليه فلا يمكنه من العمل ويمنعه من العود ، وكان غرضه بذلك أن يخطب للخليفة القائم بأمر الله ولا يمكنه مع وجودهم ففطن لفعله قائد كبير من الأتراك اسمه الدكر وعلم أنه متى ما تم ما أراد تمكن منه ومن أصحابه ، فأطلع على ذلك غيره من قواد الأتراك فاتفقوا على قتل ناصر الدولة وكان قد أمن لقوته وعدم عدوه ، فتواعدوا ليلة على ذلك فلما كان سحر الليلة التي تواعدوا فيها على قتله جاؤوا إلى باب داره - وهي التي تعرف بمنازل العز ، وهي على النيل - فدخلوا من غير استئذان إلى صحن داره فخرج إليهم ناصر الدولة في رداء لأنه كان آمناً منهم فلما دنا منهم ضربوه بالسيوف فسبهم وهرب منهم يريد الحرم فلحقوه فضربوه حتى قتلوه وأخذوا رأسه ، ومضى رجل منهم يعرف بكوكب الدولة إلى فخر العرب أخي ناصر الدولة وكان فخر العرب كثير الإحسان إليه فقال للحاجب : استأذن لي على فخر العرب وقل صنيعتك فلان على الباب . فاستأذن له فأذن له وقال : لعله قد دهمه أمر فلما دخل عليه أسرع نحوه كأنه يريد السلام عليه وضربه بالسيف على كتفه فسقط إلى الأرض فقطع رأسه وأخذ سيفه وكان ذا قيمة وافرة وأخذ جارية له أردفها وتوجه إلى القاهرة وقتل أخوهما تاج المعالي وانقطع ذكر الحمدانية بمصر بالكلية . فلما كان سنة ست وستين وأربعمئة ولي الأمر بمصر بدر الجمالي أمير الجيوش وقتل الدكر والوزير ابن كدينة وجماعة من

المسلحة وتمكن من الدولة إلى أن مات وولي بعده ابنه الأفضل
وسيرد ذكرهم إن شاء الله تعالى .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة أقيمت الدعوة العباسية بالبيت المقدس .
وفيهما توفي الأمير ليث بن منصور صدقة بن الحسين بالدامغان
والشريف أبو الغنائم عبد الصمد بن علي بن محمد بن المأمون
ببغداد وكان موته في شوال ومولده سنة أربع وسبعين وثلاثمائة
وكان عالي الإسناد في الحديث .

وفيهما في ذي الحجة توفي الشريف أبو الحسين محمد بن علي
بن عبدالله بن عبد الصمد بن المهدي بالله المعروف بابن الغريق
وكان يسمى راهب بني العباس وهو آخر

من حدث عن الدارقطني وابن شاهين وغيرهما وكان موته
ببغداد . وفيها قتل ناصر الدولة أبو علي الحسين بن حمدان بمصر
قتله الدكر التركي وقد تقدم شرحه مستوفي .

وفيهما توفي الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن
القشيري النيسابوري مصنف الرسالة وغيرها وكان إماماً فقيهاً
أصولياً مفسراً كاتباً ذا فضائل جمّة وكان له فرس قد أهدى إليه
فركه نحو عشرين سنة فلما مات الشيخ لم يأكل الفرس شيئاً
فعاش أسبوعاً ومات .

وفيهما أيضاً توفي علي بن الحسن بن علي بن الفضل أبو
منصور الكاتب المعروف بابن صر بعمر وكان نظام الملك قال له
أنت ابن صر در لا صر بعمر فبقي ذلك عليه وهو من الشعراء
المجيدين وهجاه ابن البياضي فقال :

لئن نبز الناس قدماً أباك فسموه من شعره صر
بعرا

فإنك تنظم ماصره عقوقاً له وتسميه شعرا

وهذا ظلم من ابن البياضي فإنه كان شاعراً محسناً ومن شعر
ابن صر در قوله :

تزاورن عن أذرعات يمينا نواشر ليس يطقن البُرينا

كلفن بنجدٍ كان الرياض أخذن لنجد عليها يمينا

وأقسَمَنَ يَحْمِلُنَ إلّا نحيلاً إليه ويبلغن إلّا حزينا

فلما استمعن زفير المشوق ونوح الحمام تركن

الحنينا

٥٠ إذا جئتما بانه الوادين
فأرخوا النسوع وحلوا
الوضينا

٥١ فثم علائق من أجله
ملاء الدجى والضحي قد طؤينا
٥٢ وقد أنبأتهم مياه الجفون
بأن بقلبك داء دفيننا

ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة

ذكر تقليد السلطان ملكشاه السلطنة والخلع عليه

في هذه السنة في صفر ورد كوهرائين إلى بغداد .من عسكر السلطان وجلس له الخليفة القائم بأمر الله ووقف على رأسه ولي العهد المقتدي بأمر الله وسلم الخليفة إلى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة وقرأ الوزير أوله وسلم إليه أيضاً لواء عقده الخليفة بيده ولم يمنع يومئذٍ أحد من الدخول إلى دار الخلافة فامتلاً صحن السلام بالعامية حتى كان الإنسان تهمة نفسه ليتخلص وهنا الناس بعضهم بعضاً بالسلامة .

ذكر غرق بغداد

في هذه السنة غرق الجانب الشرقي وبعض الغربي من بغداد وسببه أن دجلة زادت زيادة عظيمة وانفتح القورج عند المسناة المعزية رجاء في الليل سيل عظيم وطفح الماء من البرية مع ريح شديدة، وجاء الماء إلى المنازل من فوق ونبع من البلايع والآبار بالجانب الشرقي وهلك خلق كثير تحت الهدم وشدت الزواريق تحت التاج خوف الغرق ، وقام الخليفة يتضرع ويصلي وعليه البردة وبيده القضيب ، وأتى أيتكين السلیماني من عكبرا فقال للوزير : إن الملاحين يؤذون الناس في المعابر فأحضرهم وتهدهم بالقتل وأمر بأخذ ما جرت به العادة وجمع الناس وأقيمت الخطبة للجمعة في الطيار مرتين وغرق من الجانب الغربي مقبرة أحمد ومشهد باب التبن وتهدم سورہ فأطلق شرف الدولة ألف دينار تصرف في عمارته ودخل الماء من شبايك الیمارستان العضدي .

ومن عجيب ما يُحكى في هذا الغرق أن الناس في العام
الماضي كانوا قد أنكروا كثرة المغنيات والخمر فقطع بعضهم
أوتار عود مغنية كانت عند جندي ، فثار به

الجندي الذي كانت عنده فضربه فاجتمعت العامة ومعهم كثير من الأئمة ، منهم أبو اسحاق الشيرازي واستغاثوا إلى الخليفة وطلبوا هدم المواخير والحانات وتبطينها فوعدهم أن يكاتب السلطان في ذلك فسكنوا وتفرقوا ، ولازم كثير من الصالحين الدعاء بكشفه فاتفق أن غرقت بغداد ونال الخليفة والجنود من ذلك أمر عظيم وعمت مصيبته كافة الناس ، فرأى الشريف أبو جعفر بن موسى بعض الحجاب الذين يقولون نحن نكتب السلطان ونسعى في تفريق الناس ويقول اسكنوا إلى أن يرد الجواب فقال له أبو جعفر قد كتبنا وكتبتم فجاء جوابنا قبل جوابكم يعني أنهم شكوا ما حل بهم إلى الله تعالى وقد أجابهم بالغرق قبل ورود جواب السلطان .

ذكر ملك السلطان ملكشاه ترمذ والهدنة بينه وبين صاحب سَمَرْقَنْد

قد ذكرنا أن خاقان التكين صاحب سَمَرْقَنْد ملك ترمذ بعد قتل السلطان ألب أرسلان فلما استقامت الأمور للسلطان ملكشاه سار إلى ترمذ وحصرها وطم العسكر خندقها ورمأها بالمجانيق ، فخاف من بها فطلبوا الأمان فأمنهم وخرجوا منها وسلموها . وكان بها أخ لخاقان التكين فأكرمه السلطان وخلع عليه وأحسن إليه وأطلقه ، وسلم قلعة ترمذ إلى الأمير ساوتكين وأمره بعمارتها وتحصينها وعمارة سورها بالحجر المحكم وحفر خندقها وتعميقه ففعل ذلك وسار السلطان ملكشاه يريد سمرقند ففارقها صاحبها وأنفذ يطلب المصالحة ويضرع إلى نظام الملك في إجابته إلى ذلك ويعتذر من تعرضه إلى ترمذ فأجيب إلى ذلك واصطلحوا وعاد ملكشاه عنه إلى خراسان ، ثم منها إلى الري وأقطع بلخ وطخارستان لأخيه شهاب الدين تكش .

ذكر عدة حوادث

ففيها توفي زعيم الدولة أبو الحسن بن عبد الرحيم بالنيل فجأة وله سبعون سنة وقد تقدم من أخباره ما فيه كفاية . وفيها توفي أياز أخو السلطان ملكشاه وكُفي شره كما كُفي شر عمه قاورت بك .

وفيهما في ربيع الأول توفي القاضي أبو الحسين بن أبي جعفر السمناني حمر قاضي القضاة أبي عبدالله الدامغاني وولي ابنه أبو الحسن ما كان إليه من القضاء بالعراق والموصل وكان مولده سنة أربع وثمانين وثلاثمائة بسمان وكان هو وأبوه من المغالين في

مذهب الأشعري ولأبيه فيه تصانيف كثيرة وهذا مما يستطرف
أن يكون حنفيّ أشعرياً . وفيها في جُمادى الآخرة توفي عبد العزيز
أحمد بن محمد بن عليّ أبو محمد الكتّابي الدمشقي الحافظ وكان
مكثراً في الحديث ثقة وممن سمع منه الخطيب أبو بكر البغدادي .

ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة
ذكر وفاة القائم بأمر الله وذكر بعض سيرته

في هذه السنة ليلة الخميس ثالث عشر شعبان توفي القائم بأمر الله أمير المؤمنين رضي الله عنه واسمه عبدالله أبو جعفر بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن الأمير اسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد . وكان سبب موته أنه كان قد أصابه شرى فافتصد ونام منفرداً فانفجر فصاده وخرج منه دم كثير ولم يشعر ، فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوته فأيقن بالموت فأحضر ولي العهد ووصاه بوصايا ، وأحضر النقيبين وقاضي القضاة وغيرهم مع الوزير ابن جهير وأشهدهم على نفسه أنه جعل ابن ابنه أبا القاسم عبدالله بن محمد بن القائم بأمر الله ولي عهده ، ولما توفي غسله الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي وصلى عليه المقتدي بأمر الله وكان عمره ستاً وسبعين سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام وخلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وأياماً ، وقيل كان مولده ثامن عشر ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وعلى هذا يكون عمره ستاً وسبعين سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً . وأمه أم ولد تسمى قطر الندى أرمنية وقيل رومية أدركت خلافته ، وقيل اسمها علم وماتت في رجب سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة.

وكان القائم جميلاً مليح الوجه أبيض مثرباً حمرة حسن الجسم ، ورعاً ديناً زاهداً عالماً قوي اليقين بالله تعالى كثير الصبر وكان للقائم عناية بالأدب ومعرفة حسنة بالكتابة ولم يكن يرتضي أكثر ما يكتب من الديوان فكان يصلح فيه أشياء وكان مؤثراً للعدل

والإنصاف يريد لمضاء حوائج الناس لا يرى المنع من شيء يطلب
منه .

قال محمد بن علي بن عامر الوكيل : دخلت يوماً إلى المخزن
فلم يبق أحد إلا

أعطاني قصة فامتلت أكمامي منها فقلت في نفسي لو كان الخليفة أخي لأعرض عن هذه كلها . فألقيتها في بركة والقائم ينظر ولا أشعر فلما دخلت إليه أمر الخدم بإخراج الرقاع من البركة فأخرجت ووقف عليها ووقع فيها بأغراض أصحابها ، ثم قال لي : يا عامي ما حملك على هذا فقلت : خوف الضجر منها . فقال لا تَعُدْ إلى مثلها فإنما ما أعطيناهم من أموالنا شيئاً إنما نحن وكلاء ووزر للقائم أبو طالب محمد بن أيوب وأبو الفتح بن دارست ورئيس الرؤساء وأبو نصر بن جهير وكان قاضيه ابن ماكولا وأبوعبدالله

الدامغاني

ذكر خلافة المقتدي بأمر الله

لما توفي القائم بأمر الله بويع المقتدي بأمر الله عبدالله محمد بن القائم بالخلافة وحضر مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة والشيخ أبو إسحاق وأبو نصر بن الصباغ ، ونقيب النقباء طراد والنقيب الطاهر المعمر بن محمد وقاضي القضاة أبو عبدالله الدامغاني وغيرهم من الأعيان والأمثال فبايعوه وقيل كان أول من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي فإنه لما فرغ من غسل القائم وأنشده

٦٥ إذا سيد منا مض قام سيد

ثم ارتج عليه فقال المقتدي :

٦٦ قؤول بما قال الكرام فعول

فلما فرغوا من البيعة صلى بهم العصر .

ولم يكن للقائم من أعقابه ذكر سواه فإن الذخيرة أبا العباس محمد بن القائم توفي أيام أبيه ولم يكن له غيره فأيقن الناس بانقراض نسله وانتقال الخلافة من البيت القادري إلى غيره ، ولم يشكوا في اختلال الأحوال بعد القائم لأن من عدا البيت القادري كانوا يخالطون العامة في البلد ويجرون مجرى السوق فلو اضطر الناس إلى خلافة أحدهم لم يكن له ذلك القبول ولا تلك الهيبة فقدّر الله تعالى أن الذخيرة أبا العباس كان له جارية اسمها أرجوان وكان يلم بها فلما توفي ورأت ما نال القائم من المصيبة واستعظمه من انقراض عقبه ذكرت أنها حامل فتعلقت النفوس بذلك فولدت بعد موت سيدها بستة

أشهر المقتدي فاشدت فرح القائم وعظم سروره وبالع في
الإشفاق عليه والمحبة له فلما كان حادثة البساسيري (1) كان
للمقتدي قريب أربع سنين فأخفاه أهله وحمله أبر الغنائم بن
المحلبان إلى حران كما ذكرنا ، ولما عاد القائم إلى بغداد أعيد
المقتدي إليه فلما بلغ الحلم جعله ولي عهد ولما ولي الخلافة أقر
فخر الدولة بن جهير على وزارته بوصية من القائم بذلك وسير
عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير إلى السلطان ملكشاه لأخذ
البيعة وكان مسيره في شهر رمضان وأرسل معه من أنواع الهدايا
ما يجمل عن الوصف .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في شوال وقعت نار ببغداد في دكان خباز بنهر
المعلى فاحترقت من السوق مائة وثمانون دكاناً سوى الدور ثم
وقعت نار في المأمونية ، ثم في الطفرية ، ثم في درب المطبخ ،
ثم في دار الخليفة ، ثم في حمام السمرقندي ، ثم في باب الأزج
ودرب خراسان ، ثم في الجانب الغربي في نهر طابق ونهر
القلائن والقطيعة وباب البصرة واحترق مالا يحصى .
وفيه أرسل المستنصر بالله العلوي صاحب مصر إلى صاحب
مكة ابن أبي هاشم رسالة وهدية جلية وطلب منه أن يعيد له
الخطبة بمكة حرسها الله تعالى وقال : إن إيمانك وعهودك كانت
للقائم وللسلطان ألب أرسلان وقد ماتا فخطب له بمكة وقطع
خطبة المقتدي وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة أربع سنين
وخمسة أشهر ، ثم أعيدت في ذي الحجة سنة ثمان وستين .
وفيه كانت حرب شديدة بين بني رباح وزغبة ببلاد إفريقية
فقويت بنو رباح على زغبة فهزموهم وأخرجوهم من البلاد .

وفيهما جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من أعيان
المنجمين وجعلوا النيروز أول نقطة من الحمل ، وكان النيروز قبل
ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان
مبدأ التقاويم .

(1) انظر صفحة 82 من هذا الجزء وما بعدها .

وفيه أيضاً عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من أعيان المنجمين في عمله منهم عمر بن إبراهيم الخيامي وأبو المظفر الاسفزاری وميمون بن النجيب الواسطي وغيرهم وخرج عليه من الأموال شيء عظيم وبقي الرصد دائراً إلى أن مات السلطان سنة خمس وثمانين وأربعمائة فبطل بعد موته .

ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة

ذكر ملك الأقيسيس دمشق

قد ذكرنا سنة ثلاث وستين ملك أقيسيس الرملة والبيت المقدس وحصره مدينة دمشق فلما عاد عنها جعل يقصد أعمالها كل سنة عند إدراك الغلات ، فيأخذها فيقوى هو وعسكره ويضف أهل دمشق وجندها ، فلما كان رمضان سنة سبع وستين سار إلى دمشق فحصرها وأميرها المعلى بن حيدرة من قبل الخليفة المستنصر فلم يقدر عليها فانصرف عنها في شوال فهرب أميرها المعلى في ذي الحجة . وكان سبب هربه أنجه أساء السيرة مع الجند والرعية وظلمهم فكثر الدعاء عليه وثار به العسكر وأعانهم العامة فهرب منهما إلى بانياس ثم منها إلى صور ثم أخذ إلى مصر فحبس بها فمات محبوساً . فلما هرب من دمشق اجتمعت المصامدة وولوا عليهم القصار بن يحيى المصمودي المعروف برزين الدولة وغلت الأسعار بها حتى أكل الناس بعضهم بعضاً ، ووقع الخلف بين المصامدة وأحداث البلد وعرف أقيسيس ذلك فعاد إلى دمشق فنزل عليها في شعبان من هذه السنة فحصرها فعدمت الأقوات فبيعت الغرارة إذا وجدت بأكثر من عشرين ديناراً فسلموها إليه بأمان ، وعوض انتصار عنها بقلعة بانياس ومدينة يافا من الساحل ودخلها هو وعسكره في ذي القعدة وخطب بها يوم الجمعة لخمس بقين من ذي القعدة للمقتدي بأمر الله الخليفة العباسي ، وكان آخر ما خطب فيها للعلويين المصريين ، وتغلب على أكثر الشام ومنع الأذان بحَيٍّ على خير العمل ففرح أهلها فرحاً عظيماً وظلم أهلها وأساء السيرة فيهم .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ملك نصر بن محمود بن مرداس مدينة منبج
وأخذها من الروم .
وفيها قدم سعد الدولة كوهرائين شحنة إلى بغداد من عسكر
السلطان ومعه العميد أبو

نصر ناظراً في أعمال بغداد . وفيها وثب الجند بالبطينة على أميرها أبي نصر بن الهيثم ، وخالفوا عليه فهرب منهم وخرج من ملكه والذخائر والأموال التي جمعها في المدة الطويلة ولم يصحبه من ذلك جميعه شيء ، وصار نزيلاً على كوهرائين شحنة العراق . وفيها انفجر البثوق بالفلوجة ، وانقطع الماء من النيل وغيره من تلك الأعمال من بلاد ديبس بن مزيد فجلا أهل البلاد ووقع الوباء فيهم ، ولم يزل كذلك إلى أن سده عميد الدولة بن جهير سنة اثنتين وسبعين .

وفي هذه السنة توفي أبو علي الحسن بن القاسم بن محمد المقرئ المعروف بـ غلام الهراس الواسطي بها وكان محدثاً علامة في كثير من العلوم . وفي شعبان توفي القاضي أبو الحسين محمد بن محمد بن البيضاوي الفقيه الشافعي، وكان يدرس الفقه بدرب السلولي بالكرخ وهو زوج ابنة القاضي أبي الطيب الطبري ، وعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود أبو الحسن بن أبي طلحة الداودي راوي صحيح البخاري ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وسمع الحديث وتفقه بالشافعي علي أبي بكر القفال وأبي حامد الإسفرايني وصحب أبا علي الدقاق وأبا عبد الرحمن السلمي وكان عابداً خيراً قصده نظام الملك فجلس بين يديه فوعظه وكان في قوله : إن الله تعالى سلَّطك على عباده فانظر كيف تجيبه إذا سألك عنهم ، فبكى وكان موته ببوشنج .

وفيها توفي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن متويه الواحدي المفسر مصنف الوسيط والبسيط والوجيز في التفسير وهو نيسابوري إمام مشهور . وأبو الفتح منصور بن أحمد بن دارست وزير القائم توفي بالأهواز . ومحمد بن القاسم بن حبيب

بن عبدوس أبو بكر الصفار النيسابوري الفقيه الشافعي تفقه على
أبي محمد الجويني وسمع من الحاكم أبي عبدالله السلمي وأبي
عبد الرحمن السلمي وغيرهما . وفيها توفي مسعود بن المحسن
بن الحسن بن عبد الرزاق أبو جعفر البياضي الشاعر له شعر
مطبوع فمنه قوله :

٦ يا من لبست لبعده ثوب الضنا حتى خفيت به عن العواد
٧ وأنست بالسهر الطويل فأنسيت أجفان عيني كيف كان
رقادي

٨ إن كان يوسف بالجمال مقطع الأيدي فأنت مفتت الأكباد

ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة

ذكر حصر أقسيس مصر وعوده عنها

في هذه السنة سار الأقسيس من دمشق إلى مصر وحصرها وضيق على أهلها ولم يبق غير أن يملكها فاجتمع أهلها مع ابن الجوهري الواعظ في الجامع وبكوا وتضرعوا ودعوا فقبل الله دعاءهم فانهزم الأقسيس من غير قتال ، وعاد على أقبح صورة بغير سبب ، فوصل إلى دمشق وقد تفرق أصحابه فرأى أهلها قد صانوا مخلفيه وأمواله فشكرهم ورفع عنهم الخراج تلك السنة وأتى البيت المقدس فرأى أهله قد قبحوا على أصحابه ومخلفيه وحصروهم في محراب داود عليه السلام ، فلما قارب البلد تحصن أهله منه وسبوه ، فقاتلهم ففتح البلد عنوة ونهبه وقتل من أهله فأكثر حتى قتل من التجأ إلى المسجد الأقصى وكفّ عمن كان عند الصخرة وحدها ، هكذا يذكر الشاميون هذا الاسم أقسيس والصحيح أنه أتنسز وهو اسم تركي . وقد ذكر بعض مؤرخي الشام أن أتنسز لما وصل إلى مصر جمع أمير الجيوش بدرب العساكر واستمد العرب وغيرهم من أهل البلاد فاجتمع معه خلق كثير واقتتلوا فانهزم اتنسز وقتل أكثر أصحابه وقتل أخ له وقطعت يد أخ آخر وعاد منهزماً إلى الشام في نفر قليل من عسكره ، فوصل إلى الرملة ثم سار منها إلى دمشق .

وحكى لي من أثق به عن جماعة من فضلاء مصر ، أن أتنسز لما وصل إلى مصر ونزل بظاهر القاهرة أساء أصحابه السيرة في الناس وظلموهم وأخذوا أموالهم وفعلوا الأفاعيل القبيحة ، فأرسل رؤساء القرى ومقدموها إلى الخليفة المستنصر بالله العلوي ، يشكون إليه ما نزل بهم ، فأعاد الجواب بأنه عاجز عن دفع هذا

العدو فقالوا له : نحن نرسل إليك من عندنا من الرجال المقاتلة
يكونون معك ومن ليس له سلاح تعطيه من عندك سلاحاً وعسكر
هذا العدو قد أمنوا وتفرقوا في البلاد فنشور بهم في ليلة

واحدة ونقتلهم وتخرج أنت إليه فيمن اجتمع عندك من الرجال، فلا يكون له بك قوة ، فأجابهم إلى ذلك ، وأرسلوا إليه الرجال وثاروا كلهم في ليلة واحدة بمن عندهم ، فأوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم ولم يسلم منهم إلا من كان عنده في عسكره ، وخرج إليه العسكر الذي عند المستنصر بالقاهرة فلم يقدر على الثبات لهم فولى منهزماً وعاد إلى الشام وكفي أهل مصر شره وظلمه .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ورد بغداد أبو نصر ابن الأستاذ أبي القاسم القشيري حاجاً وجلس في المدرسة النظامية يعظ الناس ، وفي رباط شيخ الشيوخ وجرى له مع الحنابلة فتن لأنه تكلم على مذهب الأشعري ونصره وكثر أتباعه والمتعصبون له وقصد خصومه من الحنابلة ومن تبعهم سوق المدرسة النظامية ، وقتلوا جماعة وكان من المتعصبين للقشيري الشيخ ، أبو إسحاق وشيخ الشيوخ وغيرهما من الأعيان وجرت بين الطائفتين أمور عظيمة.

وفيه تزوج الأمير علي بن أبي منصور بن فرامرز بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه أرسلان خاتون بنت داود عمه السلطان ملكشاه التي كانت زوجة القائم بأمر الله . وفيها كان بالجزيرة والعراق والشام وباء عظيم وموت كثير حتى بقي كثير من الغلات ليس لها من يعملها لكثرة الموت في الناس ، وفيها مات محمود بن مرداس صاحب حلب ، وملك بعده ابنه نصر فمدحه ابنه حيوس بقصيدة يقول فيها :

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها فلا افتרכת ماذب عن ناظر

شعر

٤٤ ضميرك والتقوى وجودك والغنى ولفظك والمعنى وعزمك
والنصر

٤٥ وكان لمحمود بن نصر سجية وغالب ظني أن سيخلفها نصر
فقال : والله لو قال سيضعفها نصر لأضعفتها له وأمر له بما
كان يعطيه أبوه وهو ألف دينار في طبق فضة وكان على باب
جماعة من الشعراء فقال بعضهم :

٤٦ على بابك المعمور منا عصاة مفاليس فانظر في أمور
المفاليس

٤٧ وقد قنعت منك العصاة كلها بعشر الذي أعطيته لابن
حيوس

٤٨ وما بينت هذا التقارب كله ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فقال : لو قال بمثل الذي أعطيته لأعطيتهم ذلك ، وأمر لهم بمثل نصفه . وفيها توفي اسبه دوست بن محمد بن الحسن أبو منصور الديلمي الشاعر وكان قد لقي ابن الحجاج وابن نباتة وغيرهما وكان يتشيع وتركه ، وقال في ذلك :

٧٤ وإذا سئلت عن اعتقادي قلت ما كانت عليه مذاهب الأبرار

٧٥ وأقول خير الناس بعد محمد صديقه وأنيسه في الغار

وفيها توفي رئيس العراقيين أبو أسمد النهاوندي الذي كان عميد بغداد ، والشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي الحنبلي ، ورزق الله بن محمد بن أحمد بن علي أبو أسعد الأنباري ، الخطيب الفقيه الحنفي سمع الحديث للكثير وكان ثقة حافظاً ، وطاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي المصري توفي في رجب ، سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات لوقته ، وعبدالله بن محمد بن عبدالله بن ع في عمر بن أحمد المعروف بابن هزار مرد الصريفي رواية أحاديث علي بن الجعد وهو آخر من رواها وكان ثقة صالحاً ومن طريقه سمعناها .

ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ورد مؤيد الملك إلى بغداد من العسكر .
وفيهما اصطالح تميم بن المعز بن باديس صاحب إفريقية مع
الناصر بن علناس وهو من بني حماد عم جده وزوجه تميم ابنته
بلارة وسيرها إليه من المهديّة في عسكر وأصحابها من الحلّى
والجهاز ما لا يحد وحمل الناصر ثلاثين ألف دينار فأخذ منها تميم
ديناراً واحداً ورد الباقي . وفيها استعمل تميم ابنه مقلداً على
مدينة طرابلس الغرب . وكان ببغداد في هذه السنة فتنة بين أهل
سوق المدرسة وسرق الثلاثاء بسبب الاعتقاد فنهب بعضهم بعضاً
وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد بالدار التي عند المدرسة
فأرسل إلى العميد والشحنة فحضرا ومعهم الجند ، فضربوا الناس
فقتل بينهم جماعة وانفصلوا.

وفي هذه السنة في ربيع الأول توفي القاضي أبو عبدالله
محمد بن محمد بن محمد بن البيضاوي الفقيه الشافعي وكان
القاضي أبو الطيب الطبري جده لأمه .

وفيهما توفي أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن النقور أبو
الحسين البزاز في رجب وكان مكثراً من الحديث ثقة في الرواية .
وأحمد بن عبد الملك بن علي أبو صالح المؤذن النيسابوري كان
يعظ ويؤذن وكان كثير الرواية حافظاً ومولده سنة ثمانٍ وثمانين
وثلاثمائة ، وعبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى
بن مندة الأصبهاني أبو القاسم بن أبي عبدالله الحافظ له تصانيف
كثيرة منها تاريخ أصبهان وله طائفة ينتمون إليه في الاعتقاد من
أهل أصبهان يقال لهم العبد رحمانية .

وفي شوال منها توفيت ابنة نظام الملك زوجة عميد الدولة بن

بولد

نفساء

جهير

مات من يومه ودفنا بدار الخلافة ، ولم تجر بذلك عادة لأحد
فعل ذلك إكراماً لأبيها وجلس الوزير فخر الدولة بن جهير وابنه
عميد الدولة زوجها للعزاء في دار بباب العامة ثلاثة أيام .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وأربعمائة

ذكر عزل ابن جهير من وزارة الخليفة

في هذه السنة عزل فخر الدولة أبو نصر بن جهير من وزارة الخليفة المقتدي بأمر الله ، ووزر بعده أبو شجاع محمد بن الحسين وكان السبب في ذلك أن أبا نصر بن القشيري ورد إلى بغداد على ما تقدم ذكره وجرى له الفتن مع الحنابلة لما ذكر مذهب الأشعرية ونصره وعاب من سواهم وفعلت الحنابلة ومن معهم ما ذكرناه ، فنسب أصحاب نظام الملك ما جرى إلى الوزير فخر الدولة وإلى الخدم . وكتب أبو الحسن محمد بن علي بن أبي الصقر الواسطي الفقيه الشافعي إلى نظام الملك :

٦ يا نظام الملك قد حل ببغداد النظام وبقي القاطن فيها مستهان مستضام

٧ وبها أودى له قتلى غلام و غلام والذي منهم تبقى سالماً فيه سهام
٨ يا قوام الدين لم يبق ببغداد مقام عظم الخطب وللحرب اتصال ودوام

٩ فمتى لم تحسم الداء أياديك الحسام ويكف القوم في بغداد قتل وانتقام

١٠ فعلى مدرسة فيها ومن فيها السلام واعتصام بحريم لك من بعد حرام

فلما سمع نظام الملك ما جرى من الفتن وقصد مدرسته والقتل بجوارها مع أن ابنه مؤيد الملك فيها عظم عليه فأعاد كوهرائين إلى شحنة العراق وحمد رسالة إلى الخليفة المقتدي بأمر الله يتضمن الشكوى من بني جهير وسأل عزل فخر الدولة من الوزارة وأمر كوهرائين بأخذ أصحاب بني جهير وإيصال

المكروه إليهم وإلى حواشيهم ، فسمع بنو جهير الخبر فسار عميد الدولة إلى المعسكر يريد نظام الملك ليستعطفه وتجنب الطريق وسلك الجبال خوفاً أن يلقاه كوهرائين ويناله فيها أذى ، فلما وصل كوهرائين إلى بغداد اجتمع بالخليفة وأبلغه رسالة نظام الملك فأمر فخر الدولة بلزوم منزله ، ووصل عميد الدولة إلى المعسكر السلطاني ولم يزل يستصلح نظام الملك حق

عاد إلى ما ألفه منه وزوجه بابتة بنت له وعاد إلى بغداد في العشرين من جُمادى الأولى فلم يرد الخليفة أباه إلى وزارته وأمرهما بملازمة منازلهما واستوزر أبا شجاع محمد بن الحسين ثم إن نظام الملك راسل الخليفة في إعادة بني جهير إلى الوزارة وشفع في ذلك ، فأعيد عميد الدولة إلى الوزارة وأذن لأبيه فخر الدولة في فتح بابه وكان ذلك في صفر سنة اثنتين وسبعين .

ذكر استيلاء تتش على دمشق

في هذه السنة ملك تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان بدمشق وسبب ذلك أن أخاه السلطان ملكشاه أقطعه الشام وما يفتحه في ذلك في تلك النواحي سنة سبعين وأربعمائة فأتى حلب وحصرها ، ولحق أهلها مجاعة شديدة ، وكان معه جمع كثير من التركمان فأنفذ إليه الإقسييس (١) صاحب دمشق يستنجده ويعرفه أن عساكر مصر قد حصرته بدمشق ، وكان أمير الجيوش بدر قد سير عسكرياً من مصر ومقدمهم قائد يعرف بنصر الدولة ، فحصر دمشق فأرسل إقسييس إلى تاج الدولة تتش يستنصره ، فسار إلى نصره الإقسييس ، فلما سمع المصريون بقربه أجفلوا من بين يديه شبه المنهزمين ، وخرج الإقسييس إليه يلتقيه عند سور البلد فاغتاظ منه تتش حيث لم يبعد في تلقيه وعاتبه على ذلك فاعتذر بأمور لم يقبلها تتش فقبض عليه في الحال وقتله من ساعته ، وملك البلد وأحسن السيرة في أظنن وعدل فيهم . وقد ذكر ابن الهمذاني وغيره من العراقيين أن ملك تتش دمشق كان هذه السنة وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقي في كتاب تاريخ دمشق أن ملكه إياها كان سنة اثنتين وسبعين .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ولد الملك بركيارق بن السلطان ملكشاه. وفيها في المحرم وصل سعد الدولة كوهرائين إلى بغداد وضرب الطبل على باب داره أوقات الصلاة، وكان قد طلب ذلك من قبل فلم يجب إليه لأنه لم تجربه عادة .

(1) إقسيس: هو أتشز بن أوف الخوارزمي، كان يلقب بالمعظم، وكان من خيار الملوك وأجودهم سيرة وأصحهم سريرة

٤

وفيه توفى سيف الدولة أبو النجم بدر بن ورام الكردي
الجاواني في شهر ربيع الأول ودفن بطسفونج .
وفي رجب توفى أبو علي بن البناء المقرئ الحنبلي وله
مصنفات كثيرة وسليم الجوري بناحية جور من دجيل وكان زاهداً
يعمل ويأكل من كسبه ولم يكلف أحداً حاجة وأقام بطنزة من ديار
بكر وهي كثيرة الفواكه فلم يأكل بها فاكهة البتة .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة
ذكر فتوح إبراهيم صاحب غزنة في بلاد الهند

في هذه السنة غزا الملك إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد الهند ، فحصر قلعة أجود وهي على مائة وعشرين فرسخاً من لهاوور وهي قلعة حصينة في غاية الحصانة كبيرة تحوي عشرة آلاف رجل من المقاتلة ، فقاتلوه وصبروا تحت الحصر وزحف اليهم غير مرة فأروا من شدة حربه ما ملأ تلويهم خوفاً ورعباً ، فسلموا القلعة إليه في الحادي والعشرين من صفر هذه السنة وكان في نواحي الهند قلعة يقال لها قلعة رويال على رأس جبل شاهق، وتحتها غياض أشبه ، وخلفها البحر ، وليس عليها قتال إلا من مكان ضيق وهو مملوء بالفيلة المقاتلة ، وبها من رجال الحرب ألوف كثيرة فتابع عليهم الوقائع ، وألح عليهم بالقتال بجميع أنواع الحرب وملك القلعة واستنزلهم منها . وفي موضع يقال له دره نوره أقوام من أولاد الخراسانيين الذين جعل أجدادهم فيها أفراسياب التركي من قديم الزمان ولم يتعرض إليهم أحد من الملوك ، فسار إليهم إبراهيم ودعاهم إلى الإسلام أولاً فامتنعوا من إجابته وقاتلوه فظفر بهم وكثر القتل فيهم وتفرق من سلم في البلاد وسبى واسترق من النسوان والصبيان مائة ألف . وفي هذه القلعة حوض للماء يكون قطره نحو نصف فرسخ لا يدرك قعره ، يشرب منه أهل القلعة وجميع ما عندهم من دابة ولا يظهر فيه نقص ، وفي بلاد الهند موضع يقال له وره وهو بر بين خليجين فقصده الملك إبراهيم فوصل إليه في جمادى الأولى وفي طريقه عقبات كثيرة وفيها أشجار ملتفة فأقام هناك ثلاثة أشهر ولقي الناس من الشتاء شدة ولم يفارق الغزوة حتى أنزل الله نصره

على أوليائه وذلّه على أعدائه ، وعاد إلى غزنة سالماً مظفراً .
وهذه الغزوات لم أعرف تاريخها وأما الأولى فكانت هذه السنة
فلهذا أوردتها متتابعة في هذه السنة . . .

ذكر ملك شرف الدولة مسلم مدينة حلب

في هذه السنة ملك شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل مدينة حلب، وسبب ذلك أن تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان حصرها مرة بعد أخرى فاشتد الحصار بأهلها ، وكان شرف الدولة يواصلهم بالغلات وغيرها ، ثم ان تتش حصرها هذه السنة وأقام عليها أياماً ورحل عنها وملك بزاعة والبيرة وأحرق ريبض عزاز ، وعاد إلى دمشق ، فلما رحل عنها تاج الدولة استدعى أهلها شرف الدولة ليسملوها إليه فلما قاربها امتنعوا من ذلك ، وكان مقدمهم يعرف بابن الحيتي العباسي فاتفق أن ولده خرج يتصيد بضیعة له ، فأسره أحد التركمان وهو صاحب حصن بنواحي حلب وأرسله إلى شرف الدولة ، فقرر معه أن يسلم البلد إليه إذا أطلقه فاجاب إلى ذلك ، فأطلقه فعاد إلى حلب واجتمع بابيه وعرفه ما استقر فأذعن إلى تسليم البلد ونادى بشعار شرف الدولة وسلم البلد إليه فدخله سنة ثلاث وسبعين وحصر القلعة واستنزل منها سابقاً ووثاباً ابني محمود بن مرداس ، فلما ملك البلد أرسل ولده وهو ابن عمه السلطان إلى السلطان يخبره بملك البلد وأنفذ معه شهادة فيها خطوط المعدلين بحلب بضمائها وسال أن يقرر عليه الضمان فأجابه السلطان إلى ما طلب وأقطع ابن عمته مدينة بالس.

ذكر مسير ملكشاه إلى كرمان

في أول هذه السنة سار السلطان ملكشاه إلى بلاد كرمان فلما سمع صاحبها سلطانشاه بن قاروت بك وهو ابن عم السلطان بوصوله إليها ، خرج إلى طريقه ولقيه وحمل له الهدايا الكثيرة

وخدمه وبالغ في الخدمة فاقره السلطان على . البلاد وأحسن إليه
وعاد عنه في المحرم سنة ثلاث وسبعين إلى أصبهان .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ولد للخليفة المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين
ولد سماه موسى وكناه أبا جعفر وزينت بغداد سبعة أيام. وفيها
وصل السلطان ملكشاه إلى خوزستان متصيداً فوصل معه
خمارتكين وكوهرائين في قتل ابن علان اليهودي ضامن البصرة ،
وكان ملتجئاً إلى نظام الملك وكان بين نظام الملك وبين
خمارتكين الشرابي وكوهرائين عداوة فسعي باليهودي لذلك ، فأمر
السلطان بتغريقه فغرق وانقطع نظام الملك عن

الركوب ثلاثة أيام وأغلق بابه ، ثم أشير عليه بالركوب فركب وعمل السلطان دعوة عظيمة قدم له فيها أشياء كثيرة وعاتبه على فعله فاعتذر إليه وكان أمر اليهودي قد عظم إلى حد أن زوجته توفيت فمشى خلف جنازتها كل من في البصرة إلا القاضي وكان له نعمة عظيمة وأموال كثيرة ، فاخذ السلطان منه مائة ألف دينار وضمن خمارتكين البصرة كل سنة بمائة ألف دينار ومائة فرس .

وفيهما زاد الفرات تسعة أذرع فخربت بعض دواليب هيت وخرّب فوهة نهر عيسى وزاد تامرا نيفاً وثلاثين ذراعاً وعلا على قنطرتي طراستان وخائقين الكسرويتين فقطعهما ، وفيها في ذي الحجة توفي نصر بن مروان صاحب ديار بكر ، وملك بعده ابنه منصور ودبر دولته ابن الأنباري. وفيها توفي أبو منصور محمد بن عبد العزيز العكبري ومولده سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وهو من المحدثين المعروفين وكان صدوقاً ومحمد بن هبة الله بن الحسن بن منصور أبو بكر بن أبي القاسم الطبري اللالكائي وولد سنة تسع وأربعمائة وحدث عن هلال الحفار وغيره وتوفي في جُمادى الأولى . وفيها توفي أبو الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس الشاعر المشهور وحدث عن جده لأمه القاضي أبي نصر محمد بن هارون بن الجندي .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة
ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان وأخذها منه

في هذه السنة في شعبان سار السلطان ملكشاه إلى الري وعرض العسكر فأسقط منهم سبعة آلاف رجل ، لم يرض حالهم ، فمضوا إلى أخيه تكش وهو ببوشنج فقوي بهم وأظهر العصيان على أخيه ملكشاه واستولى على مرو الروذ ومرو الشاهجان وترمز وغيرها وسار إلى نيسابور طامعاً في ملك خراسان ، وقيل بان نظام الملك قال للسلطان لما أمر بإسقاطهم إن هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ولا خياط ولا من له صنعة غير الجندية فإذا أسقطوا لا نأمن أن يقيموا منهم رجلاً وقالوا هذا السلطان فيكون لنا منهم شغل ويخرج عن أيدينا أضاف ما لهم من الجاري إلى أن نظفر بهم ، فلم يقبل السلطان قوله ، فلما مضوا إلى أخيه وأظهر العصيان ندم على مخالفة وزيره حيث لم ينفع الندم واتصل خبره بالسلطان ملكشاه ، فسار مجدداً إلى خراسان فوصل إلى نيسابور قبل أن يستولي تكش عليها فلما سمع تكش بقربه منها سار عنها وتحصن بترمز وقصد السلطان فحصره بها ، وكان تكش قد أسر جماعة من أصحاب السلطان فأطلقهم واستقر الصلح بينهما ونزل تكش إلى أخيه السلطان ملكشاه ونزل عن ترمذ .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة تسلم مؤيد الملك بن نظام الملك تكريت من صاحبها المهرباط وفيها توفي أبو علي بن شبل الشاعر المشهور ومن شعره في الزهد :

أهم بترك الذنب ثم يردني طموح شباب بالگرام

موكل

ﻟﻤﻦ ﻟﻰ ﺇﺫﺍ ﺁﺧﺮﺕ ﺫﺍ ﺍﻟﻴﻮﻡ ﺗﻮﺑﺔ ﺑﺄﻥ ﺍﻟﻤﻨﺎﻳﺎ ﻟﻰ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﺸﻴﺐ
ﺗﻤﻬﻞ

ﻟﻤﻦ ﺃﺃﻋﺠﺰ ﺯﻋﻔﺂ ﻋﻦ ﺃﺩﺍ ﺣﻖ ﺧﺎﻟﻘﻰ ﻭﺁﺣﻤﻞ ﻭﺯﺭﺁ ﻓﻮﻕ ﻣﺎ
ﻳﺘﺤﻤﻞ

وفيهما أيضاً توفي العميد أبو منصور بالبصرة، وفيها توفي عبد السلام بن أحمد بن محمد بن جعفر أبو الفتح الصوفي من أهل فارس سافر الكثير وسمع الحديث بالعراق والشام ومصر وأصبهان وغيرها ، وكانت وفاته بفارس . ويوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن أبو الهيثم التفكري الزنجاني ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وسمع من أبي نعيم الحافظ وغيره وتفقه على أبي إسحاق الشيرازي وأدرك أبا الطيب الطبري وكان من العلماء العاملين المشتغلين بالعبادة .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة
ذكر خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه

في هذه السنة أرسل الخليفة الوزير فخر الدولة أبا نصر بن
جهير إلى السلطان يخطب ابنته لنفسه فسار فخر الدولة إلى
أصبهان إلى السلطان يخطب ابنته فأمر نظام الملك أن يمضي
معه إلى خاتون زوجة السلطان في المعنى ، فمضيا إليها
فخاطبها فقالت إن ملك غزنة وملوك الخانية مما وراء النهر
لجلبوها وخطبوها لأولادهم وبذلوا أربعمائة ألف دينار ، فان حمل
الخليفة هذا المال فهو أحق منهم فعرفتها أرسلان خاتون التي
كانت زوجة القائم بأمر الله ما يحصل لها من الشرف والفخر
بالاتصال بالخليفة وأن هؤلاء كلهم عبيده وخدمه ومثل الخليفة لا
يطلب منه المال فأجابت إلى ذلك وشرطت أن يكون الحمل
المعجل خمسين ألف دينار ، وأنه لا يبقى له سرية ولا زوجة غيرها
ولا يكون مبيته إلا عندها فأجبت إلى ذلك ، فاعطى السلطان يده
وعاد فخر الدولة إلى بغداد .

ذكر وفاة نور الدولة بن مزيد وإمارة ولده منصور

في هذه السنة في شوال توفي نور الدولة أبو الأغرديس بن
علي بن مزيد الأسدي بمطيراباذ وكان عمره ثمانين سنة ، وإمارته
سبع وخمسين سنة وما زال ممدحاً في كل زمان مذكوراً بالتفضل
والإحسان ، ورثاه الشعراء فاكثروا وولي بعده ما كان إليه ابنه أبو
كامل منصور ولقبه بهاء الدولة فاحسن السيرة واعتمد الجميل
وسار إلى السلطان ملكشاه في ذي القعدة واستقر له الأمر وعاد
في صفر سنة خمس وسبعين وخلع الخليفة أيضاً عليه .

ذكر محاصرة تميم بن المعز مدينة قابس

في هذه السنة حصر الأمير تميم بن المعز بن باديس صاحب إفريقية مدينة قابس حصاراً شديداً وضيق على أهلها وعادت عساكره في بساتينها المعروفة بالغابة فأفسدوها .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة سار تتش بعد عود شرف الدولة عن دمشق ، وقصد الساحل الشامي فافتتح انطرطوس وبعضاً من الحصون وعاد إلى دمشق وفيها ملك شرف الدولة - صاحب الموصل مدينة حران وأخذها من بني وثاب النميريين وصالحه صاحب الرهاء ونقش السكة باسمه وفيها سد ظفر القائمى بثق نهر عيسى وكان خراباً منذ ثلاث ، 9 وعشرين سنة وسد مراراً وتخرّب إلى أن سده ظفر .

وفيها أرسل السلطان إلى بغداد ليخرج الوزير أبو شجاع الذي وزر للخليفة بعد بني جهير ، فأرسله الخليفة إلى نظام الملك وسير معه رسولاً وكتب معه إلى نظام الملك كتاباً بخطه يأمره بالرضا عن أبي شجاع فرضي عنه وأعادته إلى بغداد . وفيها مات ابن السلطان ملكشاه واسمه داود فجزع عليه جزعاً شديداً وحزن حزناً عظيماً ومنع من أخذه وغسله حتى تغيرت رائحته وأراد قتل نفسه مرات فمنعه خواصه ، ولما دفن لم لا يطق المقام فخرج يتصيد وأمر بالنيابة عليه في البلد ففعل ذلك عدة أيام جلس له وزير الخليفة في العزاء ببغداد ، وفيها توفي عبدالله بن أحمد بن رضوان أبو القاسم وهو من أعيان أهل بغداد وكان مرضه شقيقة وبقي ثلاث سنين في بيت مظلم لا يقدر يسمع صوتاً ولا يبصر ضوءاً ، وفيها في ذي الحجة توفي أبو محمد بن أبي عثمان

المحدث وكان صالحاً يقرأ القرآن بمسجده بنهر القلائين ،
وتوفي علي بن أحمد بن علي أبو القاسم البصري البندار ومولده
سنة ست وثمانين وثلاثمائة سمع المخلص وغيره وكان ثقة صالحاً
وفيها توفي أبو إسحاق إبراهيم بن عقيل بن حبش القرشي
النحوي .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة

ذكر وفاة جمال الملك بن نظام الملك

في هذه السنة في رجب توفي جمال الملك منصور بن نظام الملك ، وورد الخبر بوفاته إلى بغداد في شعبان ، فجلس أخوه مؤيد الملك للعزاء وحضر فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الملك معزيين ، وأرسل الخليفة إليه في اليوم الثالث فأقامه من العزاء وكان سبب موته أن مسخرة كان للسلطان ملكشاه يعرف بجعفر ك يحاكي نظام الملك ويذكره في خلواته مع السلطان ، فبلغ ذلك جمال الملك وكان يتولى مدينة بلخ وأعمالها فسار من وقته يطوي المراحل إلى والده والسلطان وهما بأصبهان فاستقبله أخواه فخر الملك ومؤيد الملك ، فاغلظ لهما القول في إغضائهما على ما بلغه عن جعفر ك فلما وصل إلى حضرة السلطان رأى جعفر ك يسارره فانتهره ، وقال مثلك يقف هذا الموقف وينبسط بحضرة السلطان في هذا الجمع فلما خرج من عند السلطان أمر بالقبض على جعفر ك وأمر بإخراج لسانه من قفاه وقطعه فمات ، ثم سار مع السلطان وأبيه إلى خراسان وأقاموا بنيسابور مدة ثم أرادوا العود إلى أصبهان وتقدمهم نظام الملك فاحضر السلطان عميد خراسان وقال له : أيما أحب لك رأسك أم رأس جمال الملك ؟ فقال : بل رأسي . فقال : لئن لم تعمل في قتله لأقتلنك . فاجتمع بخادم يختص بخدمة جمال الملك وقال له سرّاً الأولى . أن تحفظوا نعمتكم ومناصبكم وتدبروا في قتل جمال الملك فإن السلطان يريد أن يأخذه ويقتله ولأن تقتلوه أنتم سرّاً أصلح لكم من أن يقتله السلطان ظاهراً ، فظن الخادم أن ذلك صحيح ، فجعل له سماً في كوز فقاع فطلب جمال الملك

فقاعاً فأعطاه الخادم ذلك الكوز ، فشربه فمات ، فلما علم
السلطان بموته سار مجدداً حتى لحق نظام الملك فاعلمه بموت
ابنه وعزاه ، وقال : أنا ابنك وأنت أولى من صبر واحتسب .

ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة

ورد إلى بغداد هذه السنة الشريف أبو القاسم البكري المغربي الواعظ وكان أشعري المذهب وكان قد قصد نظام الملك فاحبه ومال إليه وسيره إلى بغداد وأجرى عليه الجراية الوافرة فوعظ بالمدرسة النظامية وكان يذكر الحنابلة وبعيهم ويقول : {وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا} ، والله ما كفر أحمد ولكن أصحابه كفروا ، ثم انه قصد يوماً دار قاضي القضاة أبي عبدالله الدامغاني بنهر القلائين ، فجرى بين بعض أصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدت إلى الفتنة وكثر جمعه فكبس دور بني الفراء وأخذ كتبهم وأخذ منها كتاب الصفات لأبي يعلى ، فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسي للوعظ ، فيشنع به عليهم وجرى له معهم خصومات وفتن ولقب البكري من الديوان بعلم السنة ومات ببغداد ودفن عند قبر أبي الحسن الأشعري .

ذكر مسير الشيخ أبي إسحاق إلى السلطان في رسالة

في هذه السنة في ذي الحجة أوصل الخليفة المقتدي بأمر الله الشيخ أبا إسحاق الشيرازي إلى حضرته وحقله رسالة إلى السلطان ملكشاه ونظام الملك تتضمن الشكوى من العميد أبي الفتح بن أبي الليث عميد العراق وأمره أن يُنهي ما يجري على البلاد من النظار فसार ، فكان كلما وصل إلى مدينة من بلاد العجم يخرج أهلها إليه بنسائهم وأولادهم يتمسحون بركابه ويأخذون تراب بغلته للبركة وكان في صحبته جماعة من أعيان بغداد منهم الإمام أبو بكر الشاشي وغيره ، ولما وصل إلى ساوة خرج جميع أهلها وسأله فقهاؤها كل منهم أن يدخل بيته ، فلم يفعل ولقيه أصحاب الصناعات ومعهم ما ينثرونه على محفته فخرج الخبازون ينثرون

الخبز وهو ينهاتهم فلم ينتهوا ، وكذلك أصحاب الفاكهة والحلواء وغيرهم وخرج إليه الأساكفة وقد عملوا مداسات لطافاً تصلح لأرجل الأطفال ونثروها ، فكانت تسقط على رؤوس الناس فكان الشيخ يتعجب ويذكر ذلك لأصحابه بعد رجوعه ويقول : ما كان حظكم من ذلك النثار؟ فقال له بعضهم : ما كان حظ سيدنا منه ؟ فقال : أما أنا فغطيت بالمحفة وهو يضحك . فأكرمه السلطان ونظام الملك ، وجرى بينه وبين إمام الحرمين أبي المعالي الجويني مناظرة بحضرة نظام الملك ، وأجيب إلى جميع ما التمسه ولما عاد أهين العميد وكسر عما كان يعتمد عليه ورفعت يده عن جميع ما يتعلق بحواشي الخليفة ولما وصل الشيخ إلى بسطام خرج ،

إليه السهلي شيخ الصوفية بها وهو شيخ كبير ، فلما سمع الشيخ أبو إسحاق بوصوله خرج إليه ماشياً ، فلما رآه السهلي ألقى نفسه من دابة كان عليها وقبل يد الشيخ أبي إسحاق فقبل أبو إسحاق رجله وأقعده موضعه ، وجلس أبو إسحاق بين يديه وأظهر كل واحد منهما من تعظيم صاحبه كثيراً وأعطاه شيئاً من حنطة ذكر أنها من عهد أبي يزيد البسطامي ففرح بها أبو إسحاق .

ذكر حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها

في هذه السنة جمع تاج الدولة تتش جمعاً كثيراً ، وسار عن بغداد وقصد بلاد الروم أنطاكية وما جاورها ، فسمع شرف الدولة صاحب حلب الخبر فخافه ، فجمع أيضاً العرب من عقيل والأكراد وغيرهم فاجتمع معه جمع كثير ، فراسل الخليفة بمصر يطلب منه إرسال نجدة إليه ليحصر دمشق فوعده ذلك فسار إليها فلما سمع تتش الخبر عاد إلى دمشق فوصلها أول المحرم سنة ست وسبعين ، ووصل شرف الدولة أواخر المحرم وحصر المدينة ، وقتله أهلها وفي بعض الأيام خرج إليه عسكر دمشق وقتلوه وحملوا على عسكره حملة صادقة فانكشفوا وتضعضوا وانهزمت العرب وثبت شرف الدولة وأشرف على الأسر وتراجع إليه أصحابه ، فلما رأى شرف الدولة ذلك ورأى أيضاً أن مصر لم يصل إليه منها عسكر وأتاه عن بلاده الخبر أن أهل حران عصوا عليه ، فرحل عن دمشق إلى بلاده وأظهر أنه يريد البلاد بفلسطين فرحل أولاً إلى مرج الصفر فارتاع أهل دمشق وتتش واضطربوا، ثم انه رحل من مرج الصفر مشرقاً في البرية وجذ في مسيره فهلك من المواشي الكثير مع عسكره ومن الدواب شيء كثير وانقطع خلق كثير.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قدم مؤيد الملك بن نظام الملك إلى بغداد من أصبهان فخرج عميد الدولة بن جهير إلى لقائه ونزل بالمدرسة النظامية وضرب على بابه الطبول أوقات الصلوات الثلاث فأعطي مالاً جليلاً حتى قطعه وأرسل الطبول إلى تكريت .

وفيهما توفي أبو عمرو عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن منده الأصبهاني في جمادى الآخرة بأصبهان وكان حافظاً فاضلاً والأمير أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر بن ماكولا مصنف كتاب الاكمال ومولده سنة عشرين وأربعمائة وكان فاضلاً حافظاً قتله مماليكه الأتراك بكرمان وأخذوا ماله .

ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة
ذكر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة
ومسير والده فخر الدولة إلى ديار بكر

في هذه السنة في صفر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة
الخليفة ، ووصل يوم عزل رسول من السلطان ونظام الملك إلى
الخليفة يطلبان أن يرسل إليها بني جهير ، فأذن لهما في ذلك
وساروا بجميع أهلهم ونسائهم إلى السلطان فصادفوا منه ومن
نظام الملك الإكرام والاحترام ، وعقد السلطان لفخر الدولة بن
جهير على ديار بكر وخلع عليه وأعطاه الكوسات ، وسيّر معه
العساكر وأمره أن يقصدها ويأخذها من بني مروان وأن يخطب
لنفسه ويذكر اسمه على السكة ، فسار إليها ولما فارق بنو جهير
بغداد رتب في الديوان أبو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء وكان
قبل ذلك على أبنية الدار وغيرها.

ذكر عصيان أهل حران على شرف الدولة وفتحها

في هذه السنة عصى أهل حران على شرف الدولة مسلم بن
قريش وأطاعوا قاضيه ابن حلبة وأرادوا هم وابن عطير النميري
تسليم البلد إلى جبق أمير التركمان ، وكان شرف الدولة على
دمشق يحاصر تاج الدولة تتش بها ، فبلغه الخبر فعاد إلى حران
وصالح ابن ملاعب صاحب حمص وأعطاه سلمية ورفنية وبادر
بالمسير إلى حران فحصرها ورمها بالمنجنيق فخر من سورها
بدنة وفتح البلد في جمادى الأولى وأخذ القاضي ومعه ابنين له
فصلبهم على السور .

ذكر وزارة أبي شجاع محمد بن الحسين للخليفة

في هذه السنة عزل الخليفة أبا الفتح ابن رئيس الرؤساء من
النيابة في الديوان واستوزر أبا شجاع محمد بن الحسين وخلع عليه
الوزارة في شعبان ولقبه ظهير الدين

ومدحه الشعراء فاكثروا من مدحه وهنأه أبو المظفر محمد بن
العباس الأبيوردي بالقصيدة المشهورة التي أولها :
٦٦ ها إنها مقل الطباء العين فتكت بسر فؤادي المكنون
ومنها:

٦٦ فانهل أسراب الدموع كأنها منح يتابعها ظهير الدين

ذكر قتل أبي المحاسن بن أبي الرضا

في هذه السنة في شوال قتل سيد الرؤساء أبو المحاسن بن
كمال الملك أبي الرضا ، وكان قد قرب من السلطان ملكشاه
قرباً عظيماً ، وكان أبوه يكتب بالطغراء، فقال أبو المحاسن
للسلطان : سلم إليّ نظام الملك وأصحابه وأنا أسلم إليك منهم
ألف ألف دينار فإنهم يأكلون الأموال ويقتطعون الأعمال ، وعظم
عنده ذخائرهم فبلغ ذلك نظام الملك فعمل سماطاً عظيماً وأقام
عليه مماليكه وهم ألوف من الأتراك وأقام خيلهم وسلاحهم على
حيالهم فلما حضر السلطان قال له : إنني قد خدمتك وخدمت أباك
وجدك ولي حق خدمة وقد بلغك أخذي لعشر أموالك وصدق هذا أنا
أخذه وأصرفه إلى هؤلاء الغلمان الذين جمعتهم لك وأصرفه أيضاً
إلى الصدقات والصلات والوقوف التي أعظم ذكرها وشكرها
وأجرها لك وأموالي وجميع ما أملكه بين يديك ، وأنا أقنع بمرقعة
وزاوية فأمر السلطان بالقبض على أبي المحاسن وأن تشمل
عيناه وأنفذه إلى قلعة ساوة ، وسمع أبوه كمال الملك الخبر ،
فاستجار بدار نظام الملك فسلم وبذل مائتي ألف دينار وعزل عن
الطغراء ورتب مكانه مؤيد الملك بن نظام الملك .

ذكر استيلاء مالك بن علوي

على القيروان وأخذها منه

في هذه السنة جمع مالك بن علوي الصخري العرب فاكثروا
وسار إلى المهديّة فحصرها فقام الأمير تميم بن المعز قياماً تاماً
ورحله عنها ولم يظفر منها بشيء ، فسار مالك منها إلى القيروان
فحصرها وملكها فجرد إليه تميم العساكر العظيمة فحصره لما
فلما رأى مالك أنه لا طاقة له بتميم خرج عنها وتركها فاستولى
عليها عسكر تميم وعادت ،إلى ملكه كما كانت .

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة عم الرخص جميع البلاد فبلغ الكر الحنطة
الجيدة ببغداد عشرة دنانير ، وفيها في جمادى الآخرة توفي الشيخ
أبو إسحاق الشيرازي وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة
وأكثر الشعراء مراثيه فمنهم ابو الحسن الخباز والبندنجي
وغيرهما ، وكان رحمة الله عليه واحد عصره علماً وزهداً وعبادة
وسخاء وصلّى عليه في جامع القصر وجلس أصحابه للعزاء في
المدرسة النظامية ثلاثة أيام ، ولم يتخلف أحد عن العزاء وكان
مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد فرتب في التدريس أبا سعد عبد
الرحمن بن المأمون المتولي ، فلما بلغ ذلك نظام الملك أنكره
وقال كان يجب أن تغلق المدرسة بعد الشيخ أبي إسحاق سنة
وصلّى عليه بباب الفردوس وهذا لم يفعل على غيره وصلّى عليه
ال خليفة المقتدى بأمر الله .وتقدم في الصلاة عليه أبو الفتح بن
رئيس الرؤساء وهو ينوب في الوزارة ثم صلى عليه بجامع القصر
ودفن بباب أبرز .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة

ذكر الحرب بين فخر الدولة بن جهير

وابن مروان وشرف الدولة

قد تقدم ذكر مسير فخر الدولة بن جهير في العساكر السلطانية إلى ديار بكر فلما كانت هذه السنة سير السلطان إليه أيضاً جيشاً فيهم الأمير أرتق بن أكسب ، وأمرهم بمساعدته وكان ابن مروان قد مضى إلى شرف الدولة وسأله نصرته على أن يسلم إليه آمد وحلف كل واحد لصاحبه وكل منهما يرى أن صاحبه كاذب لما كان بينهما من العداوة المستحكمة ، واجتمعا على حرب فخر الدولة وسارا إلى آمد وقد نزل فخر الدولة بنواحيها فلما رأى فخر الدولة اجتماعهما مال إلى الصلح وقال : لا أؤثر أن يحل بالعرب بلاء على يدي ، فعرف التركمان ما عزم عليه فركبوا ليلاً وأتوا إلى العرب وأحاطوا بهم في ربيع الأول ، والتحم القتال واشتد فانهزمت العرب ولم يحضر هذه الواقعة الوزير فخر الدولة ولا أرتق ، وغنم التركمان حلل العرب ودوابهم وانهزم شرف الدولة وحمى نفسه حتى وصل إلى فصيل آمد وحصره فخر الدولة ومن معه ، فلما رأى شرف الدولة أنه محصور ، خاف على نفسه فراسل الأمير أرتق وبذل له مالاً وسأله أن يمن عليه بنفسه ويمكنه من الخروج من آمد - وكان هو على حفظ الطرق والحصار- فلما سمع أرتق ما بذل له شرف الدولة أذن له في الخروج فخرج منها في الحادي والعشرين من ربيع الأول وقصد الرقة وأرسل إلى أرتق بما كان وعده به وسار ابن جهير إلى ميفارقين ومعه من الأمراء الأمير بهاء الدولة منصور بن مزيد وابنه سيف الدولة صدقة ، ففارقوه وعادوا إلى العراق وسار فخر الدولة إلى خلاط ، ولما استولى العسكر السلطاني على حلل

العرب وغنموا أموالهم وسبوا حريمهم بذل سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد الأموال وافتك أسرى بني عقيل ونساءهم وأولادهم وجهزهم وردهم إلى بلادهم ففعل أمراً عظيماً وأسدى مكرمة شريفة ومدحه الشعراء في ذلك فأكثرُوا ، فمنهم محمد بن

خليفة السنبسي يذكر ذلك في قصيدة :

كما أحرزت شكر بني عقيل بآمد يوم كظهم الحذار

غداة رمّتهم الأثراك طراً بشهب في حوافلها ازورار

فما جنبوا ولكن فاض بحر عظيم لا تقاومه البحار

فحين تنازلوا تحت المنايا وفيهن الرزية والدمار

مئنت عليهم وفككت عنهم وفي أثناء حبلهم انتشار

ولولا أنت لم ينفك منهم أسير حين أعلقه الأسار

في أبيات كثيرة .

وذكر أيضاً البندنجي أبياتاً فأحسن ولولا خوف التطويل

لذكرت أبياته .

ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل

لما بلغ السلطان أن شرف الدولة انهزم وحصر بآمد لم يشك في أسره ، فخلع على عميد الدولة بن جهير وسيره في جيش كثيف إلى الموصل وكاتب أمراء التركمان بطاعته وسير معه من الأمراء آقسنقر تسيم الدولة جد ملوكنا أصحاب الموصل وهو الذي أقطعه السلطان بعد ذلك جلب ، وكان الأمير أرتق قد قصد السلطان ، فعاد صحبة عميد الدولة من الطريق فسعار عميد الدولة حتى وصل إلى الموصل فأرسل إلى أهلها يشير عليهم بطاعة السلطان وترك عصيانه ففتحوا له البلد وسلموه إليه وسار السلطان بنفسه وعساكره إلى بلاد شرف الدولة ليملكها ، فأتاه الخبر بخروج أخيه تكش على ما يذكره ورأى شرف الدولة قد خلص من الحصر فأرسل مؤيد الملك بن نظام الملك إلى شرف

الدولة وهو مقابل الرحبة فأعطاه العهود والمواثيق وأحضره عند السلطان وهو بالبوازيح ، فخلع عليه آخر رجب وكانت أمواله قد ذهبت فاقترض ما خدم به وحمل للسلطان خيلاً رائعة من جملتها فرسه بشار وهو فرسه المشهور الذي نجا عليه من المعركة ومن آمد أيضاً ، وكان سابقاً لا يجري فأمر السلطان بأن يسابق به الخيل فجاء سابقاً فقام السلطان قائماً لما بداخله من العجب وأرسل الخليفة النقيب طراد الزينبي في لقي شرف الدولة فلقه بالموصل فزاد أمر شرف الدولة قوة وصالحه السلطان وأقره على بلاده وعاد إلى خراسان لحرب أخيه .

قد تقدم ذكره وذكر مصالحته للسلطان فلما كان الآن ورأى بعد السلطان عنه عاود العصيان وكان أصحابه يؤثرون الاختلاط فحسنوا له مفارقة طاعة أخيه فأجابهم وسار معهم فملك مرو الروذ وغيرها إلى قلعة تقارب سرخس وهى لمسعود ابن الأمير ياخر وقد حصنها جهده ، فحصره بها ولم يبق غير أخذها منه فاتفق أبو الفتوح الطوسي صاحب نظام الملك وهو بنيسابور وعميد خراسان وهو أبو علي على أن يكتب أبو الفتوح ملطفاً إلى مسعود بن ياخر وكان خط أبي الفتوح أشبه شيء بخط نظام الملك ، يقول فيه : كتبت هذه الرقعة من الري يوم كذا ونحن سائرون من الغد نحوك فاحفظ القلعة ونحن نكبس العدو في ليلة كذا ، واسدعيا فيجا يثقون به وأعطياه دنانير صالحة وقالوا سر نحو مسعود فإذا وصلت إلى المكان الفلاني فأقم به ونم وأخف هذا الملطف في بعض حيطانه فستأخذك طلائع تكش فلا تعترف لهم حتى يضربوك فإذا فعلوا ذلك وبالغوا فأخرجهم لهم وقل إنك فارقت السلطان بالري ولك -منا الحباء والكرامة ففعل ذلك وجرى الأمر على ما وصفا وأحضر بين يدي تكش وضرب وعرض على القتل فأظهر الملطف وسلمه إليهم وأخبرهم أنه فارق السلطان ونظام الملك بالري في العساكر وهو سائر ، فلما وقفوا على الملطف وسمعوا كلام الرجل ساروا من وقتهم وتركوا خيامهم ودوابهم والقذور على النار فلم يصبروا على ما فيها وعادوا إلى قلعة ونج وكان هذا من الفرج العجيب ، فنزل مسعود وأخذ ما في المعسكر وورد السلطان إلى خراسان بعد ثلاثة أشهر ولولا هذا الفعل لنهب تكش إلى باب الري ولما وصل السلطان قصد تكش

وأخذه وكان قد حلف له بالإيمان أنه لا يؤذيه ولا يناله منه مكرره
فأتاه بعض من حضر بأن يجعل الأمر إلى ولده أحمد ففعل ذلك
فأمر أحمد بكحله فكحل وسجن .

ذكر فتح سليمان بن قتلمش أنطاكية

في هذه السنة سار سليمان بن قتلمش صاحب قونية واقصرا
وأعمالها من بلاد الروم إلى الشام فملك مدينة أنطاكية من أرض
الشام وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وسبب
ملك سليمان المدينة أن صاحبها الفردوس الرومي ، وكان قد سار
عنها إلى بلاد الروم ورتب بها شحنة ، وكان الفردوس مسيئاً إلى
أهلها وإلى جنده

أيضاً حتى إنه حبس ابنه فاتفق ابنه والشحنة على تسليم البلد إلى سليمان بن قتلмыш -- وكاتبوه ، يستدعونه فركب البحر في ثلاثمائة فارس ، وكثير من الرجال ، وخرج منه وسار في جبال وعرة ومضائق شديدة حق وصل إليها للموعد فنصب السلايم باتفاق من ، الشحنة ، ومن معه ، وصعد السور واجتمع بالشحنة ، وأخذ البلد في شعبان فقاتله أهل س البلد فهزمهم مرة بعد أخرى ، وقتل كثير من أهلها ثم عفا عنهم وتسلم القلعة المعروفة بالقسيان ، وأخذ من الأموال ما يجاوز الإحصاء ، وأحسن إلى الرعية وعدل فيهم وأمرهم بعمارة ما خرب ، ومنع أصحابه من النزول في دورهم ، ومخالطتهم ولما ملك لا- سليمان أنطاكية أرسل إلى السلطان ملكشاه يبشره بذلك ، وينسب هذا الفتح إليه لأنه من أهله وممن يتولى طاعته فظهر ملكشاه البشارة به وهناه الناس ، فمس قال فيه الأبيوردي من قصيدة مطلعها

:

لمعت كناصر الحصان الأشقر نأر بمعتلج الكتيب الأعفر ٦٦
وفتحت أنطاكية الروم التي نشرث معاقلها على الإسكندر ٦٧
وطئت مناكبها جياذك فانتنت تلقي أجنتها بناث -الأصفر ٦٨

وهى طويلة

ذكر قتل شرف الدولة وملك أخيه إبراهيم

قد تقدم ذكر ملك سليمان بن قتلмыш مدينة أنطاكية فلما ملكها أرسل إليه شرف الدولة مسلم بن قريش يطلب منه ما كان يحمله إليه الفردوس من المال ويخوفه معصية ، م السلطان ،

فأجابه : أما طاعة السلطان فهي شعاري ودياري والخطبة له
والسكة في بلادي ، وقد كاتبته بما فتح الله على يدي بسعاده من
هذا البلد ، وأعمال الكفار . وأما المال الذي كان يحمله صاحب
أنطاكية قبلي فهو كان كافراً ، وكان يحمل جزية رأسه وأصحابه
وأنا بحمد الله مؤمن ولا أحمل شيئاً . فنهبت شرف الدولة بلد
أنطاكية فنهبت سليمان أيضاً بلد حلب فلقيه أهل السواد يشكون
إليه نهبت عسكره فقال : أنا كنت أشد كراهية لما يجري ، ولكن
صاحبكم أحوطني إلى ما فعلت ولم تجر عادتي بنهب مال مسلم
ولا أخذ ما حرّمته الشريعة، وأمر أصحابه بإعادة ما أخذوه منهم
فأعاده . ثم ان شرف الدولة جمع الجموع من العرب والتركمان
وكان بمن معه جبق أمير التركمان في

أصحابه وسار إلى أنطاكية ليحصرها ، فلما سمع سليمان الخبر جمع عساكره ، وسار إليه فالتقيا في الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة في طرف من أعمال أنطاكية واقتتلوا ، فمال تركمان جبق إلى سليمان فانهزمت العرب وتبعهم شرف الدولة منهزماً فقتل بعد أن صبر وقتل بين يديه أربعمائة غلام من أحداث حلب وكان قبله يوم الجمعة . الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين وذكرته ههنا لننيع الحادثة بعضها بعضاً وكان أحول ، وكان قد ملك من السندية القي على نهر عيسى إلى منبج من الشام وما والاها من البلاد وكان في يده ديار ربيعة ومضر من أرض الجزيرة والموصل وحلب ، وما كان لأبيه وعمه قرواش وكان عادلاً حسن السيرة والأمن في بلاده عامّ ، والرخص شامل ، وكان يسوس بلاده سياسة عظيمة بحيث يسير الركب والراكبان فلا يخافان شيئاً ، وكان له في كل بلد وقرية عامل ، وقاض وصاحب خبر بحيث لا يتعدى أحد على أحد ، ولما قتل قصد بنو عقيل أخاه إبراهيم بن قريش وهو محبوس فأخرجوه وملكوه أمرهم ، وكان قد مكث في الحبس سنين كثيرة بحيث إنه لم يمكنه المشي والحركة لما أخرج ولما قتل شرف الدولة سار سليمان بن قتلمش إلى حلب فحصرها مستهل ربيع الأول سنة ثمان وسبعين فأقام عليها إلى خامس ربيع الآخر من السنة فلم يبلغ منها غرضاً فرحل عنها .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في صفر انقض كوكب من المشرق إلى المغرب كان حجمه كالقمر وضوؤه كضوئه وسار مدى بعيداً على مهل وتؤدة في نحو ساعة ولم يكن له شبيه من الكواكب .

وفيه ولد السلطان سنجر بن ملكشاه في الخامس والعشرين من رجب بمدينة سنجار من أرض الجزيرة مقارب الموصل بينهما يومان عند نزول السلطان بها وسماه أحمد ، وإنما قيل له سنجر باسم المدينة التي ولد فيها وأمه أم ولد .

وفي هذه السنة في جُمادى الأولى توفي الشيخ أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعي صاحب الشامل والكامل وكفاية المسائل وغيرها من التصانيف بعد أن أضر عدة سنين وكان مولده سنة أربعمائة . والقاضي أبو عبدالله

الحسين بن علي البغدادي المعروف بابن البقال وهو من
شيوخ أصحاب الشافعي وكان إليه القضاء بباب الأزج وحج لما
انقطع الحج على سبيل التجريد واسماعيل بن مسعدة بن
إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم أبو القاسم الاسماعيلي الجرجاني
ومولده سنة أربع وأربعمئة وكان إماماً فقيهاً شافعيّاً محدثاً أديباً
وداره مجمع العلماء .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة

ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة

في هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة طليطلة من بلاد الأندلس وأخذوها من المسلمين وهي من أكبر البلاد وأحصنها وسبب ذلك أن الأذفونش ملك الفرنج بالأندلس كان قد قوي شأنه وعظم ملكه وكثرت عساكره منذ تفرقت بلاد الأندلس وصار كل بلد بيد ملك فصاروا مثل ملوك الطوائف فحينئذ طمع الفرنج فيهم وأخذوا كثيراً من ثغورهم . وكان قد خدم قبل ذلك صاحبها القادر بالله بن المأمون بن يحيى بن ذي النون وعرف من أين يؤتى البلد وكيف الطريق إلى ملكه فلما كان الآن جمع الأذفونش عساكره وسار إلى مدينة طليطلة فحصرها سبع سنين وأخذها من القادر فازداد قوة إلى قوته وكان المعتمد على الله أبو عبدالله محمد بن عباد أعظم ملوك الأندلس من المسلمين ، وكان يملك أكثر البلاد مثل قرطبة وإشبيلية وكان يؤدي إلى الأذفونش ضريبة كل سنة فلما ملك الأذفونش طليطلة أرسل إليه المعتمد الضريبة على عادته فردها عليه ولم يقبلها منه ، فأرسل إليه يتهدده ويتوعده أنه يسير إلى مدينة قرطبة ويتملكها إلا أن يسلم إليه جميع الحصون التي في الجبل ويبقى السهل للمسلمين ، وكان الرسول في جمع كثير كانوا خمسمائة فارس فأنزله محمد بن عباد وفرق أصحابه على قواد عسكره ثم أمر كل من عنده منهم رجل أن يقتله وأحضر الرسول وصفه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا إلى الأذفونش فأخبروه الخبر وكان متوجهاً إلى قرطبة ليحاصرها فلما بلغه الخبر عاد إلى طليطلة ليجمع آلات الحصار ورحل المعتمد إلى إشبيلية .

ذكر استيلاء ابن جهير على آمد

في المحرم من هذه السنة ملك ابن جهير مدينة آمد . وسبب
ذلك أن فخر الدولة

ابن جهير كان قد أنفذ إليها ولده زعيم الرؤساء أبا القاسم ومعه جناح الدولة المعروف بالمقدم السالار وأرادوا قلع كرومها وبساتينها ، ولم يطمع مع ذلك في فتحها لحصانتها فعم أهلها الجوع وتعذرت الأقوات وكادوا يهلكون وهم صابرون على الحصار غير مكترئين به فاتفق أن بعض الجند نزل من السور لحاجة لهم وتركوا أسلحتهم مكانها فصعد إلى ذلك المكان عدد من العامة تقدمهم رجل من السواد يعرف بابي الحسن ، فلبس السلاح ووقف على ذلك المكان ونادى بشعار السلطان وفعل من معه كفعله وطلبوا زعيم الرؤساء فاتاهم وملك البلد واتفق أهل المدينة على نهب بيوت النصارى ، لما كانوا يلقون من نواب بني مروان من الجور والحكم وكان أكثرهم نصارى فانتقموا منهم.

ذكر ملكه أيضاً ميفارقين

في هذه السنة أيضاً في سادس جُمادى الآخرة ملك فخر الدولة ميفارقين ، وكان مقيماً على حصارها فوصل إليه سعد الدولة كوهرائين في عسكره نجدة له فجد في القتال فسقط من سورها قطعة ، فلما رأى أهلها ذلك نادوا بشعار ملكشاه وسلموا البلد إلى فخر الدولة وأخذ جميع ما استولى عليه من أموال بني مروان وأنفذه إلى السلطان مع ابنه زعيم الرؤساء فانحدر هو وكوهرائين إلى بغداد وسار زعيم الرؤساء منها إلى أصبهان في شوال وأوصل ما معه إلى السلطان .

ذكر ملك جزيرة ابن عمر

في هذه السنة أرسل فخر الدولة جيشاً إلى جزيرة ابن عمر وهي لبني مروان أيضاً فحاصروها فثار أهل بيت من أهلها يقال لهم بنو وهبان وهم من أعيان أهلها وقصدوا باباً للبلد صغيراً يقال له

باب البوبية لا يسلكه إلا الرجال لأنه يصعد إليه من ظاهر البلد
بدرج فكسروه وأدخلوا العسكر فملكه ، وانقرضت دولة بني
مروان فسبحان من لا يزول ملكه وهؤلاء بنو وهبان إلى يومنا هذا
كلما جاء إلى الجزيرة من يحصرها يخرجون من البلد ولم يبق
منهم من ، له شوكة ولا منزلة يفعل بها شيئاً وإنما بتلك الحركة
يؤخذون إلى الآن .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في ربيع الأول وصل أمير الجيوش في عساكر
مصر إلى الشام

فحصر دمشق وبها صاحبها تاج الدولة تتش فضيَّق عليه وقاتله
فلم يظفر منها بشيء فرحل عنها عائداً إلى مصر.

وفيهما كانت الفتنة بين أهل الكرخ وسائر المحال من بغداد
وأحرقوا من نهر الدجاج درب الآخر وما قاربه وأرسل الوزير أبو
شجاع جماعة من الجند ونهاهم عن سفك الدماء تخرجاً من الإثم
فلم يمكنهم تلافي الخطب فعظم.

وفيهما كانت زلزلة شديدة بخوزستان وفارس وكان أشدها
بارجان فسقطت الدور وهلك تحتها خلق كثير .

وفيهما في ربيع الأول هاجت ريح عظيمة سوداء بعد العشاء
وكثر الرعد والبرق وسقط على الأرض رمل أحمر وتراب كثير ،
وكانت النيران تضطرم في أطراف السماء وكان أكثرها بالعراق
وبلاد الموصل فألقت النخيل والأشجار وسقط معها صواعق في
كثير من البلاد حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت ، ثم انجلى
ذلك نصف الليل .

وفيهما في ربيع الآخر توفي إمام الحرمين أبو المعالي عبد
الملك بن عبدالله بن يوسف الجويني ومولده سنة سبع عشرة
وأربعمائة وهو الإمام المشهور في الفقه والأصولين وغيرهما من
العلوم ، وسمع الحديث من أبي محمد الجوهري وغيره .

وفيهما في ذي الحجة توفي محمد بن أحمد بن عبدالله بن أحمد
بن الوليد أبو علي المتكلم كان أحد رؤساء المعتزلة وأئمتهم ولزم
بيته خمسين سنة لم يقدر على أن يخرج منه من عامة بغداد وأخذ
الكلام عن أبي الحسين البصري وعبد الجبار الهمداني القاضي
ومن جملة تلاميذه ابن برهان وهو أكبر منه .

وفي هذه السنة توفي القاضي أبو الحسن هبة الله بن محمد بن السبيي قاضي الحريم بنهر معلى ومولده سنة أربع وتسعين وثلاثمائة وكان يذاكر الإمام المقتدي بأمر الله وولي ابنه أبو الفرج عبد الوهاب بين يدي قاضي القضاة ابن الدامغاني .
وفيهما في جُمادى الأولى توفي أبو العز بن صدقه وزير شرف الدولة ببغداد ، وكان قد قبض عليه شرف الدولة وسجنه بالرحبة فهرب منها إلى بغداد فمات بعد وصوله إلى مأمنه بأربعة أشهر وكان كريماً متواضعاً لم يغيره الولاية عن إخوانه .

وفيهـا في رجب توفي قاضي القضاة أبو عبدالله بن الدامغاني ومولده سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ودخل بغداد سنة تسع عشرة وأربعمائة وكان قد صـحب القاضي أبا العلا بن صاعد وحضر ببغداد مجلس أبي الحسين القدوري وولي قضاء القضاة بعده القاضي أبو بكر بن المظفر بن بـكران الشامي وهو من أكبر أصحاب القاضي أبي الطيب الطبري .

وفيهـا توفي عبد الرحمن بن مأمون بن علي أبو سعد المتولي مدرّس النظامية وهو من أصحاب القاضي حسين المروزي وتمم كتاب الإبانة .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة

ذكر قتل سليمان بن قتلمش

لما قتل سليمان بن قتلمش شرف الدولة مسلم بن قريش على ما ذكرناه أرسل إلى ابن الحيتي العباسي مقدم أهل حلب يطلب منه تسليمها إليه فأنفذ إليه ، واستمهله إلى أن يكاتب السلطان ملكشاه وأرسل ابن الحيتي إلى تتش صاحب دمشق بعده أن يسلم إليه حلب فسار تتش طالباً لحلب فعلم سليمان بذلك فسار نحوه مجدداً فوصل إلى تتش وقت السحر على غير تعبئة ، فلم يعلم به حتى قرب منه فعبأ أصحابه وكان الأمير أرتق بن أكسب مع تتش وكان منصوراً لم يشهد حرباً إلا وكان الظفر له ، وقد ذكرنا فيما تقدم حضوره مع ابن جهير على آمد وإطلاقه شرف الدولة من آمد ، فلما فعل ذلك خاف أن ينهي ابن جهير ذلك إلى السلطان ففارق خدمته ولحق بتاج الدولة تتش فاقطعه البيت المقدس وحضر معه هذه الحرب فأبلى فيها بلاءً حسناً وحرص العرب على القتال ، فانهزم أصحاب سليمان وثبت هو في القلب ، فلما رأى انهزام . عساكره ، أخرج سكيناً معه فقتل نفسه . وقيل : بل قتل في المعركة ، واستولى تتش على عسكره ، وكان سليمان بن قتلمش في السنة الماضية في صفر قد أنفذ جثة شرف الدولة إلى حلب على بغل ملفوفة في إزار وطلب من أهلها أن يسلموها إليه .

وفي هذه السنة في صفر أرسل تتش جثة سليمان في إزار ليسلموها إليه فأجابه أنه يكاتب السلطان ومهما أمره فعل فحصر تتش البلد ، وأقام عليه ، وضيّق على أهله ، وكان ابن الحيتي قد سلم كل برج من أبراجها إلى رجل من أعيان البلد ليحفظه وسلم

برجاً فيها إلى إنسان يعرف بابن الرعوي ، ثم إن ابن الحتيتي أوحشه بكلام أغلظ له فيه ، وكان هذا الرجل شديد القوّة ورأى ما الناس فيه من الشدة فدعاه ذلك إلى أن أرسل إلى تتش يستدعيه وواعده ليلة برفع الرجال إلى السور في الحبال

فأتى تتش الميعاد الذي ذكره ، فاصد الرجال في الحبال
والسلاليم وملك تتش المدينة واستجار ابن الحيتي بالأمير أرتق
فشفع فيه ، وأما القلعة فكان بها سالم بن مالك بن بدران وهو ابن
عم شرف الدولة مسلم بن قريش فأقام تتش يحصر القلعة سبعة
عشر يوماً فبلغه الخبر بوصول مقدمة أخيه السلطان ملكشاه
فرحل عنها .

ذكر ملك السلطان حلب وغيرها

كان ابن الحيتي قد كاتب السلطان ملكشاه يستدعيه ليسلم
إليه حلب لما خاف تاج الدولة تتش فسار إليه من أصبهان في
جمادى الآخرة ، وجعل على مقدمته الأمير برسق وبوزان وغيرهما
من الأمراء وجعل طريقه على الموصل فوصلها في رجب وسار
منها فلما وصل إلى حران سلّمها إليها ابن الشاطر فاقطعها
السلطان محمد بن شرف الدولة ، وسار إلى الرها وهي بيد الروم
فحصرها وملكها وكانوا قد اشتروها من ابن عطير ، وتقدم ذكر
ذلك ، وسار إلى قلعة جعبر فحصرها يوماً وليلة وملكها وقتل من
بها من بني قشير وأخذ جعبر من صاحبها وهو شيخ أعمى وولدين
له وكانت الأذية بهم عظيمة يقطعون الطرق ويلجئون إليها ، ثم
عبر الفرات إلى مدينة حلب فملك في طريقه مدينة منبج فلما
قارب حلب رحل عنها أخوه تتش وكان قد ملك المدينة كما ذكرناه
، وسار عنها يسلك البرية ومعه الأمير أرتق فأشار بكبس عسكر
السلطان وقال إنهم قد وصلوا ربهم وبدوابهم من التعب ما ليس
عندهم معه امتناع ، ولو فعل لظفر بهم فقال تتش لا أكسر جاه
أخي الذي أنا مستظل بظله فإنه يعود بالوهن علي أولاً ، وسار إلى
دمشق ولما وصل السلطان إلى حلب تسلم المدينة وسلم إليه

سالم بن مالك القلعة على أن يعوضه عنها قلعة جعبر وكان سالم قد امتنع بها أولاً فأمر السلطان أن يرمي إليه رشقاً واحداً بالسهم فرمى الجيش فكادت الشمس تحتجب لكثرة السهام فصانع عنها بقلعة جعبر وسلمها ، وسلم السلطان إليه قلعة جعبر ، فبقيت بيده ويبد أولاده إلى أن أخذها منهم نور الدين محمود بن زنكي على ما ذكره إن شاء الله تعالى ، وأرسل إليه الأمير نصر بن علي بن منقذ الكناني صاحب شيزر فدخل في طاعته وسلم إليه لاذقية وكفر طاب وفاميه فأجابه إلى المسالمة وترك قصده ، وأقر عليه شيزر ، ولما ملك السلطان حلب سلّمها إلى قسيم الدولة آقسنقر فعمرها وأحسن السيرة فيها ، وأما ابن الحيتي فانه كان واثقاً بإحسان السلطان ونظام الملك إليه فانه استدعاهما فلما ملك السلطان البلد

طلب أهله أن يعفيهم من ابن الحيتي فأجابهم إلى ذلك واستصحبه معه وأرسله إلى ديار بكر فافتقر . وتوفي بها على حال شديدة من الفقر وقتل ولده بانطاكية ، قتله الفرنج لما ملكوها.

ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مزيد وولاية ابنه صدقة

في هذه السنة في ربيع الأول توفي بهاء الدولة أبو كامل منصور بن ديبس بن علي بن مزيد الأسدي صاحب الحلة والنيل وغيرهما مما يجاورهما ، ولما سمع نظام الملك خبر وفاته قال مات أجل صاحب عمامة وكان فاضلاً قرأ على علي بن برهان فبرع بذكائه في الذي استفاد منه وله شعر حسن فمنه :
فان أنا لم أحمل عظيماً ولم أقد لها ما ولم أصبر على فعل
معظم

ولم أجر الجاني وأمنع حوزة غداة أنادي للفخار وانتمي
وله في صاحب له يكنى أبا مالك يرثيه :
فان كان أودى خدنا وندىما أبو مالك فالنائبات تنوب
فكل ابن أنثى لا محالة ميت وفي كل حي للبنون
نصيب

ولورد حزن أو بكاء لهالك بكيناه ما هيت صبا وجنوب

ولما توفي أرسل الخليفة إلى ولده سيف الدولة صدقة نقيب العلويين أبا الغنائم يعزيه وسار سيف الدولة إلى السلطان ملكشاه فخلع عليه وولاه ما كان لأبيه وأكثر الشعراء مراثي بهاء الدولة .

ذكر وقعة الزلاقة بالأندلس وهزيمة الفرنج

قد تقدم ذكر ملك الفرنج طليطلة وما نجعله المعتمد بن عباد
برسول الأذفونش ملك الفرنج وعود المعتمد إلى إشبيلية فلما غاد
إليها وسمع مشايخ قرطبة بما جرى ورأوا قوة الفرنج وضعف
المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض اجتمعوا
وقالوا : هذه بلاد الأندلس قد غلب عليها الفرنج ولم يبق منها إلا
القليل وإن استمرت الأحوال على ما نرى وعادت نصرانية كما
كانت ، وساروا إلى القاضي عبد الله بن محمد بن أدهم فقالوا له :
ألا تنظر إلى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة وإعطائهم

الجزية بعد أن كانوا يأخذونها، وقد رأينا رأياً نعرضه عليك قال : ما هو ؟ قالوا : نكتب إلى عرب إفريقية ونبذل لهم اذا وصلوا إلينا قاسمناهم أموالنا وخرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله قال : نخاف إذا وصلوا إلينا يخربون بلادنا كما فعلوا بإفريقية ويتركون الفرنج ويبدؤون بكم ، والمرابطون أصلح منهم وأقرب إلينا قالوا له : فكتب أمير المسلمين وارغب إليه ليعبر إلينا ويرسل بعض قواده ، وقدم عليهم المعتمد بن عبادوهم في ذلك فعرض عليه القاضي ابن أدهم ما كانوا فيه فقال له ابن عباد : أنت رسولي إليه في ذلك فامتنع ، وإنما أراد أن يبريء نفسه من تهمة فالح عليه المعتمد فسار إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فأبلغه الرسالة وأعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الأذفونش ، وكان أمير المسلمين بمدينة سبتة ففي الحال أمر بعبور العساكر إلى الأندلس وأرسل إلى مراکش في طلب من بقي من عساكره فأقبلت إليه تتلو بعضها بعضاً ، فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار فاجتمع بالمعتمد بن عباد بإشبيلية ، وكان قد جمع عساكره أيضاً وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطووعة من سائر بلاد الأندلس . ووصلت الأخبار إلى الأذفونش ، فجمع فرسانه وسار من طليطلة وكتب إلى أمير المسلمين كتاباً كتبه له بعض أدباء المسلمين يغلظ له القول ويصف ما عنده من القوة والعدد والعُد وبالع الكاتب في الكتاب ، فأمر أمير المسلمين أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه ، وكان كاتباً مفلحاً فكتب فأجاد ، فلما قرأه على أمير المسلمين ، قال : هذا كتاب طويل أحضر كتاب الأذفونش واكتب في ظهره الذي يكون ستره ، فلما عاد الكتاب إلى الأذفونش ارتاع لذلك وعلم أنه بلى برجل له عزم وحزم فأزداد استعداداً ،

فرأى فى منامه كأنه راكب فيل وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه، فقص رؤياه على القسيسين فلم يعرفوا تأويلها ، فأحضر رجلاً مسلماً عالماً بتعبير الرؤيا فقصها عليه فاستغفاه من تعبیرها فلم يعفه ، فقال : تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز وهو قوله تعالى : { ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل } (1) السورة وقوله تعالى : { فإذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير } (2) ويقتضى هلاك هذا الجيش الذي تجمعه ، فلما اجتمع جيشه رأى كثرتة فأعجبته ، فأحضر ذلك المعبر

(1) _____ سورة _____ الفيل _____ 1.

(2) _____ سورة _____ المدثر _____ 9.

وقال له : بهذا الجيش ألقى إله محمد صاحب كتابكم فانصرف
المعبر وقال لبعض المسلمين : هذا الملك هالك وكل من معه .
وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاث مهلكات)
الحديث وفيه (وإعجاب المرء بنفسه) .
وسار أمير المسلمين والمعتد بن عباد حتى أتوا أرضاً يقال
لها الزلاقة من بلد بطليوس ، وأتى الأذفونش ، فنزل موضعاً بينه
وبينهم ثمانية عشر ميلاً فقبل لأمر المسلمين إن ابن عباد ربما لم
ينصح ولا يبذل نفسه دونك فأرسل إليه أمير المسلمين يأمره أن
يكون في المقدمة ففعل ذلك وسار ، وقد ضرب الأذفونش خيامه
في لحف جبل والمعتد في سفح جبل يتراوون وينزل أمير
المسلمين وراء الجبل الذي عنده المعتد وظن الأذفونش أن
عساكر المسلمين ليس إلا الذي يراه وكان الفرنج في خمسين
ألفاً فتيقنوا الغلب ، وأرسل الأذفونش إلى المعتد فيء ميعات
القتال وقصده الملك فقال : غداً الجمعة وبعده الأحد فيكون اللقاء
يوم الاثنين فقد وصلنا على حال تعب واستقر الأمر على هذا.
وركب ليلة الجمعة سحراً وصبح بجيشه جيش المعتد بكرة
الجمعة غدراً وظناً منه أن ذلك المخيم هو جميع عسكر المسلمين
فوقع القتال بينهم ، فصبر المسلمون فاشرفوا على الهزيمة ،
وكان المعتد قد أرسل إلى أمير المسلمين يعلمه بمجيء الفرنج
للحرب فقال احملوني إلى خيام الفرنج فسار إليها ، فبينما هم في
القتال وصل أمير المسلمين إلى خيام الفرنج فنهبها وقتل من فيها
فلما رأى الفرنج ذلك لم يتمالكوا أن أنهزموا وأخذهم السيف
وتبعهم المعتد من خلفهم ولقيهم أمير المسلمين من بين يديهم
ووضع فيهم السيف فلم يفلت منهم أحد ونجا الأذفونش في نفر

يسير وجعل المسلمون من رؤوس القتلى كوماً كثيرة فكانوا يؤذون عليها إلى أن جيفت فأحرقوها، وكانت الواقعة يوم الجمعة فى العشر الأول من شهر رمضان سنة تسع وسبعين وأصاب المعتمد جراحات فى وجهه وظهرت ذلك اليوم شجاعته ، ولم يرجع من الفرنج إلى بلادهم غير ثلاثمائة فارس وغنم المسلمون كل مالهم من مال وسلاح ودوابٍ وغير ذلك .

وعاد ابن عباد إلى إشبيلية ورجع أمير المسلمين إلى الجزيرة الخضراء ، وعبر إلى سبتة وسار إلى مراكش فأقام بها إلى العام المقبل وعاد إلى الأندلس وحضر معه المعتمد بن عباد فى عسكره وعبد الله بن بلكين الصنهاجي صاحب غرناطة فى عسكره

وساروا حتى نزلوا على ليط وهو حصن منيع بيد الفرنج ، فحصره حصراً شديداً ، فلم يقدرُوا على فتحه فرحلوا عنه بعد مدة ولم يخرج إليهم أحد من الفرنج لما أصابهم في العام الماضي فعاد ابن عباد إلى إشبيلية وعاد أمير المسلمين على غرناطة وير طريقه ، ومعه عبد الله بن بلكين فغدر به أمير المسلمين وأخذ غرناطة منه وأخرجه منها فرأى في قصوره من الأموال والذخائر ما لم يحوه ملك قبله بالأندلس ومن جملة ما وجد سبحة فيها أربعمئة جوهرة قومت كل جوهرة بمائة دينار ، ومن الجواهر ما له قيمة جليلة إلى غير ذلك من الثياب والعدد وغيرها وأخذ معه عبد الله وأخاه تميمًا ابني بلكين إلى مراكش فكانت غرناطة أول ما ملكه من بلاد الأندلس . وقد ذكرنا فيما تقدم سبب دخول صنهاجة إلى الأندلس وعود من عاد منهم إلى المعز بإفريقية وكان آخر من بقي منهم بالأندلس هذا عبد الله وأخذت مدينته ورحل إلى العدو ، ولما رجع أمير المسلمين إلى مراكش أطاعه من كان لم يطعه من بلاد السوس وورغة وقلعة مهدي . وقال له علماء الأندلس : إنه ليست طاعته بواجبة حتى يخطب للخليفة ويأتيه تقليد منه بالبلاد ، فأرسل إلى الخليفة المقتدي بأمر الله ببغداد فأتاه الخلع والأعلام والتقليد ولقب بأمر المسلمين وناصر الدين .

ذكر دخول السلطان إلى بغداد

في هذه السنة دخل السلطان ملكشاه بغداد في ذي الحجة بعد أن فتح حلب وغيرها من بلاد الشام والجزيرة وهي أول قدمة قدمها ونزل بدار المملكة وركب من الغد إلى الحلب ولعب بالجوكان والكرة وأرسل إلى الخليفة هدايا كثيرة فقبلها الخليفة . ومن الغد أرسل نظام الملك إلى الخليفة خدمة كثيرة فقبلها وزار

السلطان ونظام الملك مشهد موسى بن جعفر وقبر معروف
وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة وغيرها من القبور المعروفة فقال ابن
زكرويه الواسطي يهنئ نظام الملك بقصيدة منها :
٦ ٥ زرت المشاهد زورة مشهودة أرضت مضاجع من بها
مدفون

٧ ٥ فكأنك الغيث استهل بتربها وكأنها بك روضة ومعين
٨ ٥ فازت قداحك بالثواب وأنجحت ولك الإله على النجاح
ضمين

وهي مشهورة .

وطلب نظام الملك إلى دار الخلافة ليلاً فمضى في الزرب وعاد من ليلته ومضى السلطان ونظام الملك إلى الصيد في البرية فزارا المشهدين مشهد أمير المؤمنين عليّ ومشهد الحسين عليهما السلام ودخل السلطان البر فاصطاد شيئاً كثيراً من الغزلان وغيرها وأمر ببناء منارة القرون بالسبيعي ، وعاد السلطان إلى بغداد ودخل إلى الخليفة فخلع عليه انخلع السلطانية ولما خرج من عنده لم يزل نظام الملك قائماً يقدم أميراً أميراً إلى الخليفة وكلما قدم أميراً يقول هذا العبد فلان بن فلان وأقطاعه كذا وكذا وعدة عسكره كذا وكذا إلى أن أتى على آخر الأمراء . وفوض الخليفة إلى السلطان أمر البلاد والعباد وأمره بالعدل فيهم وطلب السلطان أن يقبل يد الخليفة فلم يجبه فسال أن يقبل خاتمه فأعطاه إياه فقبله ووضع على عينه وأمره الخليفة بالعود فعاد . وخلع الخليفة أيضاً على نظام الملك ودخل نظام :الملك إلى المدرسة النظامية وجلس في خزانة الكتب وطالع فيها كتباً وسمع الناس عليه بالمدرسة جزء حديث وأملى جزءاً آخر وأقام السلطان ببغداد إلى صفر سنة ثمانين وسار منها إلى أصبهان .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في المحرم جرى بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة فتنة قتل فيها جماعة من جملتهم القاضي أبو الحسن نجن القاضي الحسين بن الغريق الهاشمي الخطيب أصابه سهم فمات منه ، ولما قتل تولى ابنه الشريف أبو تمام ما كان إليه من الخطابة وكان العميد كمال الملك - الدهستاني ببغداد فسار بخيله ورجله إلى القنطرة العتيقة ، وأعان أهل الكرخ ثم جرت بينهم فتنة ثانية في شوال منها ، فأعان الحجاج على أهل الكرخ فانهزموا وبلغ

الناس إلى درب اللؤلؤ ، وكاد أهل الكرخ يهلكون فخرج أبو الحسن
بن برغوث العلوي إلى مقدم الأحداث من السنة فسأله العفو فعاد
عنهم ورد الناس .

وفيهما زاد الماء بدجلة تاسع عشر حزيران وجاء المطر يومين
ببغداد. وفيها في ربيع الأول أرسل العميد كمال الملك إلى الأنبار
فتسلمها من بني عقيل وخرجت مزأيديهم . وفيها في ربيع الآخر
فرغت المنارة بجامع القصر وأذن فيها . وفيها في جمادى الأولى
ورد الشريف أبو القاسم علي بن أبي يعلى الحسيني الدبوسي إلى
بغداد في تجميل عظيم لم ير مثله لفقيه ورتب مدرساً بالنظامية
بعد أبي سعد المتولي .

وفيهما أمر السلطان أن يزاد في إقطاع وكلاء الخليفة نهر برزى من طريق خراسان وعشرة آلاف دينار من معاملة بغداد وفيها أقطع السلطان ملكشاه محمد بن شرف الدولة مسلم مدينة الرحبة وأعمالها وحران وسروج والرقعة والخابور وزوجه بأخته زليخا خاتون فتسلم البلاد جميعها ما عدا حران فإن محمداً بن الشاطر امتنع من تسليمها فلما وصل السلطان إلى الشام نزل عنها ابن الشاطر فسلمها السلطان إلى محمد . وفيها وقع ببغداد صاعقتان فكسرت إحداهما اسطوانتين وأحرقت قطناً في صناديق ولم تحترق الصناديق وقتلت الثانية رجلاً وفيها كانت زلازل بالعراق والجزيرة والشام وكثير من البلاد فخربت كثيراً من البلاد وفارق الناس مساكنهم إلى الصحراء فلما سكنت عادوا . وفيها عزل فخر الدولة بن جهير عن ديار بكر وسلمها السلطان إلى العميد أبي علي البلخي وجعله عاملاً عليها . وفيها أسقط اسم الخليفة المصري من الحرمين الشريفين وذكر اسم الخليفة المقتدي بأمر الله . وفيها أسقط السلطان المكوس والاجتيازات بالعراق .

وفيهما حصر تميم بن المعز بن باديس صاحب إفريقية مدينتي قابس وسفاقس في وقت واحد وفرق عليها العساكر . وفيها في ربيع الأول توفي أبو الحسن بن فضال المجاشعي النحوي المقرئ وفي ربيع الآخر توفي شيخ الشيوخ أبو سعد الصوفي النيسابوري وهو الذي تولى بناء الرباط بنهر المعلى وبنى وقوفه وهو رباط شيخ الشيوخ الآن ، وبنى وقوف المدرسة النظامية وكان عالي الهمة كثير التعصب لمن يلتجئ إليه وجدد تربة معروف الكرخي بعد أن احترقت وكانت له منزلة كبيرة عند السلطان وكان يقال

نحمد الله الذي أخرج رأس أبي سعد من مرقعة ولو أخرجه من
قباء لهلكننا. رفيها توفي أبو علي محمد بن أحمد الشيري البصري
وكان خيراً حافظاً للقرآن ذا مال كثير وهو آخر من روى سنن أبي
داود السجستاني عن أبي عمر الهاشمي . وفيها توفي الشريف أبو
نصر الزيني العباسي نقيب الهاشمين وهو محدث مشهور عالي
الإسناد .

ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة

ذكر زفاف ابنة السلطان إلى الخليفة

في المحرم نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه إلى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملاً مجللة بالديباج الرى مي وكان أكثر الأحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى أربعة وسبعين بغلاً مجللة بأنواع الديباج الملكي وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة ، وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقاً من فضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلي وبين يدي البغال ثلاثة وثلاثون فرساً من الخيل الرائقة عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجواهر ومهد عظيم كثير الذهب وسار بين يدي الجهاز سعد الدولة كوهرائين والأمير برسق وغيرهما ونثر أهل نهر معلى عليهم الدنانير والثياب وكان السلطان قد خرج عن بغداد متصيداً ثم أرسل الخليفة الوزير أبا شجاع إلى ترکان خاتون زوجة السلطان وبين يديه نحو ثلاثمائة موكبية ومثلها مشاعل ولم يبق في الحريم دكان إلا وقد أشعل فيها الشمعة والاثنتان وأكثر من ذلك وأرسل الخليفة مع ظفر خادمه محفة لم ير مثلها حسناً وقال الوزير لترکان خاتون : سيدنا ومولانا أمير المؤمنين يقول : { إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها } (١) وقد أذن في نقل الوديعة إلى داره . فأجابت بالسمع والطاعة وحضر نظام الملك فمن دونه من أعيان دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير وجاء نساء الأمراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة في جماعتها وتجملها وبين أيديهن الشمع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان ، ثم جاءت الخاتون ابنة

السلطان بعد الجميع في محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر
أكثر شيء وقد أحاط بالمحفة مائتا جارية من الأتراك

(1) _____ سورة _____ النساء _____ 58.

بالمراكب العجبية وسارت إلى دار الخلافة وكانت ليلة مشهودة لم تر ببغداد مثلها فلما كان الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان لسماط أمر بعمله حكى أن فيه أربعين ألف مناً من السكر وخلع عليهم كلهم وعلى كل من له ذكر في العسكر وأرسل الخلع إلى الخاتون زوجة السلطان وإلى جميع الخواتين وعاد السلطان من الصيد بعد ذلك .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ولد للسلطان ابن من ترکان خاتون وسماه محموداً وهو الذي خطب له بالمملكة بعد. وفيها سلم السلطان ملكشاه مدينة حلب والقلعة إلى مملوكه آقسنقر فوليا وأظهر فيها العدل وحسن السيرة وكان زوج دالة السلطان ملكشاه وهى التي تحضنه وتربيته وماتت بحلب سنة أربع وثمانين . وفيها استبق ساهيان أحدهما للسلطان فضلي والآخر للأمير قماج مرعوشي فسبق ساعي السلطان . وقد تقدم ذكر الفضلي والمرعوشي أيام معز الدولة بن بويه . وفيها جعل السلطان ولي عهده ولده أبا شجاع احمد ولقبه ملك الملوك عضد الدولة وتاج الملة عدة أمير المؤمنين وأرسل إلى الخليفة بعد مسيره من بغداد ليخطب له ببغداد بذلك فخطب له في شعبان ونثر الذهب على الخطباء . وفيها في شعبان انحدر سعد الدولة كوهرائين إلى واسط لمحاربة مهذب الدولة بن أبي الجبر صاحب البطايح ولما فارق بغداد كثرت فيها الفتن . وفيها في ذي القعدة ولد للخليفة من ابنة السلطان ولد سماه جعفرأً وكناه أبا الفضل وزين البلد لأجل ذلك . وفيها استولى العميد كمال الملك أبو الفتح الدهستاني عميد العراق على مدينة هيت أخذها صلحاً ومضى إليها وعاد عنها في ذي

القعدة . وفيها وقعت فتنة بين أهل الكرخ وغيرها من المحال قتل فيها كثير من الناس . وفيها كسفت الشمس كسوفاً كلياً . وفيها توفي الأمير أبو منصور قتلغ أمير الحاج وحج أميراً اثنتي عشرة سنة وكانت له في العرب عدة وقعات وكانوا يخافونه ولما مات قال نظام الملك مات اليوم ألف رجل ، وولي إمارة الحاج نجم الدولة خمارتكين .

وفيه في جُمادى الأولى توفي اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن سعد أبو القاسم الساوي سمع الحديث الكثير من أبي سعيد الصيرفي وغيره وروى عنه الناس وكان ثقة ، وطاهر بن الحسين أبو الوفا البنديجي الهمذاني كان شاعراً أديباً ، وكان يمدح لا لعرض الدنيا ومدح نظام الفلك بقصيدتين كل واحدة كنهما تزيد على أربعين بيتاً

إحداهما ليس فيها نقطة والأخرى جميع حروفها منقوطة . وفيها
توفيت فاطمة بنت علي المؤدب المعروفة ببنت الأقرع الكاتبة
كانت من أحسن الناس خطأً على طريقة ابن البواب وسمعت
الحديث وأسمعته . وفيها في ذي القعدة توفي غرس النعمة أبو
الحسن محمد بن الصابي صاحب التاريخ وظهر له مال كثير وكان
له معروف وصدقة .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة

ذكر الفتنة ببغداد

في هذه السنة في صفر شرع أهل باب البصرة في بناء القنطرة الجديدة ونقلوا

الآجر في أطباق الذهب والفضة وبين أيديهم الدباب واجتمع إليهم أهل المحال وكثر عندهم أهل باب الأزج في خلق لا يحصى واتفق أن كوهرائين سار في سميرية وأصحابه يسرون على شاطئ دجلة بسيره ، فوقف أهل باب الأزج على امرأة كانت تسقي الناس من مزملة لها على دجلة فحملوا عليها على عادة لهم وجعلوا يكسرون الجرار ويقولون : الماء للسبيل ، فلما رأت سعد الدولة كوهرائين استغاثت به فأمر بإبعادهم عنها فضربهم الأتراك بالمقارع فسلّ العامة سيوفهم وضربوا وجه فرس حاجبه سليمان وهو أخص أصحابه فسقط عن الفرس فحمل كوهرائين الحنق على أن خرج من السميرية إليهم راجلاً فحمل أحدهم عليه فطعنه بأسفل رمحه فألقاه في الماء والطين ، فحمل أصحابه على العامة فقاتلوهم وحرصوا على الظفر بالذي طعنه فلم يصلوا إليه وأخذ ثمانية نفر فقتل أحدهم وقطع أعصاب ثلاثة نفر وأرسل قباءه إلى الديوان وفيه أثر الطعنة والطين يستنفر على أهل باب الأزج ثم إن أهل الكرخ عقدوا لأنفسهم طاقاً آخر على باب طاق الحراني وفعلوا كفعل أهل باب البصرة .

ذكر إخراج الأتراك من حريم الخلافة

في هذه السنة في ربيع الآخر أمر الخليفة بإخراج الأتراك الذين مع الخاتون

زوجته ابنة السلطان من حريم دار الخلافة . وسبب ذلك أن تركياً منهم اشترى من طوّاف فاكهة فتماكسا فشتم الطواف التركي

فاخذ التركي صنجة من الميزان وضرب بها رأس الطواف فشجّه
فاجتمعت العامة وكاد يكون بينهم وبين الأتراك شر واستغاثوا

وشنعوا ، فأمر الخليفة بإخراج الأتراك فاخرجوا عن آخرهم في ساعة واحدة على أقبح صورة وقت العشاء الآخرة .

ذكر ملك الروم مدينة زويلة وعودهم عنها

في هذه السنة فتح الروم مدينة زويلة من إفريقية وهي بقرب المهديّة وسبب ذلك

أن الأمير تميم بن المعز بن باديس صاحبها أكثر غزو بلادهم في البحر فخرّبها وشتت أهلها ، فاجتمعوا من كل جهة واتفقوا على إنشاء الشواني لغزو المهديّة ودخل معهم البيسانيون والجنويون وهما من الفرنج ، فأقاموا يعمرّون الأسطول أربع سنين واجتمعوا بجزيرة قوصرة في أربعمئة قطعة فكتب أهل قوصرة كتاباً على جناح طائر يذكرون وصولهم وعدّهم لي حكمهم على الجزيرة ، فأراد تميم أن يسير عثمان بن سعيد المعروف بالمهر مقدم الأسطول الذي له ليمنعهم من النزول فمنعه من ذلك بعض قواده اسمه عبد الله بن منكوت لعداوة بينه وبين المهر ، فجاءت الروم وأرسوا وطلعوا إلى البر ونهبوا وخرّبوا وأحرقوا ودخلوا زويلة ونهبوها وكانت عساكر تميم غائبة في قتال الخارجين عن طاعته ثم صالح تميم الروم على ثلاثين ألف دينار ورد جميع ما حوّه من السبي . وكان تميم يبذل المال الكثير في الغرض الحقيق فكيف في الغرض الكبير . حكى عنه أنه بذل للعرب لما استولى على حصن له يسمى قناطة ليس بالعظيم اثني عشر ألف دينار حتى هدمه فقليل له هذا سرف في المال فقال هو شرف في الحال .

ذكر وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور

في هذه السنة مات الناصر بن علناس بن حماد وولي بعده ابنه المنصور فاقتفي

آثار أبيه في الحزم والعزم والرياسة ووصله كتب الملوك ورسلمهم
بالتعزية بابيه والتهنئة بالملك منهم يوسف بن تاشفين وتميم بن
المعز وغيرهما .

ذكر وفاة إبراهيم ملك غزنة وملك ابنه مسعود

في هذه السنة توفي الملك المؤيد إبراهيم بن مسعود بن محمود
بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلاً كريماً مجاهداً وقد ذكرنا من
فتوحه ما وصل إلينا وكان عاقلاً ذا رأي متين ، فمن آرائه أن
السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي جمع عساكره ،
وسار يريد غزنة ونزل بأسفرار فكتب إبراهيم بن مسعود كتاباً إلى
جماعة من أعيان أمراء

ملكشاه يشكرهم ويعتذر لهم بما فعلوا من تحسين قصد ملكشاه بلاده ليتم لنا ما استقر بيننا من الظفر به ، وتخليصهم من يده ويعدهم للإحسان على ذلك وأمر القاصد بالكتب أن يتعرض للملكشاه في الصيد ففعل ذلك ، فاخذ وأحضر عند السلطان فسأله عن حاله فأنكره فأمر السلطان بجلده فجلد فدفع الكتب إليه بعد جهد ومشقة فلما وقف ملكشاه عليها تحيل من أمرائه وعاد ولم يقل لأحد من أمرائه في هذا الأمر شيئاً خوفاً أن يستوحشوا منه ، وكان يكتب بخطه كل سنة مصحفاً وبيعته مع الصدقات إلى مكة وكان يقول : لو كنت موضع أبي مسعود بعد وفاة جدي محمود لما انفصمت عرى مملكتنا ولكني الآن عاجز عن أن أسترد ما أخذوه واستولى عليه ملوك قد اتسعت مملكتهم وعظمت عساكرهم ، ولما توفي ملك بعده ابنه مسعود ولقبه جلال الدين وكان قد زوجه أبوه بابنه السلطان ملكشاه وأخرج نظام الملك في هذه الأملاك والزفاف مائة ألف دينار. ذكر عدة حوادث في هذه السنة حج الوزير أبو شجاع وزير الخليفة واستتاب ابنه ربيب الدولة أبا منصور ونقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي . وفيها أسقط السلطان ما كان يؤخذ من الحجاج من الخفاوة . وفيها جمع آقسنقر صاحب حلب عسكره وسار إلى قلعة شيزر فحصرها وصاحبها ابن منفذ وضيق عليها ونهب ربضها ثم صالحه صاحبها وعاد إلى حلب . وفيها توفي أبو بكر أحمد بن أبي حاتم عبد الصمد بن أبي الفضل الغورجي الهروي والقاضي محمود بن محمد بن القاسم أبو عامر الأزدي المهلبى راوية جامع الترمذي عن أبي محمد الجراحي رواه عنهما أبو الفتح الكروخي ، وتوفي عبد الله بن محمد بن علي بن محمد أبو إسماعيل الأنصاري الهروي شيخ

الإسلام ومولده سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وكان شديد التعصب في المذاهب ومحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الباقرجي ومولده في شعبان وهو من أهل الحديث والرواية .

وفي المحرم توفيت ابنة الغالب بالله بن القادر ودفنت عند قبر أحمد وكانت ترجع

إلى دين ومعروف كثير لم يبلغ أحد في فعل الخير ما بلغت . وفي شعبان توفي عبد العزيز الصحراوي الزاهد، وفيها توفي الملك أحمد بن السلطان ملكشاه بمرو وكان ولي عهد أبيه في السلطنة وكان عصره إحدى عشرة سنة وجلس الناس ببغداد للعزاء سبعة أيام في دار الخلافة ولم يركب أحد فرساً وخرج النساء ينحن في الأسواق واجتمع الخلق الكثير في الكرخ للتفرج والمناحات وسود أهل الكرخ أبواب عقودهم إظهاراً للحزن به .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة

ذكر الفتنة ببغداد بين العامة

في هذه السنة في صفر كبس أهل باب البصرة الكرخ فقتلوا رجلاً وجرحوا آخر فاغلق أهل الكرخ الأسواق ورفعوا المصاحف وحملوا ثياب الرجلين بالدم ومضوا إلى دار العميد كمال الملك أبي الفتح الدهستاني مستغيثين ، فأرسل إلى النقيب طراد بن محمد يطلب منه إحضار القاتلين فقصد طراد دار الأمير بوزان بقصر ابن المأمون فطالبه بوزان بهم ووكل به ، فأرسل الخليفة إلى بوزان يعرفه حال النقيب طراد ومحلّه ومنزلته فخلّى سبيله واعتذر إليه فسكن العميد كمال الملك الفتنة وكفّ الناس بعضهم عن بعض ، ثم سار إلى السلطان فعاد الناس إلى ما كانوا فيه من الفتنة . ولم ينقض يوم إلا عن قتلى وجرحى .

ذكر ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر

في هذه السنة ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر وسبب ذلك أن سمرقند كان قد ملكها أحمد خان بن خضرخان أخو شمس الملك الذي كان قبله وهو ابن أخي ترکان خاتون زوجة السلطان ملكشاه وكان صبيّاً ظالماً قبيح السيرة يكثر مصادرة الرعية فنفروا منه وكتبوا إلى السلطان سراً يستغيثون به ويسألونه القدوم عليهم ليملك بلادهم ، وحضر الفقيه أبو طاهر بن علك الشافعي عند السلطان شاكياً ، وكان يخاف من أحمد خان لكثرة ماله ف أظهر السفر للتجارة والحج فاجتمع بالسلطان وشكا إليه وهو فيها رسول ملك الروم ومعه الخراج المقرر عليه ، فأخذه نظام الملك معهم إلى ما وراء النهر وحضر فتح البلاد فلما وصل إلى كاشغر أذن له نظام الملك في العود إلى بلاده ، وقال : أحب

أن يذكر عنا في التواريخ أن ملك الروم حمل الجزية وأوصلها إلى
باب كاشغر

لينهي إلى صاحبه سعة ملك السلطان ليعظم خوفه منه ولا يحدث نفسه بخلاف الطاعة ، وهذا يدل على همة عالية تعلو على العيوق . ولما سار السلطان من اصبهان إلى خراسان جمع العساكر من البلاد جميعها فعبر النهر بجيوش لا يحصرها ديوان ولا تدخل تحت الإحصاء ، فلما تقطع النهر قصد بخارى وأخذ ما على طريقه ثم سار إليها وملكها وما جاورها من البلاد ، وقصد سمرقند ونازلها وكانت الملطفات قد قدمها إلى البلد يعدهم النصر والخلاص مما هم فيه من الظلم ، وحصر البلد وضيق عليه وأعانه أهل البلد بالإقامات .

وفرق أحمد خان صاحب سمرقند أبراج السور على الأمراء ومن يثق إليه من أهل

البلد ، وسلم برجاً يقال له برج العيار إلى رجل علوي كان مختصاً به فنصح في القتال فاتفق أن ولدأ لهذا العلوي أخذ أشيراً ببخارى فهدد الأب بقتله فتراخى عن القتال فسهل الأمر على السلطان ملكشاه ورمى من السور عدة ثلم بالمنجنيقات ، وأخذ ذلك البرج فلما صعد عسكر السلطان إلى السور هرب أحمد خان واختفي في بيوت بعض العامة فغمر عليه ، وأخذ وحمل إلى السلطان وفي رقبته حبل فأكرمه السلطان وأطلقه وأرسله إلى أصبهان ومعه من يحفظه ورتب بسمرقند الأمير العميد أبا طاهر عميد خوارزم . وسار السلطان قم اصداً إلى كاشغر فبلغ إلى بوزكند وهو بلد يجري على بابه نهر ، وأرسل منها رسلاً إلى ملك كاشغر يأمره بإقامة الخطبة وضرب السكة باسمه ويتوعده إن خالف بالمسير إليه ، ففعل ذلك وأطاع وحضر عند السلطان فأكرمه وعظمه وتابع الإنعام عليه وأعاده إلى بلده . ورجع السلطان إلى خراسان فلما

أبعد عن سمرقند لم يتفق أهلها وعسكرها المعروفون بالجلكية مع العميد أبي طاهر نائب السلطان عندهم حتى كادوا يشون عليه فاحتال حتى خرج من عندهم ومضى إلى خوارزم .

ذكر عصيان سمرقند

كان مقدم العسكر المعروف بالجلكية واسمه عين الدولة قد خاف السلطان لهذا الحادث فكاتب يعقوب تكين أخا ملك كاشغر- ومملكته تعرف بآب نباشي وبيده قلعتها - واستحضره فحضر عنده بسمرقند واتفقا ، ثم إن يعقوب علم أن أمره لا يستقيم معه فوضع عليه الرعية الذين كان أساء إليهم حتى ادعوا عليه دماء قوم كان قتلهم ، وأخذ الفتاوى عليه وقتله واتصلت الأخبار بالسلطان ملكشاه بذلك فعاد إلى سمرقند .

ذكر فتح سمرقند الفتح الثاني

لما اتصلت الأخبار بعصيان سمرقند بالسلطان ملكشاه وقتل عين الدولة مقدم الجكلية عاد إلى سمرقند فلما وصل إلى بخارى هرب يعقوب المستولي على سمرقند ، ومضى إلى فرغانة ولحق بولايته ووصل جماعة من عسكره إلى السلطان مستأمنين فلقوه بقرية تعرف بالطواويس ، ولما وصل السلطان إلى سمرقند ملكها ورتب بها الأمير أبر ، وسار في أثر يعقوب حتى نزل ببوزكند وأرسل العساكر إلى سائر الأكتاف في طلبه وأرسل السلطان إلى ملك كاشغر وهو أخو يعقوب ليجد في أمره ويرسله إليه ، فاتفق أن عسكر يعقوب شغبوا عليه ونهبوا خزائنه واضطروه إلى أن هرب على فرسه ودخل إلى أخيه بكاشغر مستجيراً به فسمع السلطان بذلك فأرسل إلى ملك كاشغر يتوعده إن لم يرسله إليه أن يقصد بلاده ويصير هو العدو، فخاف أن يمنع السلطان وأنف أن يسلم أخاه بعد أن استجار به وإن كانت بينهما عداوة قديمة ومنافسة في الملك عظيمة لما يلزمه فيه العار ، فاداه اجتهاده إلى أن قبض على أخيه يعقوب وأظهر أنه كان في طلبه فظفر به وسيره مع ولده وجماعة من أصحابه وكلهم بيعقوب ، وأرسل معهم هدايا كثيرة للسلطان وأمر ولده أنه إذا وصل إلى قلعة بقرب السلطان أن يسمل يعقوب ويتركه ، فإن رضي السلطان بذلك وإلا سلمه إليه فلما وصلوا إلى القلعة عزم ابن ملك كاشغر أن يسمل عمه وينفذ فيه ما أمره به أبوه فتقدم فكّفه وألقاه على الأرض ، ففعلوا به ذلك فبينما هم على تلك الحال وقد أحموا الميل ليسملوه إذ سمعوا ضجة عظيمة فتركوه وتشاوروا بينهم وظهر عليهم انكسار ثم أرادوا به ذلك سمله وشع منه بعض فقال لهم

يعقوب : أخبروني عن حالكم وما يفوتكم الذي تريدونه مني وإذا فعلتم بي شيئاً ربما ندمتم عليه فقليل له : إن طغرل بن ينال أسرى من ثمانين فرسخاً في عشرات ألوف من العساكر وكبس أخاك بكاشغر فأخذه أسيراً ونهب عسكره وعاد إلى بلاده . فقال لهم : هذا الذي تريدون تفعلونه بي ليس مما تقربون به إلى الله تعالى وإنما تفعلونه اتباعاً لأمر أخي وقد زال أمره ووعدهم الإحسان فأطلقوه ، فلما رأى السلطان ذلك ورأى طمع طغرل بن ينال ومسيره إلى كاشغر وقبض صاحبها وملكه لها مع قربه منه ، خاف أن ينحل بعض أمره وتزول هيئته وعلم أنه متى قصد طغرل سار من بين يديه فإن عاد عنه رجع إلى بلاده وكذلك يعقوب أخو صاحب كاشغر ، وانه لا يمكنه المقام لسعة البلاد وراءه وخوف

الموت بها فوضع تاج الملك على أن يسعى في إصلاح أمر يعقوب معه ففعل ما أمره به السلطان فاتفق هو ويعقوب وعاد إلى خراسان وجعل يعقوب مقابل طغرل يمنعه من القوة وملك البلاد وكل منهما يقوم في وجه الآخر .

ذكر عود ابنة السلطان زوجة الخليفة إلى أبيها

وفي هذه السنة أرسل السلطان إلى الخليفة يطلب ابنته طلباً لا بد منه . وسبب

ذلك أنها أرسلت تشكو من الخليفة وتذكر أنه كثير الاطراح لها والإعراض عنها ، فأذن لها في المسير فسارت في ربيع الأول وسار معها ابنها من الخليفة أبو الفضل جعفر بن المقتدي . بأمر الله ومعهما سائر أرباب الدولة ، ومشى مع محبتها سعد الدولة كوهرائين وخدم دار الخلافة الأكابر ، وخرج الوزير وشيعهم إلى النهروان وعاد وسارت الخاتون إلى أصبهان ، فأقامت بها إلى ذي القعدة وتوفيت وجلس الوزير ببغداد للعزاء سبعة أيام وأكثر الشعراء مراثيها ببغداد وبعسكر السلطان .

ذكر فتح عسكر مصر عكا وغيرها من الشام

في هذه السنة خرجت عساكر مصر إلى الشام في جماعة من المتقدمين فحصرها

مدينة صور ، وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عقيل وامتنع عليهم ثم توفي ووليها أولاده فحصرهم العسكر المصري فلم يكن لهم من القوة ما يمتنعون بها فسلموها إليهم ثم سار العسكر عنها إلى مدينة صيدا ففعلوا بها كذلك ثم ساروا إلى مدينة عكا فحصرها وضيقوا على أهلها فافتتحوها وقصدوا مدينة جبيل فملكوها أيضاً وأصلحوا أحوال هذه البلاد وقرروا قواعدها

وساروا عنها إلى مصر عائدين ، واستعمل أمير الجيوش على هذه
الأمراء والعمال .

ذكر الفتنة بين أهل بغداد ثانية

وفي هذه السنة في جمادى الأولى كثرت الفتن ببغداد بين أهل
الكرخ وغيرها من المحال وقتل بينهم عدد كثير واستولى أهل
المحال على قطعة كبيرة من نهر الدجاج فنهبوها وأحرقوها فنزل
شحنة بغداد - وهو خمارتكين النائب عن كوهرائين - على دجلة
في خيله ورجله ليكف الناس عن الفتنة ، فلم ينتهوا ، وكان أهل
الكرخ يجرون عليه وعلى أصحابه الجرايات والإقامات وفي بعض
الأيام وصل أهل البصرة إلى سويقة غالب

فخرج من أهل الكرخ من لم تجر عاداته بالقتال فقاتلوهم حتى كشفوهم فركب خدم الخليفة والحجاب والنقباء وغيرهم من أعيان الحنابلة كابن عقيل والكلوذاني وغيرهما إلى الشحنة وساروا معه إلى أهل الكرخ فقرأ عليهم مثلاً من الخليفة يأمرهم بالكف ومعاودة السكون وحضور الجماعة والجمعة والتدين بمذهب أهل السنة فأجابوا إلى الطاعة فبينما هم كذلك أتاهم الصارخ من نهر الدجاج بان أهل السنة قد قصدوهم والقتال عندهم فمضوا مع الشحنة ومنعوا من الفتنة وسكن الناس . وكتب أهل الكرخ على أبواب مساجدهم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، ومن عند هذا اليوم ثار أهل الكرخ وقصدوا شارع ابن أبي عوف ونهبوه وفي جملة ما نهبوا دار أبي الفضل بن خيرون المعدل ، فقصد الديوان مستنفرًا ومعه الناس ورفع العامة الصليبان وهجموا على الوزير في حجرته وأكثروا من الكلام الشنيع وقتل ذلك اليوم رجل هاشمي من أهل باب الأزج يسهم أصابه ، فثار العامة هناك بعلوي كان مقيماً بينهم . فقتلوه وحرقوه وجرى من النهب والقتل والفساد أمور عظيمة ، فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة صدقة بن مزيد فأرسل عسكرياً إلى بغداد فطلبوا المفسدين والعيارين فهربوا منهم فهُدمت دُورهم وقُتل منهم ونفي وسكنت الفتنة وأمن الناس .

ذكر حيلة لأمير المسلمين ظهرت ظهوراً غريباً

كان بالمغرب إنسان اسمه محمد بن إبراهيم الكزولي سيد قبيلة كزولة ومالك جبلها وهو جبل شامخ - وهي قبيلة كبيرة - وبينه وبين أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مودة واجتماع . فلما كان هذه السنة أرسل يوسف إلى محمد بن إبراهيم يطلب الاجتماع به

فركب إليه محمد فلما قاربه خافه على نفسه فعاد إلى جبله واحتاط لنفسه. فكتب إليه يوسف وحلف له أنه ما أراد به إلا الخير ولم يحدث نفسه بغدر فلم يركن محمد إليه فدعا يوسف حجاماً وأعطاه مائة دينار وضمن له مائة دينار أخرى إن هو سار إلى محمد بن ابراهيم واحتال على قتله فسار الحجام ومعه مشاريط مسمومة فصعد الجبل ، فلما كان الغد خرج ينادي لصناعته بالقرب من مساكن محمد فسمع محمد الصوت فقال : هذا الحجام من بلدنا ؟ فقليل : إنه غريب ، فقال : أداه يكثر الصياح وقد ارتبت بذلك ائتوني به ، فأحضر عنده فاستدعى حجاماً آخر وأمره أن يحجمه بمشاريطه التي معه فامتنع الحجام الغريب فأمسك وحجم فمات ، وتعجب الناس من فطنته . فلما بلغ ذلك

يوسف ازداد غيظه ولجّ في السعي في أذى يوصله إليه فاستمال قوماً من أصحاب محمد، فمالوا إليه فأرسل إليهم جراراً من عسل مسموم فحضروا عند محمد وقالوا قد وصل إلينا قوم معهم جرار من عسل أحسن ما يكون ، وأردنا إتحافك به وأحضروها بين يديه فلما رآها أمر بإحضار خبز وأمر أولئك الذين أهدوا إليه العسل أن يأكلوا منه فامتنعوا واستعفوه من أكله فلم يقبل منهم وقال : من لم يأكل قتل بالسيف فأكلوا فماتوا عن لا آخرهم . فكتب إلى يوسف تاشفين : إنك قد أردت قتلي بكل وجه فلم يظفرك الله بذلك فكف عن شرك فقد أعطاك الله المغرب بأسره ، ولم يعطني غير هذا الجبل وهو في بلادك كالشامة البيضاء في النور الأسود فلم تقنع بما أعطاك الله عز وجل . فلما رأى يوسف أن سره قد انكشف وأنه لا يمكنه في أمره شيء لحصانة جبله أعرض عنه وتركه .

ذكر ملك العرب مدينة سوسة وأخذها منهم

في هذه السنة نقض ابن علوي ما بينه وبين تميم بن المعز بن باديس أمير إفريقية

من العهد وسار في جمع من عشيرته العرب فوصل إلى مدينة سوسة من بلاد إفريقية وأهلها غارون لم يعلموا به فدخلها عنوة وجرى بينه وبين من بها من العسكر والعامّة قتال قتل من الطائفتين جماعة وكثر القتل في أصحابه والأسر ، وعلم أنه لا يتم له مع تميم حال ففارقها وخرج منها إلى حلته من الصحراء وكان بإفريقية هذه السنة غلاء شديد وبقي كذلك إلى سنة أربع وثمانين وصلت أحوال أهلها وأخصبت البلاد ورخصت الأسعار وأكثر أهلها الزرع .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قطعت الحرامية الطريق على قفل كبير بولاية حلب فركب آقسنقر

في جماعة من عسكره وتبعهم ولم يزل حتى أخذهم وقتلهم فأمنت الطريق بولايته . وفيها ورد العميد الأغر أبو المحاسن عبد الجليل بن علي الدهستاني إلى بغداد عميداً وعزل أخوه كمال الملك على ما ذكرناه . وفيها درس الإمام أبو بكر الشاشي في المدرسة التي بناها الملك مستوفي السلطان بباب إبرز من بغداد وهي المدرسة الناجية المشهورة وفيها عمرت منارة جامع حلب . وفيها توفي الخطيب أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الواحد بز، أبي الحديد السلمي خطيب دمشق في ذي الحجة . وفيها توفي أحمد بن

محمد بن صاعد بن محمد أبو نصر النيسابوري رئيسها ومولده سنة
عشر وأربعمئة . وكان من العلماء وعاصم بن الحسن بن محمد
بن علي بن عاصم العاصمي البغدادي من أهل الكرخ كان ظريفاً
كيساً له شعر حسن فمنه :

ماذا على متلون الأخلاق لو زارني فأبته أشواقي
وأبوح بالشكوى إليه تذلاً وأفض ختم الدمع من
آماقي

فعساه يسمح بالوصال لمدنف ذي لوعة وصباة مشتاق
أسر الفؤاد ولم يرق لموثق ما ضره لو جاد بالإطلاق
إن كان قد لبست عقارب صدغه قلبي فإن رضابه درياقي
وقال أيضاً :

فديت من ذبت شوقاً من محبته وصرت من هجره فوق
الفراش لقا
سمعته يتغنى وهو مصطبح أفديه مصطبحاً منه
ومغتبقا

وأخلفتك ابنة البكري ما وعدت وأصبح الحبل منها واهيا
خلقا

والصحيح أنه توفي سنة ثلاث وثمانين . وفيها في جمادى الآخرة
توفي الشريف
أبو القاسم العلوي الدبوسي المدرّس بالنظامية ببغداد وكان
فاضلاً فصيحاً .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة

ذكر وفاة فخر الدولة أبي نصر بن جهير

في هذه السنة في المحرم توفي فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير الذي كان وزير الخليفة بمدينة الموصل ومولده بها سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وتزوج إلى أبي العقارب شيخها ونظر في أملاك جارية قرواش المعروفة بسرهنك ثم خدم بركة بن المقلد حتى قبض كل أخيه قرواش وحبسه ومضى بهدايا إلى ملك الروم ، فاجتمع هو ورسول نصر الدولة بن مروان فتقدم فخر الدولة عليه فنازعه رسول ابن مروان فقال فخر الدولة لملك الروم : لنما استحق التقدم عليه لأنه صاحبه يؤدي الخراج إلى صاحبي فلما عاد إلى قريش بن بدران أراد القبض عليه فاستجار بابي الشداد وكانت عقيل تجير على أمرائها وسار إلى حلب فوزر لمعز الدولة أبي ثمال بن صالح ثم مضى إلى ملطية ومنها إلى ابن مروان فقال له كيف أمنتني وقد فعلت برسولي ما فعلت عند ملك الروم فقال حملني على ذلك نصح صاحبي فاستوزره فعمر بلاده ووزر بعد نصر الدولة لولده ثم سار إلى بغداد وولي وزارة الخليفة على ما ذكرناه وتولى أخذ ديار بكر من بني مروان على ما ذكرناه أيضاً ثم أخذها منه السلطان فسار إلى الموصل فتوفي بها .

ذكر نهب العرب البصرة

وفي هذه السنة في جُمادى الأولى نهب العرب البصرة نهباً قبيحاً .
وسبب ذلك

أنه ورد إلى بغداد في بعض السنين رجل أشقر من سواد النيل يدّعي الأدب والنجوم ويستجري الناس فلقبه أهل بغداد تلياً وكان نازلاً في بعض الخانات فسرق ثياباً من الديباج وغيره وأخفاها في خلفا وسار بها فرآها الذين يحفظون الطريق فمنعوه من السفر

اتهاما له وحملوه إلى المقدم عليهم فطلقه لحرمة العلم فسارا
إلى أمير من أمراء العرب من بني عامر وبلاده متاخمة الإحساء
وقال له : أنت تملك الأرض وقد فعل أجدادك

بالحاج كذا وكذا وأفعالهم مشهورة مذكورة في التواريخ ، وحسن له نهب البصرة وأخذها فجمع من العرب ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل وقصد البصرة وبها العميد عصمة وليس معه من الجند إلا اليسير لكون الدنيا آمنة من ذاعر ، ولأن الناس في جنة من هبة السلطان . فخرج إليهم في أصحابه وحاربهم ولم يمكنهم من دخول البلد فاتاه من أخبره أن أهل البلد يريدون أن يسلموه إلى العرب فخاف ففارقهم وقصد الجزيرة التي هي مكان القلعة بنهر معقل ، فلما علم أهل البلد بذلك فارقوا ديارهم وانصرفوا ودخل العرب حينئذ البصرة وقد قويت نفوسهم وملكوها ونهبوا ما فيها نهباً شنيعاً فكانوا ينهبون نهاراً وأصحاب العميد عصمة ينهبون ليلاً وأحرقوا مواضع عدة . وفي جملة ما أحرقوا دارين للكتب إحداها وقفت قبل أيام عضد الدولة بن بويه فقال عضد الدولة هذه مكرمة سبقنا إليها وهي أول دار وقفت في الإسلام ، والأخرى وقفها الوزير أبو منصور بن شاء مردان وكان بها نفائس الكتب وأعيانها . وأحرقوا أيضاً النجاسين وغيرها من الأماكن وخربت وقوف البصرة التي لم يكن لها نظير من جملتها وقوف على الحمال الدائرة على شاطئ دجلة وعلى الدواليب التي تحمل الماء وترقيه إلى قنى الرصاص الجارية إلى المصانع - وهي على فراسخ من البلد - وهي من عمل محمد بن سليمان الهاشمي وغيره . وكان فعل العرب بالبصرة أول خرق جرى في أيام السلطان ملكشاه فلما فعلوا ذلك وبلغ الخبر إلى بغداد انحدر سعد الدولة كوهرائين وسيف الدولة صدقة بن مزيد إلى البصرة لإصلاح أمورها فوجدوا العرب قد فارقوها ثم إن تلياً أخذ بالبحرين وأرسل إلى السلطان فشهره ببغداد سنة أربع وثمانين على جمل وعلى

رأسه طرطور وهو يصفع بالدرة والناس يشتمونه ويسبهم ثم أمر به فصلب .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قدم الإمام أبو عبد الله الطبري بغداد في المحرم بمنشور من نظام الملك بتوليته تدريس المدرسة النظامية ، ثم ورد بعده في شهر ربيع الآخر من السنة أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي وهو أيضاً معه منشور بالتدريس فاستقر أن يدرس يوماً والطبري يوماً . .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة

ذكر عزل الوزير أبي شجاع ووزارة عميد الدولة بن جهير

في هذه السنة في ربيع الأول عزل الوزير أبو شجاع من وزارة الخليفة . وكان

سبب عزله أن إنساناً يهودياً ببغداد يقال له أبو سعد بن سمحا كان وكيل السلطان ونظام الملك ، فلقبه إنسان يبيع الحصر فصفعه صفقة أزالت عمامته عن رأسه فاخذ الرجل وحمل إلى الديوان وسئل عن السبب في فعله ، فقال : هو وضني على نفسه فسار كوهرائين ومعه ابن سمحا اليهودي إلى العسكر يشكيان وكانا متفقين على الشكاية من الوزير أبي شجاع ، فلما سار أخرج توقيع الخليفة بإلزام أهل الذمة بالغيار ولبس ما شرط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهربوا كل مهرب ، وأسلم بعضهم فممن أسلم أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا الكاتب وابن أخيه أبو نصر هبة الله بن الحسن بن علي صاحب الخبر أسلما على يدي الخليفة . ونقل أيضاً عنه إلى السلطان ونظام الملك أنه يكسر أغراضهم ويقبح أفعالهم حتى انه لما ورد الخبر بفتح السلطان سمرقند قال : وما هذا مما يبشر به كأنه قد فتح بلاد الروم هل أتى إلا إلى قوم مسلمين موحدين فاستباح منهم ما لا يستباح من المشركين ، فلما وصل كوهرائين وابن سمحا إلى العسكر وشكيا من الوزير إلى السلطان ونظام الملك وأخبراهما بجميع ما يقول عنهما ويكسر من أغراضهما أرسلوا إلى الخليفة في عزله فعزله وأمره بلزوم بيته وكان عزله يوم الخميس فلما أمر بذلك أنشد :

٦٥ تولاها وليس له عدو وفارقها وليس له صديق

فلما كان الغد يوم الجمعة خرج من داره إلى الجامع راجلاً واجتمع
الخلق العظيم عليه فأمر أن لا يخرج من بيته . ولما عزل استناب
في الوزارة أبو سعد بن موصلايا كاتب الإنشاء وأرسل الخليفة إلى
السلطان ونظام الملك يستدعي عميد

الدولة بن جهير ليستوزره فستر إليه فاستوزره في ذي الحجة من هذه السنة وركب إليه نظام الملك فهنا بالوزارة في داره وأكثر الشعراء تهنئته بالعود إلى الوزارة .

ذكر ملك أمير المسلمين بلاد الأندلس التي للمسلمين

في هذه السنة في رجب ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب بلاد المغرب من بلاد الأندلس ما هو بيد المسلمين قرطبة وإشبيلية وقبض على المعتمد بن عباد صاحبها وملك غيرها من الأندلس ، ولقد جرى للرشيد بن المعتمد حادثة شبيهة بحادثة الأمين محمد بن هارون الرشيد . قال أبو بكر عيسى بن اللبابة الداني من مدينة دانية : كنت يوماً عند الرشيد بن المعتمد في مجلس أنسه سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ف جرى ذكر غرناطة وملك أمير المسلمين لها وقد ذكرنا أخذها في وقعة الزلاقة فلما ذكرناها تفجع وتلهف واسترجع وذكر قصرها فدعونا لقصره بالدوام ولملكه بتراخي الأيام فأمر عند ذلك أبا بكر الإشبيلي بالغناء فغنى :

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف
الأبد

فاستحالت مسرته وتجهمت أسرته ثم أمر بالغناء من ستارته فغنى :

إن شئت أن لا ترى صبراً لمصطبر فانظر إلى أي حال أصبح
الطلل

فتأكد تطيره ، واشتد اربداد وجهه وتغيره ، وأمر مغنية أخرى بالغناء فغنت :

٦٥ يا لهف نفسي على مال أفرقه على المقلين من أهل
المروءات

٦٤ إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ما ليس عندي من إحدى
المصيبات

قال ابن اللبانة : فتلافيت الحال بان قمت فقلت :

٦٦ محل مكرمة لاهد مبناه وشمل مأثرة لاشته
الله

٦٤ البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفاً ان الرشيد مع
المعتد ركناه

٦٤ ثاو على أنجم الجوزاء مقعده وراحل في سبيل
الله مثواه

٦٤ حتم على الملك أن يقوى وقد وصلت بالشرق والغرب
يمناه ويسراه

٦٤ بأس توقر فاحمرت لوحظه ونائل شب
فاخضرت عذاراه

فلعمري قد بسطت من نفسه ، وأعدت عليه بعض أنسه ، على
أنني وقعت فيما

وقع فيه الكل بقولي (البيت كالبيت) وأمر إثر ذلك بالغناء فغني :
٧٦ ولما قضينا من منى كل حاجة ولم يبق إلا أن تَرَمَّ الركائب
فأيقنا أن هذه الطير تعقب الغير.

فلما أراد أمير المسلمين ملك الأندلس سار من مراكش إلى سبتة (١) وأقام بها وستر العساكر مع سير بن أبي بكر وغيره إلى الأندلس فعبروا الخليج فأتوا مدينة مُرسية (٢) فملكوها وأعمالها وأخرجوا صاحبها أبا عبد الرحمن بن طاهر منها وساروا إلى مدينة شاطبة (٣) ومدينة دانية (٤) فملكوهما ، وكانت بلنسية قد ملكها الفرنج قديماً بعد أن حصروها سبع سنين فلما سمعوا بوقعة الزلاقة فارقوها ، فملكها المسلمون أيضاً وعمروها وسكنوها فصارت الآن للمرابطين وكانوا قد ملكوا غرناطة نوبة الزلاقة ، فقصدوا مدينة إشبيلية وبها صاحبها المعتمد بن عباد ، فحصروه بها وضيقوا عليه فقاتل أهلها قتالاً شديداً وظهر من شجاعة المعتمد وشدة بأسه وحسن دفاعه عن بلده ما لم يشاهد من غيره ما يقاربه ، فكان يلقي نفسه في المواقف التي لا يرجى خلاصه منها فيسلم بشجاعته وشدة نفسه ، ولكن إذا نفدت المدة لم تغن العدة . وكانت الفرنج قد سمعوا بقصد عساكر المرابطين بلاد الأندلس فخافوا أن يملكوها ثم يقصدوا بلادهم فجمعوا فاکثروا وساروا ليساعدوا المعتمد وبعينوه على المرابطين فسمع سير بن أبي بكر مقدم المرابطين بمسيرهم ففارق إشبيلية وتوجه إلى لقاء الفرنج فلقاهم وقاتلهم وهزمهم وعاد إلى إشبيلية فحصرها ولم يزل الحصار دائماً والقتال مستمراً إلى العشرين من رجب من هذه السنة فعظم الحرب ذلك واشتد الأمر على أهل البلد ودخله

(1) سبتة : بفتح أوله ، وضبطه الحازمي بكسر أوله : وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ، ومرساها أجود مرسى على البحر ، وهي على يّ البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة ، وهي مدينة حصينة تشبه المهدية التي بافريقية على ما قبل لأنها ضاربة في البحر داخلة كدخول كف على زند .

(2) مرسية : بضم أوله والسكون وكسر السين المهملة وياء مفتوحة ضيفة وهاء ، مدينة بالأندلس من أعمال تدمير .

(3) شاطبة : مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة وهي مدينة كبيرة قديمة .

(4) دانية : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقاً مرساها عجيب يسمى السمان .

المرابطون من واديه ونهب جميع ما فيه ولم يبقوا على سبيل ولا
لبد ، وسلبوا الناس ثيابهم فخرجوا من مساكنهم يسترون عوراتهم
بأيديهم وسبي المخدرات وانتهكت الحرمات ، فاخذ المعتمد أسيراً
ومعه أولاده الذكور والإناث بعد أن استأصلوا جميع مالهم فلم
يصحبهم من ملكهم بلغة زاد.

وقيل إن المعتمد سلم البلد بأمان وكتب نسخة الأمان والعهد
واستحلفهم به لنفسه وأهله وماله وعبيده وجميع ما يتعلق بأسبابه
فلما سلم إليهم إشبيلية لم يفوا له وأخذوهم أسراء وما لهم غنيمة
، وسير المعتمد وأهله إلى مدينة أغمات (1) فحبسوا فيها وفعل
أمير المسلمين بهم أفعالاً لم يسلكها أحد ممن قبله ولا يفعلها أحد
ممن يأتي بعده إلا من رضي لنفسه بهذه الرذيلة، وذلك أنه سجنهم
فلم يجر عليهم ما يقوم بهم حتى كان بنات المعتمد يغزلن للناس
باجرة ينفقونها على أنفسهم . وذكر ذلك المعتمد في أبيات ترد
عنه ذكر وفاته فأبان أمير المسلمين بهذا الفعل عن صغر نفس
ولؤم قدرة . وهذه أغمات مدينة في سفح جبل بالقرب من
مراكش وسيرد من ذكر المعتمد عند موته سنة ثمان وثمانين ما
يعرف به محله . قال أبو بكر بن اللبانة : زرت المعتمد بعد أسره
بأغمات وقلت أبيات عند دخولي إليه منها:

لم أقل في الثُّقاف كان ثِقافاً كنت قلباً به وكان
شغافاً

يمكنُ الزُّهُرُ في الكِمام ولكنْ بعد مكث الكِمام يدنو
قِطافاً

وإذا ما الهلالُ غابَ بغيمٍ لم يكن ذلك المغيبُ
انكسافاً

٢٤ ٢٥
إِنَّمَا أَنْتَ دُرَّةٌ لِّلْمَعَالِي رَكَّبَ الدَّهْرُ قَوْقَهَا أَصْدَافاً
حَجَبَ الْبَيْتَ مِنْكَ شَخْصاً كَرِيماً مِثْلُ مَا تَحْجِبُ الدَّنَانُ
السُّلَافَا

٢٦ ٢٧
أَنْتَ لِلْفَضْلِ كَعْبَةٌ وَلَوْ أَنَّي كُنْتُ أَسْتَطِيعُ لَأَلْتَزِمْتُ
الطَّوَافَا

قال : وجرت بيني وبينه مخاطبات ألدَّ من غفلات الرقيب وأشهى
من رشقات الحبيب وأدلَّ على السماح من فجر على صباح ، ولما
أخذ المعتمد وأهله قتل ولداه الفتح ويزيد بين يديه صبرا فقال في
ذلك : . . .

٢٨ ٢٩
يَقُولُونَ صَبْرًا لَا سَبِيلَ إِلَى الصَّبْرِ سَأْبِكِي وَأَبْكِي مَا تَطَاوَلَ
مِنْ عَمْرِي

(1) أَغْمَاثُ : نَاحِيَةِ فِي بِلَادِ الْبَرْبَرِ مِنْ أَرْضِ الْمَغْرِبِ قَرِبَ مَرَاكِشَ

أفتح لقد فتحت لي باب رحمة كما بيزيد الله قد زادَ في أجري ٦٦
هوى بكما المقدار عني ولم أمت فادعى وفيّاً قد نكصت إلى ٦٧
الغدرِ

ولوعدتما لاخترتما العودَ في الثرى إذا انتما أبصرتُماني في ٦٨
الأسرِ

أبا خالدٍ أورثتني البت خالداً أيا نصرٌ مُدٌّ ودَعَتْ ودَعَنِي نصري ٦٩
وكان المعتمد يكاتبه فضلاء البلاد وهو محبوس بالشر والنظم
يتوجعون له ويذمون الزمان وأهله حيث مثله منكوب ، فمن ذلك
ما قاله عبد الجبار بن أبي بكر بن حمديس ، وكتبه إلهيه يذكر
مسيرهم عن إشبيلية إلى أغمات :

جرى لك جد بالكرام عثور وجار زمان كنت منه تجيرُ ٦٧
لقد أصبحت بيض الطلي في غمودها إناثاً لترك الضرب وهي ٦٨
ذكوُرُ

ولما رحلت بالندى في أكفكم وقلقل رضوى منكم وثيرُ ٦٩
رفعت لساني بالقيامة قد أتت ألا فانظروا كيف الجبال تسيّرُ ٧٠
وقال شاعره ابن اللبانة في حادثته أيضاً :

تبكي السماءُ بدمعٍ رائح غادي على البهاليلِ من أبناءِ عبّادِ ٦٧
على الجبالِ التي هَدَّتْ قواعِدها وكانتِ الأرضُ منها تحتَ أوتادِ ٦٨
عريسة دخلتها النائبات على أساود منهم فيها وآسادِ ٦٩
وكعبةُ كانت الآمالُ تُعِمُّها فاليومَ لا عاكفُ فيها ولا بادِ ٧٠

ولما استقصى عسكر أمير المسلمين ملوك الأندلس وأخذ بلادهم
جمع ملوكهم وسيّرهم إلى بلاد بالغرب وفرقهم فيها { إن الملوك
إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة } (١) ولما فرغ
سير من إشبيلية سار إلى المرية (2) فنازلها وكان صاحبها محمد

بن معن بن صمادح فقال لولده : ما دام المعتمد بإشبيلية فلا تبالي
بالمرابطين ، فلما سمع بملكهم لها وما جرى للمعتمد مات في
تلك الأيام غمّاً وكمدّاً . فلما مات ،

(1) سورة النمل 34 .

(2) المرية : بالفتح ثم الكسر ، وتشديد الياء؛ وهي مدينة كبيرة
من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس ، وكانت هي وبجاية بابي
الشرق ، منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار ، وفيها مرفأ
ومرسى للسفن والمراكب .

سار ولده الحاجب ، وأهله في مراكب ومعهم كل مالهم وقصدوا بلاد بني حمّاد فأحسنوا إليهم .

وكان عمر بن الأفطس صاحب بطيلوس (1) ممن أعان سير على المعتمد فلما فتحت إشبيلية رجع ابن الأفطس إلى بلده فسار إليه سير وحاربه فغلبه وأخذ بلده منه وأخذه أسراً هو وولده الفضل فقتلها فقال عمر حين أرادوا قتله : قدموا ولدي قبلي للقتل ليكون في صحيفتي فقتل ولده قبله ، وقتل هو بعده واحتوى سير على ذخائرهم وأموالهم ولم يترك من ملوك الأندلس سوى بني هود ، فإنه لم يقصد بلادهم وهي شرق الأندلس وكان صاحبها حينئذ المستعين بالله بن هود وهو من الشجعان الذين يضرب المثل بهم ، وكان قد أعد كل ما يحتاج إليه في الحصار وترك عنده ما يكفيه عدة سنين بمدينة روضة وكانت قلعة حصينة وكانت رعيته تخافه ولم يزل يهادي أمير المسلمين قبل أن يقصد بلاد الأندلس ويملكها ويواصله ويكثر مراسلته فرعى له ذلك حتى إنه أوصى ابنه علي بن يوسف عند موته بترك التعرض لبلاد بني هود وقال : اتركهم بينك وبين العدو فإنهم شجعان .

ذكر ملك الفرنج جزيرة صقلية

في هذه السنة استولى الفرنج - لعنهم الله - على جميع جزيرة صقلية أعادها الله

تعالى إلى الإسلام والمسلمين ، وسبب ذلك أن صقلية كان الأمير عليها سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة أبا الفتوح يوسف بن عبد الله بن محمد بن أبي الحسين ، ولاه عليها العزيز العلوي صاحب مصر وإفريقية فأصابه هذه السنة فالج فتعطل جانبه الأيسر وضعف الجانب الأيمن ، فاستناب ابنه جعفرأ فبقي كذلك ضابطاً للبلاد

حسن السيرة في أهلها إلى سنة خمس وأربعمئة ، فخالف عليه أخوه علي وأعانه جمع من البربر والعبيد فاخرج إليه أخوه جعفر جنداً من المدينة فاقتتلوا سبع شعبان وقتل من البربر والعبيد خلق كثير ، وهرب من بقي منهم وأخذ علي أسيراً فقتله أخوه جعفر وعظم قتله على أبيه فكان بين خروجه وقتله ثمانية أيام . وأمر جعفر حينئذ أن ينفي كل بربري بالجزيرة فنفوا إلى

(١) بطليوس : بفتحيتين وسكون اللام وياء مضمومة وسين مهملة : مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربى قرطبة

إفريقية وأمر بقتل العبيد فقتلوا عن آخرهم وجعل جنده كلهم من أهل صقلية ، فقل العسكر بالجزيرة وطمع أهل الجزيرة في الأمراء فلم يمض إلا يسير حتى ثار به أهل صقلية وأخرجوه وخلعوه وأرادوا قتله ، وسبب ذلك أنه ولَّٰن عليهم إنساناً صادرهم وأخذ الأعشار من غلَّآلهم واستخف بقوادهم وشيوخ البلد، وقهر جعفر إخوته واستطال عليهم ، فلم يشعر إلَّا وقد زحف إليه أهل البلد كبيرهم وصغيرهم فحسروه في قصره في المحرم سنة عشر وأربعمائة وأشرفوا على أخذه ، فخرج إليهم أبوه يوسف في محفة وكانوا له محبين فلفظ بهم ورفق فبكوا رحمة له من مرضه وذكروا له ما أحدث ابنه عليهم ، وطلبوا أن يستعمل ابنه أحمد المعروف بالأكلحل ، ففعل ذلك وخاف يوسف على ابنه جعفر منهم فسيره في مركب إلى مصر وسار أبوه يوسف بعده ومعهما من الأموال ستمائة ألف دينار وسبعون ألفاً ، وكان ليوسف من الدواب ثلاثة عشر ألف حجرة سوى البغال وغيرها ، ومات بمصر وليس له إلا دابة واحدة .

ولما ولي الأكلحل أخذ أمره بالحزم والاجتهاد وجمع المقاتلة وبث سراياه في بلاد

الكفرة فكانوا يحرقون ويغنمون ويسبون ويخربون البلاد وأطاعه جميع قلاع صقلية التي للمسلمين ، وكان للأكلحل ابن اسمه جعفر كان يستنييه إذا سافر فخالف سيرة أبيه ، ثم إن الأكلحل جمع أهل صقلية وقال : أحب أن أشليكم على الإفريقيين الذين قد شاركوكم في بلادكم والرأي إخراجهم ، فقالوا : قد صاهرناهم وصرنا شيئاً واحداً ، فصرفهم ، ثم أرسل إلى الإفريقيين فقال لهم مثل ذلك فأجابوه إلى ما أراد فجمعهم حوله فكان يحمي أملاكهم ويأخذ

الخراج من أملاك أبل صقلية ، فسار من أهل صقلية . جماعة إلى المعز بن باديس وشكوا. إليه . ما حل بهم وقالوا : نحب أن نكون في طاعتك وإلا سلمنا البلاد إلى الروم ، وذلك سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، فسيّر معهم ولده . عبد الله في عسكر فدخل المدينة وحصر الأكل في . الخلاصة ثم اختلف أهل صقلية. وأراد بعضهم نصره الأكل ، فقتله الذين أحضروا عبد الله بن المعز، ثم إني الصقليين رجع بعضهم على بعض وقالوا : أدخلتم غيركم عليكم والله لا كانت . عاقبة أمركم نجيته إلى خير ، فعزموا على حرب عسكر المعز ، فاجتمعوا وزحفوا إليهم فاقتتلوا فانهزم عسكر المعز وقتل منهم ثمانمائة رجل ورجعوا في المراكب إلى إفريقية . وولى أهل الجزيرة عليهم حسناً الصمصام أخا الأكل ، فاضطربت أحوالهم

واستولى الأراذل وانفرد كل إنسان ببلد وأخرجوا الصمصام ،
فانفرد القائد عبد الله بن منكوت بمازر وطرابنش وغيرهما ،
وانفرد القائد علي بن نعمة المعروف بابن الحواس بقصريانة
وجرجنت وغيرهما ، وانفرد ابن الثمنة بمدينة سرقوسة وقطانية
وتزوج بأخت ابن الحواس ، ثم إنه جرى بينها وبين زوجها كلام
أغلظ كل منهما لصاحبه وهو سكران فأمر ابن الثمنة بفصدها في
عضديها ، وتركها لتموت فسمع ولده إبراهيم فحضر وأحضر
الأطباء وعالجها ، إلى أن عادت قوتها ولما أصبح أبوه ندم واعتذر
إليها بالسكر ، فأظهرت قبول عذره ثم إنها طلبت منه بعد مدّة أن
تزور أخاها فأذن لها ، وسيّر معها التحف والهدايا فلما وصلت
ذكرت لأخيها ما فعل بها ، فحلف أنه لا يعيدها إليه ، فأرسل ابن
الثمنة يطلبها فلم يردها إليه فجمع ابن الثمنة عسكره ، وكان قد
استولى على أكثر الجزيرة وخطب له بالمدينة وسار وحصر ابن
الحواس بقصر بانة فخرج إليه فقاتله ، فانهزم ابن الثمنة وتبعه إلى
قرب مدينته قطانية وعاد عنه بعد أن قتل من أصحابه فاكثرا ، فلما
رأى ابن الثمنة أن عساكره قد تمزقت سوّلت له نفسه الانتصار
بالكفار لما يريده الله تعالى فسار إلى مدينة مالطة وهي بيد
الفرنج قد ملكوها لقا خرج بردويل الفرنجي الذي تقدم ذكره سنة
اثنين وسبعين وثلاثمائة واستوطنها الفرنج إلى الآن ، وكان ملكها
حينئذ رجار الفرنجي في جمع الفرنج ، فوصل إليهم ابن الثمنة
وقال : أنا أملككم الجزيرة . فقالوا : إن فيها جندا كثيرا أولا طاقة
لنا بهم . فقال : إنهم مختلفون وأكثرهم يسمع قولي ولا يخالفون
أمري . فساروا معه في رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، فلم
يلقوا من يدافعهم ، فاستولوا على ما مرّوا به في طريقهم وقصد

بهم إلى قصر يانة فحصروها ، فخرج إليهم ابن الحوَّاس ، فقاتلهم فهزمه الفرنج فرجع إلى الحصن . فرحلوا عفه وساروا في الجزيرة واستولوا على مواضع كثيرة ، وفارقها كثير من أهلها من العلماء والصالحين . .

وسار جماعة من أهل صقلية إلى المعز بن باديس وذكروا له ما الناس فيه بالجزيرة بن الخلف . وغلبة الفرنج على كثير منها فعمر أسطولاً كبيراً وشحنه بالرجال والعدد ، وكان . الزمان شتاء فساروا إلى قوصرة ، فهاج عليهم البحر فغرق أكثرهم ولم ينج إلا القليل ، وكان ذهاب هذا الأسطول مما أضعف المعز وقوى عليه العرب حتى أخذوا البلاد منه فملك حينئذ الفرنج أكثر البلاد على مهل وتؤدة ، لا يمنعهم أحد . واشتغل صاحب إفريقية بما دهمه من العرب ومات المعز سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، وولي

ابنه تميم فبعث أيضاً أسطولاً وعسكراً إلى الجزيرة وقدم عليه ولديه أيوب بم وعلياً ، فوصلوا إلى صقلية فنزل أيوب والعسكر المدينة ، ونزل علي جرجنت ، ثم انتقل أيوب إلى جرجنت فأمر علي بن الحوأس أن ينزل في قصره وأرسل هدية كثيرة ، فلما أقام أيوب فيها أحبه أهلها فحسده ابن الحوأس فكتب إليهم ليخرجوه فلم يفعلوا ، فسار إليه في عسكره وقاتله فشذ أهل جرجنت من أيوب وقاتلوا معه فبينما ابن الحوأس يقاتل أتاه سهم غرب فقتله ، فملك العسكر عليهم أيوب . ثم وقع بعد ذلك بين أهل المدينة وبين عبيد تميم فتنة أدّت إلى القتال ، ثم زاد الشر بينهم فاجتمع أيوب وعلي أخوه ورجعا في الأسطول إلى إفريقية سنة إحدى وستين وصحبهم جماعة من أعيان صقلية والأسطولية ، ولم يبق للفرنج ممانع فاستولوا على الجزيرة ولم يثبت بين أيديهم غير قصر يانة وجرجنت ، فحصرهما الفرنج وضيقوا على المسلمين بهما فضاقت الأمور على أهلها حتى أكلوا الميتة ، ولم يبق عندهم ما يأكلونه . فأما أهل جرجنت فسلموها إلى الفرنج وبقيت قصر يانة بعدها ثلاث سنين فلما اشتد الأمر عليهم أذعنوا إلى التسليم ، فتسلمها الفرنج - لعنهم الله - سنة أربع وثمانين وأربعمائة .

وملك رجار جميع الجزيرة وأسكنها الروم والفرنج مع المسلمين ، ولم يترك لأحد من أهلها حمماً ولا دكاناً ولا طاحوناً ، ومات رجار بعد ذلك قبل التسعين والأربعمائة وملك بعده ولده رجار ، فسلك طريق ملوك المسلمين من الحنائب والحجاب والسلاحية والجاندارية وغير ذلك وخالف عادة الفرنج فإنهم لا يعرفون شيئاً ، منه وجعل له ديوان المظالم ترفع إليه شكاوى المظلومين فينصفهم ولو من ولده ، وأكرم المسلمين وقربهم ومنع عنهم

الفرنج فأحبوه ، وعمر أسطولاً كبيراً وملك الجزائر التي بين
المهدية وصقلية مثل مالطه وقوصرة وجربة وقرقنة ، وتناول إلى
سواحل إفريقية فكان منه ما نذكره إن شاء الله .

ذكر وصول السلطان إلى بغداد

في هذه السنة في شهر رمضان وصل السلطان إلى بغداد وهي
المرة الثانية ،

ونزل بدار المملكة ونزل أصحابه متفرقين ووصل إليه أخوه تاج
الدولة تتش وقسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب ، وغيرهما من
زعماء الأطراف وعمل الميلاد ببغداد وتأنقوا في

عمله فذكر الناس أنهم لم يروا ببغداد مثله أبداً وأكثر الشعراء
وصف تلك الليلة فمن قال المطرز :

٦٦ وكلُّ نارٍ على العشاق مُضِرمة من نارٍ قلبي أو من ليلة
السدق

٦٧ نار تجلت بها الظلماء واشتبهت بسدفة الليل فيه غرة
الفلق

٦٨ وزارت الشمس فيها البدر واصطلحا على الكواكب بعد الغيظ
والحنق

٦٩ مدت على الأرض بسطاً من جواهرها ما بين مجتمع وارٍ
ومفترق

٧٠ مثل المصاييح إلا أنها نزلت من السماء بلا رجم ولا
حرق

٧١ أعجب بنار ورضوان يسعرها ومالك قائم منها على فرق
٧٢ في مجلس ضحكت روض الجنان له لما جلي ثغره عن واضح
يقق

٧٣ وللشموع عيون كلما نظرت تظلمت من يديها أنجم
النسق

٧٤ من كل مرهفة الأعطاف كالغصن المياد لكنه عار من الورق
٧٥ إني لأعجب منها وهي وادعة تبكي وعيشتها من ضربة العنق
وفي هذه المرة أمر بعمارة جامع السلطان فابتدىء في عمارته
في المحرم سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، وعمل قبلته بهرام
منجمه وجماعة من أصحاب الرصد، وابتدأ بعده نظام الملك وتاج
الملك والامراء الكبار بعمل دور لهم يسكنونها ، إذا قدموا بغداد
فلم تطل مدتهم بعدها وتفرّق شملهم بالموت والقتل وغير ذلك

في باقي سنتهم ولم تغن عنهم عساكرهم وما جمعوا شيئاً ،
فسبحان الدائم الذي لا يزول أمره .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة رحل ابن أبي هاشم من مكة مستغيثاً من التركمان
وفي آخرها مرض نظام الملك ببغداد فعالج نفسه بالصدقة فكان
يجتمع بمدرسته من الفقراء والمساكين من لا يحصى وتصدق عنه
الأعيان والأمراء من عسكر السلطان فعوفي ، وأرسل له الخليفة
خلعاً نفيسة . وفيها في تاسع شعبان كان بالشام وكثير من البلاد
زلازل كثيرة وكان أكثرها بالشام ففارق الناس مساكنهم وانهدم
بانطاكية كثير من المساكن وهلك تحتها عالم كثير وخرب من
سورها تسمعون برجاً فأمر السلطان ملكشاه بعمارتها . وفيها في
شَوَّال توفي أبو طاهر عبد الرحمن بن محمد بن علك الفقيه
الشافعي وهو من

رؤساء الفقهاء الشافعية وهو الذي تقدّم ذكره في فتح سمرقند ،
ومشى أرباب الدولة السلطانية كلهم في جنازته إلا نظام الملك
فإنه اعتذر بعلو السنّ وأكثر البكاء عليه ودفن عند الشيخ أبي
اسحاق بباب أبرز وزار السلطان قبره وتوفي محمد بن عبد الله
بن الحسين أبو بكر الناصح الحنفي قاضي الري ، وكان من أعيان
الفقهاء الحنفية يميل إلى الاعتزال وكان موته في رجب . وفيها
في شعبان توفي أبو الحسن علي بن الحسين بن طاوس المقرئ
بمدينة صور .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة

ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بحيان

في هذه السنة جمع أذفونش عساكره وجموعه وغزا بلاد جيان من الأندلس ، فلقية المسلمون وقاتلوه واشتد الحرب فكانت الهزيمة أولاً على المسلمين ، ثم إن الله تعالى رد لهم الكرة على الفرنج فهزموهم وأكثروا القتل فيهم ، ولم ينج إلا الأذفونش في نفر يسير ، وكانت هذه الواقعة من أشهر الوقائع بعد الزلافة وأكثر الشعراء ذكرها في أشعارهم.

ذكر استيلاء تنش على حمص وغيرها من ساحل الشام

لما كان السلطان ببغداد قدم إليه أخوه تاج الدولة تنش من دمشق وقسيم الدولة آقسنقر من حلب وبوزان من الرهاء، لما أذن لهم السلطان في العود إلى بلادهم أمر قسيم الدولة وبوزان أن يسيرا مع عساكرهما في خدمة أخيه تاج الدولة حتى يستولي على ما للخليفة المستنصر العلوي بساحل الشام من البلاد ويسيروهم معه إلى مصر ليملكها فساروا أجمعون إلى الشام ، ونزل على حمص وبها ابن ملاعب صاحبها وكان الضرر به وبأولاده عظيماً على المسلمين فحاصروا البلد وضيقوا على من به ، فمكله تاج الدولة وأخذ ابن ملاعب وولديه وسار إلى قلعة عرفة فملكها عنوة وسار إلى قلعة أفامية ، فملكها أيضاً وكان بها خادم للمصري فنزل بالأمان فأمنه، ثم سار إلى طرابلس فنازلها فرأى صاحبها جلال الملك بن عمار جيشاً لا يدفع إلا بحيلة ، فأرسل إلى الأمراء الذين مع تاج الدولة وأطمعهم ليصلحوا حاله فلم ير فيهم مطمئناً ، وكان من قسيم الدولة آقسنقر وزير له اسمه زرین كمر فراسله ابن عمار فرأى عنده ليناً فأتحفه وأعطاه فسعى مع صاحبه قسيم الدولة في إصلاح حاله ليدفع عنه وحمل له ثلاثين ألف دينار وتحفاً

بمثّلها وعرض عليه المناشير التي بيده من السلطان بالبلد والتقدم
إلى النواب بتلك البلاد

بمساعده والشد معه والتحذير من محاربه فقال آقسنقر لتاج الدولة تتش : لا أقاتل من هذه المناشير بيده فاغلظ له تاج الدولة وتال : هل أنت إلا تابع لي ؟ فقال آقسنقر : أنا أتابعك إلا في معصية السلطان . ورحل من الغد عن موضعه فاضطر تاج الدولة إلى الرحيل فرحل غضبان وعاد بوزان أيضاً إلى بلاده فانتفض هذا الأمر .

ذكر ملك السلطان اليمن

لي كان ممن حضر أيضاً عند السلطان ببغداد جبق أمير التركمان وهو صاحب قرميسين وغيرها فأمره السلطان أن يسير هو وجماعة من أمراء السلطان كانوا معه إلى الحجاز واليمن ويكون أمرهم إلى سعد الدولة كوهرائين ليفتحوا البلاد هناك فاستعمل عليهم سعد الدولة أمير اسمه ترشك فساروا حتى وردوا اليمن ، فاستولوا عليها وأسأؤوا السيرة في أهلها ولم يتركوا فاحشة ولا سيئة إلا ارتكبوها وملكوا عدن وظهر على ترشك الجدرى فتوفي في سابع يوم من وصوله إليها وكان عمره سبعين سنة فعاد أصحابه إلى بغداد وحملوه ودفنوه عند قبر أبي حنيفة رحمة الله عليه .

ذكر مقتل نظام الملك

في هذه السنة عاشر رمضان قتل نظام المهلك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الوزير بالقرب من نهاوند وكان هو والسلطان في أصبهان وقد عاد إلى بغداد فلما كان بهذا المكان بعد أن فرغ من إفطاره وخرج في محفته إلى خيمة خرمه أتاه صبي ديلمي من الباطنية في صورة مستميج أو مستغيث فضربه بسكين كانت معه ، فقضى عليه وهرب فعثر بطنب خيمة فأدركوه فقتلوه ، وركب السلطان إلى خيمه فسكن عسكر وأصحابه وبقي وزير السلطان

ثلاثين سنة سوى ما وزر للسلطان ألب أرسلان صاحب خراسان أيام عمه طغرل بك ، قبل أن يتولى السلطنة وكانت قد علت سنه فإنه كان مولده سنة ثمان وأربعمئة وكان سبب قتله ، أن عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك ، كان قد ولاه جده نظام الملك رياسة مرو وأرسل السلطان إليها شحنة يقال له : قودن ، وهو من أكبر مماليكه ومن أعظم الأمراء في دولته فجرى بينه وبين عثمان منازعة في شيء فحملت عثمان حادثة سنه وتمكنه وطمعه بجله ، على أن قبض عليه وأخرق به ثم أطلقه فقصد السلطان مستغيثاً شاكياً فأرسل السلطان إلى نظام الملك رسالة مع تاج الدولة ومجد الملك البلاساني وغيرهما من أرباب دولته ، يقول له : ان كنت شريكى

في الملك ويدك مع يدي في السلطنة-فلذلك حكم ، وإن كنت نائبي وبحكمي فيجب

أن تلزم حد التبعية والنيابة ، وهؤلاء أولادك قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة وولي ولاية كبيرة ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا إلى أن فعلوا كذا وكذا ، وأطال القول وأرسل معهم الأمير يلبرد وكان من خواصه وثقاته وقال له : تعرفني ما يقول فرما كتم هؤلاء شيئاً ، فحضروا عند نظام الملك وأوردوا عليه الرسالة فقال لهم : قولوا للسلطان إن كنت ما علمت أنني شريكك في الملك فاعلم فانك ما نلت هذا الأمر إلا بتدبري ورأي ، أما يذكر حين قتل أبوه فقممت بتدبير أمره وقمعت الخوارج عليه من أهله وغيرهم منهم فلان وفلان ، وذكر جماعة من خرج عليه وهو ذلك الوقت يتمسك بي ويلزميني ولا يخالفني فلما قدت الأمور إليه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الأمصار القريبة والبعيدة وأطاعه القاصي والداني أقبل يتجنى لي الذنوب ويسمع في السعيات ، قولوا له عني إن ثبات تلك القلنسوة معذوق بهذه الدواة ، وإن اتفقا رباط كل رغبة وسبب كل غنيمة ، ومتى أطبقت هذه زالت تلك فإن عزم على تغيير فليتزود للاحتياط تبل وقوعه وليأخذ الحذر من الحادث أمام طروقه ، وأطال فيما هذا سبيله ، ثم قال لهم : قولوا للسلطان عني مهما أردتم فقد أهمني ما لحقني من توبيخه وفت في عضدي ، فلما خرجوا من عنده اتفقوا على كتمان ما جرى عن السلطان وأن يقولوا له ما مضمونه : العبودية والتنصل ، ومضوا إلى منازلهم وكان الليل قد انتصف ومضى يلبرد إلى السلطان فاعلمه ما جرى وبكر الجماعة إلى السلطان وهو ينتظرهم فقالوا له من الاعتذار

والعبودية ما كانوا اتفقوا عليه فقال لهم السلطان ، إنه لم يقل هذا وإنما قال كيت وكيت فأشاروا حينئذ بكتمان ذلك رعاية لحق نظام الملك وسابقته ، فوقع التدبير عليه حتى تم عليه من القتل ما تم ومات السلطان بعده بخمسة وثلاثين يوماً وانحلت الدولة ووقع السيف وكان قول نظام الملك شبه الكرامة له وأكثر الشعراء مراثيه قمن جيد ما قيل فيه قول شبل الدولة مقاتل بن عطية :

٦٣ كان الوزير نظام الملك لؤلؤة يتيمة صاغها الرحمن من شرف

٦٤ عزّت فلم تعرف الأيام قيمتها فردها غيرة منه إلى الصدف

ورأى بعضهم نظام الملك بعد قتله في المنام فسأله عن حاله فقال : كان يعرض .

علي جميع عملي لولا الحديد التي أصبت بها يعني القتل .

ذكر ابتداء حاله وشيء من أخباره

أما ابتداء حاله فكان من أبناء الدهاقين بطوس فزال ما كان لأبيه من مال وملك وتوفيت أمه وهو رضيع فكان أبوه يطوف به على المرضعات فيرضعنه حسبة حتى شب وتعلم العربية ، وسر الله فيه يدعوه إلى علو الهمة والاشتغال بالعلم فتفقه وصار فاضلاً وسمع الحديث الكثير ثم اشتغل بالأعمال السلطانية ولم يزل الدهر يعلو به ويخفض حضراً وسفراً ، وكان يطوف بلاد خراسان ووصل إلى غزنة في صحبة بعض المتصرفين ، ثم لزم أبا علي بن شاذان متولي الأمور ببلخ لداود والد السلطان ألب أرسلان فحسنت حاله معه وظهرت كفايته وأمانته وصار معروفاً عندهم بذلك فلما حضرت أبا علي بن شاذان الوفاة أوصى الملك ألب أرسلان به وعرفه حاله فولاه شغله ثم صار وزيراً له إلى أن ولي السلطنة بعد عمه طغرل بك واستمر على الوزارة لأنه ظهرت منه كفاية عظيمة وآراء سديدة فادت السلطنة إلى ألب أرسلان فلما توفي ألب أرسلان قام بأمر ابنه ملكشاه وقد تقدم ذكر هذه الجمل مستوفي مشروحاً .

وقيل إن ابتداء أمره أنه كان يكتب الأمير تاجر صاحب بلخ وكان الأمير يصادره في رأس كل سنة ويأخذ ما معه ويقول له : قد سمعت يا حسن ويدفع إليه فرساً ومقرعة ويقول له : هذا يكفيك فلما طال ذلك عليه أخفي أولاده فخر الملك ومؤيد الملك وهرب إلى جغري بك داود والد ألب أرسلان ، فوقف فرسه في الطريق فقال : اللهم إني أسألك فرساً تخلصني عليه فسار غير بعيد فلقيه تركماني وتحتة فرس جواد فقال لنظام الملك انزل عن فرسك فنزل عنه فأخذه التركماني وأعطاه فرسه فركبه وقال له : لا

تنسني يا حسن . قال نظام الملك : فقيوت نفسي بذلك وعلمت أنه ابتداء سعادة . فسار نظام الملك إلى مرو ودخل على داود فلما رآه أخذ بيده وسلمه إلى ولده ألب أرسلان وقال له : هذا حسن الطوسي ، فتسلمه واتخذته والداً لا تخالفه . وكان الأمير تاجر لما سمع بهرب نظام الملك سار في أثره إلى مرو فقال لداود : هذا كاتبني ونائبي قد أخذ أموالي فقال له داود حديثك مع محمد يعني ألب أرسلان وكان اسمه محمداً فلم يتجاسر تاجر على خطابه فتركه وعاد .

وأما أخباره فإنه كان عالماً ديناً جواداً عادلاً حليماً كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت كان مجلسه عامراً بالقراء والفقهاء وأئمة المسلمين وأهل الخير والصلاح أمر

بناء المدارس في سائر الأمصار والبلاد ، وأجرى لها الجرايات العظيمة وأملى الحديث بالبلاد ببغداد وخراسان وغيرها وكان يقول : إني لست من أهل هذا الشأن لما تولاه ولكني أحب أن أجعل نفسي على قطار نقله حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إذا سمع المؤذن أمسك عن كل ما هو فيه وتجنبه فإذا فرغ لا يبدأ بشيء قبل الصلاة . وكان إذا غفل المؤذن ودخل الوقت يأمره بالأذان وهذا غاية حال المنقطعين إلى العبادة في حفظ الأوقات ولزوم الصلوات وأسقط المكوس والضرائب وأزال لعن الأشعرية من المنابر . وكان الوزير عميد الملك الكندري قد حسن للسلطان طغربك التقدم بلعن الرافضة فأمره بذلك فأضاف إليهم الأشعرية ولعن الجميع فلهذا فارق كثير من الأئمة بلادهم مثل إمام الحرمين وأبي القاسم القشيري وغيرهما . فلما ولي ألب أرسلان السلطنة أسقط نظام الملك ذلك جميعه وأعاد العلماء إلى أوطانهم ، وكان نظام الملك إذا دخل عليه الإمام أبو القاسم القشيري والإمام أبو المعالي الجويني يقوم لهما ويجلس في مسنده كما هو ، وإذا دخل أبو علي الفارمذي يقوم إليه ويجلسه في مكانه ويجلس هو بين يديه ، ف قيل له في ذلك فقال : إن هذين وأمثالهما إذا دخلوا علي يقولون لي أنت كذا وكذا يشنون عليّ بما ليس فن فيزيدني كلامهم عجباً وتيهاً ، وهذا الشيخ يذكر لي عيوب نفسي وما أنا فيه من الظلم فتتكسر نفسي لذلك وأرجع عن كثير مما أنا فيه . وقال نظام الملك : كنت أتمنى أن يكون لي قرية خالصة ومسجد أتفرد فيه لعبادة ربي ثم بعد ذلك تمنيت أن يكون لي قطعة أرض أتقوت بريعتها ومسجد أعبدُ الله فيه ، وأما الآن فأنا أتمنى أن يكون لي رغيف كل يوم ومسجد أعبد الله فيه .

وقيل : كان ليلة يأكل الطعام وبجانبه أخوه أبو القاسم وبالجانب الآخر عميد خراسان ، وإلى جانب العميد إنسان فقير مقطوع اليد فنظر نظام الملك فرأى العميد يتجنب الأكل مع المقطوع فأمره بالانتقال إلى الجانب الآخر وقرب المقطوع إليه فأكل معه ، وكانت عادته أن يحضر الفقراء ويقربهم إليه ويدنيهم وأخباره مشهورة كثيرة قد جمعت لها المجاميع السائرة في البلاد .

ذكر وفاة السلطان وذكر بعض سيرته

سار السلطان ملكشاه بعد قتل نظام الملك إلى بغداد ودخلها في الرابع والعشرين

من شهر رمضان ولقيه وزير الخليفة عميد الدولة بن جهير وظهرت من تاج الملك كفاية

عظيمة . وكان السلطان قد أمر أن تفصل خلع الوزارة لتاج الملك ، وكان هو الذي سعى بنظام الملك فلما فرغ من الخلع ولم يبق غير لبسها والجلوس في الدست اتفق أن السلطان خرج إلى الصيد وعاد ثالث شوال مريضاً وأنشب الموت أظفاره فيه ولم يمنع عنه سعة ملكه وكثرة عساكره . وكان سبب مرضه أنه أكل لحم ، صيد فحُتم وافتصد ولم يستوف إخراج الدم فثقل مرضه وكانت حمى محرقة . فتوفي ليلة الجمعة النصف من شوال ، ولما ثقل نقل أرباب دولته أموالهم إلى حريم دار الخلافة ولما توفي سترت زوجته ترکان خاتون المعروفة بخاتون الجلالية موته وكتمته وأعادت جعفر بن الخليفة من ابنة السلطان إلى أبيه المقتدي ه بأمر الله وسارت من بغداد والسلطان معها محمولاً وبذلت الأموال للأمرء سرّاً واستحلفتهم لابنها محمود . وكان تاج الملك يتولى ذلك لها وأرسلت قوام الدولة كربوقا الذي صار صاحب الموصل إلى أصبهان بخاتم السلطان فاستنزل مستحفظ القلعة وتسلمها وأظهر أن السلطان أمره بذلك ولم يسمع يسلطان مثله لم يصلَ عليه أحد ولم يلطم عليه وجهه وكان مولده سنة سبع وأربعين وأربعمئة ، وكان من أحسن الناس صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين إلى آخر الشام ، ومن أقاصي بلاد الإسلام في الشمال إلى آخر بلاد اليمن وحمل إليه ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب ، وانقضت أيامه على أمن عام وسكون شامل وعدل مطرد . ومن أفعاله أنه لما خرج عليه أخوه تكش بخراسان اجتاز بمشهد علي بن موسى الرضا بطوس فزاره فلما خرج قال لنظام الملك : بأي شيء دعوت ؟ قال : دعوت الله أن ينصرك . فقال أما

أنا فلم أدع بهذا بل قلت اللهم انصر أضلحنا للمسلمين وأنفَعنا للرعية .

وحُكي عنه أن سوادياً لقيه وهو يبكي فاستغاث به . . وقال : كنت ابتعت بطيحاً بدريهمات لا أملك سواها فغلبني عليه ثلاثة نفر من الأتراك فأخذوه مني فقال السلطان له : اقعد ثم أحضر فراشاً وقال : قد اشتيت بطيحاً وكان ذلك عند أول استوائه وأمره بطلبه من العسكر فتاب ثم عاد ومعه البطيخ فأمره بإحضار من وجده عنده فأحضره فسأله السلطان : من أين لك ذلك البطيخ ؟ فقال : غلmani جاؤوني به فأمر أن يجيء بهم إليه فمضى وأمرهم بالهرب وعاد فقال : لم أجدهم فقال للسوادي : خذ هذا مملوكي قد وهبته لك عوضاً عن بطيخك ويحضر الذين أخذوه والله لئن أطلقتهم لأضربن عنقك فأخذه السوادي فاشترى الغلام نفسه بثلاثمائة دينار ، فعاد السوادي إلى السلطان وقال : قد بعته نفسه بثلاثمائة دينار فقال : أَرْضيت بذلك ، قال : نعم لمص قال : امض

مصاحباً للسلامة .

وقال عبد السميع بن داود العباسي : شاهدت ملكشاه وقد أتاه رجلان من أرض العراق السفلى من قرية الحدادية يعرفان بابني غزال فلقياه فوقف لهما فقالا : إن مقطعنا الأمير خمارتكين قد صادرنا بألف وستمئة دينار وقد كسر ثنيتي أحدا ، وأراهما السلطان وقد قصدناك لتقتص لنا منه فإن أخذت بحقنا كما أوجب الله عليك وإلا فالله يحكم بيننا . قال : فرأيت السلطان وقد نزل عن دابته ، وقال : ليمسك كل واحد منكما بطرف كمي واسحباني إلى خواجه حسن يعني نظام الملك فامتنعا من ذلك واعتذرا ، فاقسم عليهما إلا فعلا فاخذ كل واحد منهما بكم من كمي ومشى معهما إلى نظام الملك فبلغه الخبر فخرج مسرعاً فلقيه وقبل الأرض . وقال : يا سلطان العالم ما حملك على هذا فقال : كيف يكون حالي غداً عند الله إذا طولبت بحقوق المسلمين وقد قلدتك هذا الأمر لتكفيني مثل هذا الموقف ؟ فإن نال الرعية أذى فأنت المطالب فانظر لي ولنفسك ، فقبل الأرض ومشى في خدمته وعاد من وقته . وكتب بعزل الأمير خمارتكين عن أقطاعه ورد المال عليهما وأعطاهما مائة دينار من عنده وأمرهما بإثبات البيئة أنه ليقلع ثنيتيه عوضهما فرضيا وانصرفا . – وقيل إنه ورد بغداد ثلاث دفعات فخافه الناس من غلاء الأسعار وتعدي الجند فكانت الأسعار أرخص منها قبل قدومه . وكان الناس يخرقون عساكره ليلاً ونهاراً فلا يخافون أحداً ولم يتعد عليهم أحد ، وأسقط المكوس والمؤن من جميع البلاد وعمر الطرق والقناطر والربط التي في المفاوز وحفر الأنهار الخراب وعمر الجامع ببغداد ، وعمل المصانع بطريق مكة وبنى البلد بأصبهان وبنى منارة القرون بالسياعي

بطريق مكة وبنى مثلها بما وراء النهر . واصطاد مرة صيداً كثيراً فأمر بعده فكان عشرة آلات رأس فأمر بصدقة عشرة آلاف دينار ، وقال : إني خائف من الله تعالى كيف أزهدت أرواح هذه الحيوانات بغير ضرورة ولا مأكلة وفرق من الثياب والأموال بين أصحابه ما لا يحصى وصار بعد ذلك كلما صاد شيئاً تصدق بعدده دنائير وهذا فعل من يحاسب نفسه على حركاته وسكناته وقد أكثر الشعراء مراثيه أيضاً .

وقيل : إن بعض أمراء السلطان كان نازلاً بهراة مع بعض العلماء اسمه عبد الرحمن في داره فقال يوماً أذلك الأمير للسلطان – وهو سكران : ، إن عبد الرحمن يشرب

الخمير ولمجد الأصنام من دون الله تعالى وشلل الحرام ، فلم يجبه ملكشاه . فلما كان الغد صحا ذلك الأمير فأخذ السلطان السيف وقال له : اصدقني عن فلان وإلا قتلتك ، فطلب منه الأمان فأمنه ، فقال : إن عبد الرحمن له دار حسناء وزوجة جميلة ، فأردت أن تقتله فأفوز بداره وزوجته فأبعده السلطان وشكر الله تعالى على التوقف عن قبول سعايته وتصدق بأموال جليلة المقدار .

ذكر ملك ابنه الملك محمود وما كان من

حال ابنه اسبر بركيارق إلى أن ملك

لما مات السلطان ملكشاه كتمت زوجته ترکان خاتون موته كما ذكرناه وأرسلت

إلى الأمراء سرّاً فأرضتهم واستحلفتهم لولدها محمود وعمره أربع سنين وشهور ، وأرسلت إلى الخليفة المقتدي في الخطبة لولدها أيضاً فأجابها وشرط أن يكون اسم السلطنة لولدها والخطبة له ، ويكون المدير لزعامة الجيوش ورعاية البلد هو الأمير أنز ويصدر عن رأي تاج الملك ويكون ترتيب العمال وجباية الأموال إلى تاج الملك أيضاً وكان تاج الملك هو الذي يدبر الأمر بين يدي خاتون ، فلما جاءت رسالة الخليفة إلى خاتون بذلك امتنعت من قبوله ، ف قيل لها : إن ولدك صغير ولا يجوز الشرع ولايته ، وكان المخاطب لها في ذلك الغزالي فأذعنت له وأجابت إليه فخطب لولدها ولقب ناصر الدنيا والدين ، وكانت الخطبة يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال من السنة ، وخطب له بالحرمين الشريفين . ولما مات السلطان ملكشاه أرسلت ترکان خاتون إلى أصبهان في القبض على بركيارق بن السلطان وهو أكبر أولاده ، خافته أن ينازع ولدها في السلطنة فقبض عليه . فلما ظهر موت ملكشاه وثب المماليك النظامية على سلاح كان لنظام الملك بأصبهان فأخذه وثاروا في

البلد وأخرجوا بركيارق من الحبس ، وخطبوا له بأصبهان وملكوه
وكانت والدته بركيارق زبيدة ابنة ياقوتي بن داود ، وير ابنة عم
ملكشاه خائفة على ولدها من خاتون أم محمود فاتاها الفرج
بالمماليك النظامية . وسارت ترکان خاتون من بغداد إلى أصبهان
فطالب العسكر تاج الملك بالأموال فوعدهم فلما وصلوا إلى قلعة
برجين صد إليها لينزل الأموال منها فلما استقر فيها عصى على
خاتون ولم ينزل خوفاً من العسكر فساروا عنه ونهبوا خزائنه فلم
يجدوا بها شيئاً فانه كان قد علم ما جرى فاستظهر وأخفاه . ولما
وصلت ترکان خاتون إلى أصبهان

لحقها تاج الملك واعتذر بان مستحفظ اللقعة حبسه وأنه هرب منه إليها فقبلت عذره . وأما بركيارق فانه لما قاربت خاتون وابنها محمود أصبهان ، خرج منها هو ومن معه من النظامية وساروا نحو الري فلقبهم أرغش النظامي في عساكره ومعه جماعة من الأمراء وصاروا يداً واحدة وإنما حمل النظامية على الميل إلى بركيارق كراحتهم لتاج الملك لأنه كان عدو نظام الملك والمتهم بقتله ، فلما اجتمعوا حصروا قلعة طبرك وأخذوها عنوة فسيرت خاتون العساكر إلى قتال بركيارق فالتقى العسكران بالقرب من بروجرد فانحاز جماعة من الأمراء الذين في عسكر خاتون إلى بركيارق منهم الأمير يلبرد وكمشتكين الجاندار وغيرهما فقوي بهم وجرى الحرب بينهم أواخر ذي الحجة واشتد القتال فانهزم عسكر خاتون وعادوا إلى أصبهان وصار بركيارق في أثرهم بأصبهان . ذكر قتل تاج الملك كان تاج الملك مع عسكر خاتون وشهد الواقعة فهرب إلى نواحي بروجرد فاخذ وحمل إلى عسكر بركيارق وهو يحاصر أصبهان ، وكان يعرف كفايته فأراد أن يستوزره فشرع تاج الملك في إصلاح كبار النظامية ، وفرق فيهم مائتي ألف دينار سوى العروض فزال ما في قلوبهم ، فلما بلغ عثمان نائب نظام الملك الخبر ساءه فوضع الغلمان الأصاغر على الاستغاثة وأن لا يقنعوا إلا بقتل قاتل صاحبهم ففعلوا فانفسخ ما دبره تاج الملك وهجم النظامية عليه فقتلوه وفصلوه أجزاء . وكان قتله في المحرم سنة ست وثمانين وحمل إلى بغداد أحد أصابعه وكان كثير الفضائل جم المناقب ، وإنما غطى جميع محاسنه ممالأته على قتل نظام الملك وهو الذي بنى تربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي

وعمل المدرسة التي إلى جانبها ورتب بها الشيخ أبا بكر الشاشي
وكان عمره حين قتل سبعاً وأربعين سنة .

ذكر ما فعله العرب بالحجاج والكوفة

سار الحجاج هذه السنة من بغداد فقدموا الكوفة ورحلوا منها
فخرجت عليهم خفاجة وقد طمعوا بموت السلطان وبعد العسكر
فأوقعوا بهم وقتلوا أكثر الجند الذين معهم وانهزم باقيهم ونهبوا
الحجاج ، وقصدوا الكوفة فدخلوها وأغاروا عليها وقتلوا في أهلها
فرماهم الناس بالنشاب فخرجوا بعد أن نهبوا وأخذوا ثياب من
لقوه من الرجال

والنساء فوصل الخبر إلى بغداد فسيرت العساكر منها فلما سمع بهم بنو خفاجة انهزموا فأدركهم العسكر فقتل منهم خلق كثير ونهبت أموالهم وضعفت خفاجة بعد هذه الواقعة .

ذكر عدة حوادث

فيها في ربيع الأول عاد السلطان من بغداد إلى أصبهان وأخذ معه الأمير أبا الفضل جعفر بن الخليفة المقتدي بأمر الله من ابنة السلطان وتفرق الأمراء إلى بلادهم لا ثم عاد إلى بغداد فتوفي كما ذكرناه .

وفيها في جمادى الأولى احترق نهر المعلى فاحترق عقد الحديد إلى خربة الهراس إلى باب دار الضرب ، واحترق سوق الصاغة والسيارف والمخلطين والريحانيين وكان الحريق من الظهر إلى العصر فاحترق منها الأمر العظيم في الزمان القليل ، واحترق من الناس خلق كثير ، ثم ركب عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وجمع السقائين ولم يزل راكباً حتى طفت النار .

وفي هذه السنة توفي عبد الباقي بن محمد بن الحسين بن نايقا الشاعر البغدادي

سمع الحديث وكان يتهم بأنه يطعن على الشرائع فلما مات كانت يده مقبوضة فلم يطق الغاسل فتحها فبعد جهد فتحت فإذا فيها مكتوب :

٦٦ نزلت بجار لا يخيب ضيفه أرجى نجاتي من عذاب جهنم

٦٧ وإني على خوفي من الله واثق بإنعامه والله أكرم منعم
وفيها توفي هبة الله بن عبد الوارث بن علي بن أحمد أبو القاسم الشيرازي الحافظ أحد الرحالين في طلب الحديث شرقاً وغرباً

وقدم الموصل من العراق وهو الذي أظهر سماع الجعديات لأبي
محمد الصريفي ولم يكن يعرف ذلك .

ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة

ذكر وزارة عز الملك بن نظام الملك لبركيارق

كان عز الملك أبو عبدالله الحسين بن نظام الملك مقيماً بخوارزم حاكماً فيها وفي

كل ما يتعلق بها إليه المرجع في كل أمورها السلطانية ، فلما كان قبل أن يقتل أبوه حضر عنده خدمة له وللسلطان ، فقتل أبوه ومات السلطان فأقام بأصبهان إلى الآن فلما حصرها ببركيارق وكان أكثر عسكره النظامية ، خرج من أصبهان هو وغيره من إخوته فلما اتصل ببركيارق احترمه وأكرمه وفوض أمور دولته إليه وجعله وزيراً له .

ذكر حال تتش بن ألب أرسلان

كان تتش بن ألب أرسلان صاحب دمشق وما جاورها من بلاد الشام فلما كان قبل

موت أخيه السلطان ملكشاه سار من دمشق إليه ببغداد فلما كان بهيت بلغه موته فاخذ هيت واستولى عليها ، وعاد إلى دمشق يتجهز بطلب السلطنة فجمع العساكر وأخرج الأموال وسار نحو حلب ، وبها قسيم الدولة آقسنقر فرأى قسيم الدولة اختلاف أولاد صاحبه ملكشاه وصغرهم فعلم أنه لا يطيق دفع تتش فصالحه وصار معه وأرسل إلى باغي سيان صاحب أنطاكية ، وإلى بوزان صاحب الرها وحران يشير عليهما بطاعه تاج الدولة تتش حتى يروا ما يكون من أولاد ملكشاه ففعلوا وصاروا معه وخطبوا له في بلادهم وقصدوا الرحبة فحاصروها وملكوها في المحرم من هذه السنة وخطب لنفسه بالسلطنة ثم ساروا إلى نصيبين فحاصروها فسب أهلها تاج الدولة ففتحها عنوة وقهراً وقتل من أهلها خلقاً كثيراً ونهبت الأموال وفعل فيها الأفعال القبيحة ، ثم سلمها إلى

الأمير محمد بن شرف الدولة العقيلي وسار يريد الموصل وأتاه
الكافي بن فخر الدولة ابن جهير وكان في جزيرة ابن عمر فأكرمه
واستوزره .

ذكر وقعة المضيق وأخذ الموصل من العرب

كان إبراهيم بن قريش بن بدران أمير بني عقيل قد استدعاه السلطان ملكشاه سنة

اثنتين وثمانين وأربعمائة ليحاسبه ، فلما حضر عنده اعتقله وأنفذ فخر الدولة بن جهير إلى البلاد فملك الموصل وغيرها وبقي إبراهيم مع ملكشاه وسار معه إلى سمرقند وعاد إلى بغداد فلما مات ملكشاه أطلقته ترکان خاتون من الاعتقال فسار إلى الموصل . وكان ملكشاه قد أقطع عمته صفية مدينة بلد وكانت زوجة شرف الدولة ولها منه ابنا علي وكانت قد تزوجت بعد شرف الدولة بأخيه إبراهيم ، فلما مات ملكشاه قصدت الموصل ومعها ابنا علي فقصدها محمد بن شرق الدولة وأراد أخذ الموصل فافترقت العرب فرقتين : فرقة معه وأخرى مع صفية وابنا علي ، واقتتلوا بالموصل عند الكناسة فظفر علي وانهزم محمد وملك علي الموصل فلما وصل إبراهيم إلى جهينة وبينه وبين الموصل أربعة فراسخ سمع أن الأمير علياً ابن أخيه شرف الدولة قد ملكها ومعه أمه صفية عمة ملكشاه ، فأقام مكانه وراسل صفية خاتون وترددت الرسل فسلمت البلد إليه . فأقام به فلما ملك تتش نصيبين أرسل إليه يأمره أن يخطب له بالسلطنة ويعطيه طريقاً إلى بغداد لينحدر ويطلب الخطبة بالسلطنة ، فامتنع إبراهيم من ذلك فسار تتش إليه وتقدم إبراهيم أيضاً نحوه فالتقوا بالمضيق من أعمال الموصل في ربيع الأول ، وكان إبراهيم في ثلاثين ألفاً وكان تتش في عشرة آلاف . وكان آقسنقر على ميمنته وبوزان على ميسرته فحمل العرب على بوزان فانهزم وحمل آقسنقر على العرب فهزمهم ، وتمت الهزيمة على إبراهيم والعرب وأخذ

إبراهيم أسيراً وجماعة من أمراء العرب فقتلوا صبراً ونهبت أموال العرب وما معهم من الإبل والغنم والخيول وغير ذلك، وقتل كثير من نساء العرب أنفسهن خوفاً من السبي والفضيحة ، وملك تتش بلادهم الموصل وغيرها ، واستتاب بها علي بن شرف الدولة مسلم وأمه صفية عمة تتش وأرسل إلى بغداد يطلب الخطبة وساعده كوهرائين على ذلك فقبل لرسوله أنا أنتظر وصول الرسل من العسكر فعاد إلى تتش بالجواب .

ذكر ملك تتش ديار بكر وأذربيجان وعوده إلى الشام

فلما فرغ تاج الدولة تتش من أمر العرب وملك الموصل وغيرها من بلادهم سار إلى ديار بكر في ربيع الآخر فملك ميفارقين وسائر ديار بكر من ابن مروان ، وسار منها

إلى أذربيجان فانتهى خبره إلى ابن أخيه ركن الدين بركيارق وكان قد استولى على كثير من البلاد منها الري وهمذان وما بينهما ، فلما تحقق الحال سار في عساكره ليمنع عمه عن البلاد فلما تقارب العسكران قال قسيم الدولة آقسنقر لبوزان : إنما أطعنا هذا الرجل لننظر ما يكون من أولاد صاحبنا والآن فقد ظهر ابنه ونريد نكون معه ، فاتفقا على ذلك وفارقا تتش وصارا مع بركيارق فلما رأى تاج الدولة تتش ذلك ، علم أنه لا قوة له بهم فعاد إلى الشام واستقامت البلاد لبركيارق ، فلما قوي أمره سار كوهرائين إلى العسكر يعتذر من مساعدته لتاج الدولة تتش ، وأعانه برسق وتعصب عليه كمشتكين الجاندار فاخذ أقطاعه وأعطى الأمير يلبرد زيادة وولي سحنية بغداد عوض كوهرائين وتفرق عن كوهرائين أصحابه فكان ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر حصر عسكر مصر صور وملكهم لها

في هذه السنة في جُمادى الآخرة ملك عسكر المستنصر بالله العلوي صاحب

مصر مدينة صور وسبب ذلك ما ذكرناه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة أن أمير الجيوش بدرا وزير المستنصر سير العساكر إلى مدينة صور وغيرها من ساحل الشام ، وكان من بها قد امتنع من طاعتهم فملكها وقرر أمورها وجعل فيها الأمراء، وكان قد ولي مدينة صور الأمير يعرف بمنير الدولة الجيوشي فعصى على المستنصر وأمير الجيوش وامتنع بصور فسترت العساكر من مصر إليه ، وكان أهل صور قد أنكروا على منير الدولة عصيانه على سلطانه فلما وصل العسكر المصري إلى صور وحصروها وقتلوها ثار أهلها ونادوا بشعار المستنصر وأمير الجيوش ، وسلموا البلد

وهجم العسكر المصري بغير مانع ولا مدافع ونهب من البلد شيء كثير وأسر منير الدولة ومن معه من أصحابه ، وحملوا إلى مصر وقطع على أهل البلد ستون ألف دينار فأجحت بهم ، ولما وصل منير الدولة إلى مصر ومعه الأسرى قتلوا جميعهم ولم يعف عن واحد منهم.

ذكر قتل اسماعيل بن ياقوتي خال بركيارق

في هذه السنة في شعبان قتل إسماعيل بن ياقوتي بن داود وهو خال بركيارق وابن

عم ملكشاه وسبب قتله أنه كان بأذربيجان أميراً عليها فأرسلت إليه ترکان خاتون زوجة ملكشاه تطمعه أن تتزوج به وتدعوه إلى محاربة بركيارق ، فأجابها إلى ذلك وجمع خلقاً كثيراً من التركمان وغيرهم ، وصار أصحاب سرهنگ ساوتكين في خيله وأرسلت إليه

تركان خاتون كربوقاً وغيره من الأمراء في عسي كثير مدداً له فجمع بركيارق عساكره وسار إلى حرب خاله اسماعيل فالتقوا عند الكرج فانحاز الأمير يلبرد إلى بركيارق وصار معه ، فانهزم اسماعيل وعسكره وتوجه إلى أصبهان فأكرمته تركان خاتون وخطبت له وضربت اسمه على الدينار بعد ابنها محمود بن ملكشاه ، وكاد الأمر في الوصلة يتم بينهما فامتنع الأمراء من ذلك لا سيما الأمير انز وهو مدبر الأمر وصاحب الجيش وآثروا خروج اسماعيل عنهم وخافوه وخاف هو أيضاً منهم ففارقهم وراسل أخته زبيدة والدة بركيارق في اللحاق بهم ، فأذنت له في ذلك فوصل إليهم وأقام عندهم أياماً يسيرة فخلا به كمشتكين الجاندار وأقسنقر وبوزان وبسطوه في القول ، فأطلعهم على سره وأنه يريد السلطنة وقتل بركيارق فوثبوا عليه فقتلوه وأعلموا أخته خبره فسكتت عنه .

ذكر أخذ الحجاج

في هذه السنة انقطع الحج من العراق لأسباب أوجبت ذلك ، وسار الحجاج من

دمشق مع أمير أقامه تاج الدولة تتش صاحبها فلما قضوا حجهم عادوا سائرين ستر أمير مكة وهو محمد بن أبي هاشم عسكرياً فلحقوهم بالقرب من مكة ونهبوا كثيراً من أموالهم وجمالهم ، فعادوا إليها ولقوه وسألوه أن يعيد عليهم ما أخذ منهم وشكوا إليه بعد ديارهم فأعاد بعض ما أخذ منهم ، فلما أيسوا منه ساروا من مكة عائدين على أقبح صورة فلما أبعدها عنها ظهر عليهم جموع من العرب في عدة جهات فصانعوهم على مال أخذه من الحجاج

بعد أن قتل منهم جماعة وافرة وهلك فيه بالضعف والانقطاع وعاد السالم على أقبح صورة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في جمادى الأولى قدم إلى بغداد اردشير بن منصور أبو الحسين الواعظ العبادي ، وأكثر الوعظ بالمدرسة النظامية وهو مروزي وقدم بغداد قاصداً للحج ، وكان له قبول عظيم بحيث أن الغزالي وغيره من الأئمة ومشايخ الصوفية الكبار يحضرون مجلسه وذرع في بعض المجالس الأرض التي فيها الرجال فكان طولها مائة وخمسة وسبعين ذراعاً وعرضها مائة وعشرون ذراعاً . وكانوا يزد صموداً ازدحاماً كثيراً وكان النساء أكثر من ذلك ، وكان له كرامات ظاهرة وعبادات كثيرة ، وكان سبب منعه

من الوعظ أنه نهى أن يتعامل الناس ببيع القراضة بالصحيح وقال
هو ربا فمنع من الوعظ وأخرج من البلد .

وفيها وقعت الفتنة ببغداد بين العامة وقصد كل فريق الفريق الآخر
وقطعوا الطرقات بالجانب الغربي وقتل أهل النصرية مصلحيا
فأرسل كوهرائين أحرقها واتصلت الفتنة بين أهل الكرخ وباب
البصرة وكان للعميد الأغرابي المحاسن الدهسناني في إطفاء هذه
الفتنة أثر حسن .

وفيها في شعبان سار سيف الدولة صدقة بن مزيد إلى السلطان
بركيارق فلقية بنصيبين وسار معه إلى بغداد علق الموصل فوصلها
في ذي القعدة ومعه وزيره عز الملك بن نظام الملك وخرج عميد
الدولة والناس إلى لقائه من عقرقوف .

وفيها ولد للمستظهر بالله ولد سُمي الفضل وكُنّي أبا منصور
ولقب عمدة الدين وهو المسترشد بالله .
وفيها في رمضان قتل الأمير يلبرد قتله بركيارق وكان من الأمراء
الكبار مع أبيه

فزاده بركيارق أقطاع كوخرائين وشحنكية بغداد فلما وصل إلى
دقوقا أعيد منها لأنه تكلم فيما يتعلق بوالدة السلطان بركيارق
بكلام شنيع فلما وصل إليه أصبح مقتولاً

وفيها في المحرم توفي علي بن أحمد بن يوسف أبو الحسن
القرشي الهكاري المعروف بشيخ الإسلام ، وكان فاضلاً عابداً كثير
السماع إلا أن الغرائب في حديثه كثيرة لا يدري ما سببها ، والأمير
أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر العجلي المعروف بابن
ماكولا مصنف كتاب الإكمال قتله غلمان الأتراك بكرمان ومولده
سنة اثنتين وأربعمئة وكان حافظاً .

وفيهما في صفر توفي أبو محمد عامر الضرير وكان فقيهاً شافعيّاً
مقرئاً نحويّاً وكان يصلي في رمضان بالإمام المقتدي بأمر الله
وفي جمادى الأولى توفي الأمير أبو الفضل جعفر بن المقتدي وأمه
ابنة السلطان ملكشاه ومولده في ذي القعدة سنة ثمانين وإليه
تنسب الجعفریات .

وفي رجب توفي الشيخ أبو سعد عبد الواحد بن أحمد بن المحسن
الوكيل بالمخزن وكان فقيهاً شافعيّاً كثير الإحسان إلى أهل العلم
وكان محموداً في ولايته .

وفيه توفى كمال الملك الدهستاني الذي كان عميد بغداد .
وفي رمضان توفى المشطب بن محمد الحنفي بالكحيل من أرض
الموصل وكان الخليفة قد أرسله إلى بركيارق وكان بالموصل
ومعه تاج الرؤساء أبو نصر بن الموصلايا وكان شيخاً كبيراً عالماً
مكرماً عند الملوك وحمل إلى العراق ودفن عند أبي حنيفة .

وفيه توفى القاضي أبو علي يعقوب بن ابراهيم المرزباني قاضي
باب الأزج وولي

مكانه القاضي أبو المعالي عزيزي وكان أبو المعالي شافعيّاً
أشعريّاً مغالياً وله مع أهل باب الأزج أقاصيص وحكايات عجيبة .

وفيه توفى نصر بن الحسن بن القاسم بن الفضل أبو الليث وأبو
الفتح التنكتي له كنيّتان سافر البلاد شرقاً وغرباً روى صحيح مسلم
وغيره وكان ثقة ومولده سنة ست وأربعمائة .

وفي ذي الحجة منها توفى أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي
الحنبلي الفقيه وكان وافر العلم غزير الدين حسن الوعظ
والسمت .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة

ذكر الخطبة للسلطان بركيارق

في هذه السنة يوم الجمعة رابع عشر المحرم خطب ببغداد للسلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قدمها أواخر سنة ست وثمانين وأرسل إلى الخليفة المقتدي بأمر الله يطلب الخطبة فأجيب إلى ذلك وخطب له ولقب ركن الدين ، وحمل الوزير عميد الدولة بن جهير الخلع إلى بركيارق فلبسها وعرض التقليد على الخليفة ليعلم عليه فعلم فيه ، وتوفي فجأة على ما ذكره إن شاء الله تعالى وولي ابنه الإمام المستظهر بالله الخلافة ، فأرسل الخلع والتقليد إلى السلطان بركيارق فأقام ببغداد إلى ربيع الأول من السنة وسار عنها إلى الموصل .

ذكر وفاة المقتدي بأمر الله

في هذه السنة يوم السبت خامس عشر المحرم توفي الإمام المقتدي بأمر الله أبو

القاسم عبدالله بن الذخيرة بن القائم بأمر الله أمير المؤمنين فجأة ، وكان قد أحضر عنده تقليد السلطان بركيارق ليعلم فيه فقرأه وتدبره وعلم فيه ، ثم قدم إليه طعام فأكل منه وغسل يديه وعنده قهرمانته شمس النهار فقال لها : ما هذه الأشخاص التي دخلت علي بغير إذن ؟ قالت : فالتفت فلم أر شيئاً ورأيت قد تغيرت حالته واسترخت يداه ورجلاه وانحلت قوته وسقط إلى الأرض فظننتها غشية قد لحقته ، فحللت أزرار ثوبه فوجدته قد ظهرت عليه إمارات الموت ومات لوقته . قالت : فتماسكت وقلت لجارية عندي : ليس هذا وقت إظهار الجزع والبكاء فإن صحت قتلتك ، وأحضرت الوزير فأعلمته الحال فشرعوا في البيعة لولي العهد وجهزوا المقتدي وصلى عليه ابنه المستظهر بالله ودفنوه

وكان عمره ثمانيةً وثلاثين سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام وكانت
خلافته تسع عشر . سنة وثمانية أشهر غير يومين وأمه أم ولد
أرمنية تسمى أرجوان وتدعى قرة العين أدركت

خلافته وخلافة ابنه المستظهر بالله وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله ووزر له فخر الدولة أبو نصر بن جهير ، ثم أبو شجاع ، ثم عميد الدولة أبو منصور بن جهير . وقضاته أبو عبدالله الدامغاني ، ثم أبو بكر الشامي .

وكانت أيامه كثيرة الخير واسعة الرزق ، وعظمت الخلافة أكثر مما كان من قبله وانعمرت ببغداد عدة محال في خلافته منها البصلية والقطيعة والحلبة والمقتدية والأجمة ودرب القيار وخربة بن جردة وخربة الهراس والخانونيتين . وأمر بنفي المغنيات والمفسدات من بغداد وبيع دورهن فنفيهن ومنع الناس أن يدخل أحد الحمام الا بمئزر ، وقلع الهراذي والأبراج التي للطيور ومنع من اللعب بها لأجل الإطلاع على حرم الناس ، ومنع من إجراء ماء الحمامات إلى دجلة وألزم أربابها بحفر آبار للمياه وأمر أن من يغسل السمك المالح يعبر إلى النجفي فيغسله هناك ، ومنع الملاحين أن يحملوا الرجال والنساء مجتمعين . وكان قوي النفس عظيم الهمة من رجال بني العباس .

ذكر خلافة المستظهر بالله

لما توفي المقتدي بأمر الله أحضر ولده أبو العباس أحمد المستظهر بالله ، وأعلم

بموته وحضر الوزير فبايعه وركب إلى السلطان بركيارق فاعلمه الحال ، وأخذ بيعته للمستظهر بالله ، فلما كان اليوم الثالث من موت المقتدي أظهر ذلك وحضر عز الملك بن نظام الملك وزير بركيارق وأخوه بهاء الملك وأمراء السلطان ، وجميع أرباب المناصب النقيبان طراد العباسي والمعمر العلوي في أصحابهما ، وقاضي القضاة والغزالي والشاشي وغيرهما من العلماء فجلسوا

في العزاء وبايعوا . وكان للمستظهر بالله لما بوع ست عشرة سنة وشهران.

ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر وملك تتش حلب والجزيرة

وديار بكر وأذربيجان وهمذان والخطبة له ببغداد في هذه السنة في جمادى الأولى قتل قسيم الدولة آقسنقر جد ملوكنا بالموصل الآن أولاد الشهيد زنكي بن آقسنقر. وسبب قتله أن تاج الدولة تتش لما عاد من أذربيجان منهزماً لم يزل يجمع -العساكر فكثرت جموعه وعظم حشده فسار في هذا التاريخ عن دمشق نحو حلب ليطلب السلطنة ، فاجتمع قسيم الدولة آقسنقر وبوزان

وأمدّهما ركن الدين بركيارق بالأمير كربوقا الذي صار بعد صاحب الموصّل ، فلما اجتمعوا ساروا إلى طريقه فلقوه عند نهر سبعين قريباً من تل السلطان بينه وبين حلب ستة فراسخ واقتتلوا واشتد القتال فخامر بعض العسكر الذين مع أقسنقر فانهزموا وتبعهم الباقيون فتمت الهزيمة وثبت أقسنقر ، فاخذ أسيراً وأحضر عند تتش فقال له : لو ظفرت بي ما كنت صنعت ؟ قال : كنت أقتلك فقال له : أنا أحكم عليك بما تحكم علي فقتله صبراً ، وسار نحو حلب وكان قد بخل إليها كربوقا وبوزان فحفظاها منه وحصرها تتش ولجّ في قتالها حتى ملكها ، سلمها إليه المقيم بقلعة الشريف ، ومنها دخل البلد وأخذهما أسيرين وأرسل إلى حران والرها يسلمهما من بهما وكانت لبوزان فامتنعوا من التسليم إليه ، فقتل بوزان وأرسل رأسه إليهم وتسلم البلدين . وأما كربوقا فإنه أرسله إلى حمص فسجنه بها إلى أن أخرجه الملك رضوان بعد قتل أبيه تتش ، وكان قسيم الدولة أحسن الأمراء سياسة لرعيته وحفظاً لهم . وكانت بلاده بين رخص عام وعدل شامل وأمن واسع ، وكان قد شرط على أهل كل قرية من بلاده متى أخذ عندهم قفل ج و أحد من الناس غرم أهلها جميع ما يؤخذ من الأموال من قليل وكثير ، فكانت السيارة إذا بلغوا قرية من بلاده ألقوا رحالهم وناموا وحرسهم أهل القرية إلى أن يرحلوا فأمنت الطرق وأما وفاؤه وحسن عهده فيكفيه فخراً أنه قتل في حفظ بيت صاحبه وولي نعمته " فلما ملك تتش حران والرها سار إلى الديار الجزرية فملكها جميعها ثم ملك ديار بكر وخلاط ، وسار إلى أذربيجان فملك بلادها كلها ثم سار منها إلى همذان فملكها ورأى به فخر الملك بن نظام الملك وكان بخراسان فسار منها إلى السلطان بركيارق

ليخدمه فوق عليه الأمير فماج وهو من عسكر محمود بن السلطان ملكشاه بأصبهان ، فنهب فخر الملك فهرب منه ونجا بنفسه فجاء إلى همذان فصادفه تتش بها ، فأراد قتله فشفع فيه باغيسيان وأشار عليه أن يستوزره لميل الناس إلى بيته فاستوزره وأرسل إلى بغداد يطلب الخطبة من الخليفة المستظهر بالله، وكان شحنته ببغداد أيتكين جب فلازم الخدمة بالديوان وألح في طلبها فأجيب إلى ذلك بعد أن سمعوا أن بركيارق قد انهزم من عسكر عمه تتش على ما نذكره .

ذكر انهزام بركيارق من عمه تتش وملكه أصبهان بعد ذلك

في هذه السنة في شوال انهزم بركيارق من عسكر عمه تتش ، وكان بركيارق

بنصيبين فلما سمع بمسير عمه إلى أذربيجان سار هو من نصيبين وعبر دجلة من بلد من فوق الموصل ، وسار إلى إربل ، ومنها إلى بلد سرخاب بن بدر إلى أن بقي بينه وبين عمه تسعة فراسخ ولم يكن معه غير ألف رجل ، وكان عمه في خمسين ألف رجل فسار الأمير يعقوب بن آبق من عسكر عمه فكبسه وهزمه ونهب سواده ولم يبق معه إلا برسق وكمشتكين الجاندار واليارق ، وهم من الأمراء الكبار فسار إلى أصبهان ، وكانت خاتون أم أخيه محمود قد ماتت على ما ذكره فمنعه من بها من الدخول إليها ثم أذنوا له خديعة منهم ليقبضوا عليه ، فلما قاربها خرج أخوه الملك محمود فلقه ودخل البلد واحتاطوا عليه ، فاتفق أن أخاه محموداً حم وجدر فأراد الأمراء أن يكحلوا بركيارق فقال لهم .أمين الدولة ابن التلميذ الطبيب إن الملك محموداً قد جدر وما كأنه يسلم منه وأراكم تكرهان أن يليكم ويملك البلاد تاج الدولة فلا تعجلوا على بركيارق فان مات محمود أقيموه ملكاً وإن سلم محمود فأنتم تقدرون على كحله ، فمات محمود سلخ شوال ، فكان هذا من الفرج بعد الشدة وجلس بركيارق للعزاء بأخيه وكان مولد محمود في صفر سنة ثمانين وأربعمائة وقصده مؤيد الملك بن نظام الملك فاستوزره في ذي الحجة وكان أخوه عز الملك بن نظام الملك قد مات لما كان مع بركيارق بالموصل وحمل إلى بغداد فدفن بالنظامية ، وكان أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً وسيرة وكان قد أجرى الناس على ما بأيديهم من توقيعات أبيه في الإطلاقات من خاصة منها ببغداد مائتا كر غلة وثمانية عشر ألف دينار أميرى ، ثم إن بركيارق جدر بعد أخيه وعوفي وسلم فلما

عوفي كاتب مؤيد الملك وزيره الأمراء العراقيين والخراسانيين واستمالهم فعادوا كلهم إلى بركيارق فعظم شأنه وكثر عسكره .

ذكر وفاة أمير الجيوش بمصر

في هذه السنة في ذي القعدة توفي أمير الجيوش بدر الجمالي صاحب الجيش بمصر وقد جاوز ثمانين سنة وكان هو الحاكم في دولة المستنصر والمرجوع إليه وكان قد استعمله على الشام سنة خمس وخمسين وأربعمئة ، وجرى بينه وبين الرعية والجند بدمشق ما خاف على نفسه فخرج عنها هارباً وجمع وحشد وقدم إلى الشام ، فاستولى عليه بأسره سنة ست وخمسين ثم خالفه أهل دمشق مرة أخرى فهرب منه سنة ستين وخرب العامة والجند قصر الإمارة، ثم مضى أمير الجيوش إلى مصر وتقدم بها وصار

صاحب الأمر، قال علقمة بن عبد الرزاق العليمي : قصدت بدر الجمالي بمصر فرأيت أشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم على بابه قد طال مقامهم ولم يصلوا إليه قال : فبينما أنا كذلك إذ خرج بدر يريد الصيد، فخرج علقمة في أثره وأقام إلى أن رجع من صيده فلما قاربه وقف على نشز من الأرض وأوماً برقعة في يده وأنشأ يقول :

نحن التجار وهذه أعلاقنا	در وجود يمينك المبتاع	٦
قلب وفتشها يسمعك إنما	هي جوهر يختاره الأسماع	٧
كسدت علينا بالشام وكلما	قل النفاق تعطل الصناع	٨
فأتاك يحملها إليك تجارها	ومطيتها الآمال والأطماع	٩
حتى أناخوها ببابك والرجا	من دونك السمسار	١٠

والبياع

فوهبت ما لم يعطه في دهره هرم ولا كعب ولا
الققعاع

وسبقت هذا الناس في طلب العلا فالناس بعدك كلهم أتباع ١١
يا بدر أقسم لو بك اعتصم الوري ولجوا إليك جميعهم ما ١٢
ضاعوا

وكان على يد بدر بازي فألقاه وانفرد عن الجيش وجعل يسترد الأبيات وهو ينشدها إلى أن استقر في مجلسه ثم قال لجماعة غلمانه وخاصته من أحبني فليخلع على هذا الشاعر فخرج من عنده ومعه سبعون بغلاً يحمل الخلع والتحف وأمر له بعشرة آلاف درهم فخرج من عنده وفرق كثيراً من ذلك على الشعراء ولما مات بدر قام بما كان إليه ابنه الأفضل .

ذكر وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلي

في هذه السنة ثامن عشر ذي الحجة توفي المستنصر بالله أبو
تميم معد بن أبي الحسن علي الظاهر لإعزاز دين الله العلوي
صاحب مصر والشام وكانت خلافته ستين سنة وأربعة أشهر ،
وكان عمره سبعاً وستين سنة وهو الذي خطب له البساسيري في
بغداد ، وقد ذكرناها ذلك . وكان الحسن بن الصباح رئيس هذه
الطائفة الإسماعيلية قد قصده في زي تاجر واجتمع به وخاطبه في
إقامة الدعوة له ببلاد العجم فعاد ودعا الناس إليه سرّاً ثم أظهرها
وملك القلاع كما ذكرناه ، وقال للمستنصر من إمامي بعدك ؟
فقال : ابني نزار ، وهو أكبر أولاده والإسماعيلية إلى يومنا هذا
يقولون بإمامة نزار .

ولقي المستنصر شذائد وأهوالاً وانفتقت عليه الفتوق بديار مصر أخرج فيها أمواله وذخائره إلى أن بقي لا يملك غير سجاده التي يجلس عليها وهو مع هذا صابر غير خاشع ، وقد أتينا على ذكر هذا سنة سبع وستين وأربعمائة وغيرها . ولما مات ولي بعده ابنه أبو القاسم أحمد المستعلي بالله ومولده في المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة . وكان قد عهد في حياته بالخلافة لابنه فخلعه الأفضل وباع المستعلي بالله ، وسبب خلعه أن الأفضل ركب مرة أيام المستنصر ودخل دهليز القصر من باب الذهب راكباً ونزار خارج والمجاز مظلم فلم يره الأفضل فصاح به نزار : انزل يا أرمني كلب عن الفرس ما أقل أدبك ، فحقدها عليه فلما مات المستنصر خلعه خوفاً منه على نفسه وباع المستعلي فهرب نزار إلى الإسكندرية وبها ناصر الدولة أفتكين فبايعه أهل الإسكندرية وسموه المصطفي لدين الله فخطب الناس ولعن الأفضل وأعانه أيضاً القاضي جلال الدولة بن عمار قاضي الإسكندرية فسار إليه الأفضل وحاصره بالإسكندرية فعاد عنه مقهوراً ثم ازداد عسكرياً وسار إليه فحصره وأخذه وأخذ أفتكين فقتله وتسلم المستعلي نزاراً فبنى عليه حائطاً فمات وقتل القاضي جلال الدولة بن عمار ومن أعانه .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في ربيع الآخر رأى بعض اليهود بالغرب رؤيا أنهم سيطيرون فاخبر اليهود بذلك فوهبوا أموالهم وذخائرهم وجعلوا ينتظرون الطيران فلم يطيروا وصاروا ضحكة بين الأمم ، وفي هذا الشهر كانت بالشام زلازل كثيرة متتابعة يطول مكثها إلا أنها لم يكن الهدم كثيراً .

وفيهما كانت الفتنة بين أهل نهر طابق وأهل باب الأوجا فاحترقت
نهر طابق وصارت تلواً فلما احترقت عبر يمن صاحب الشرطة
فقتل لأجلاً مستوراً فنفر الناس منه وعزل في اليوم الثالث .
وفيهما توفي محمد بن أبي هاشم الحسيني أمير مكة وقد جاوز
سبعين سنة ولم
يكن له ما يمدح به وكان قد نهب بعض الحجاج سنة ست وثمانين
وقتل منهم خلقاً كثيراً .
وفيهما في ربيع الأول قتل السلطان بركيارق عمه تكش وغرقه
وقتل ولده معه ،

وكان ملكشاه قد أخذه لما خرج عليه وكحله وحبسه بقلعة تكريت فلما ملك بركيارق أحضره إليه ببغداد ، وسار بمسيره فظفر بملطفات إليه من أخيه تتش يحته على اللحاق به . وقيل إنه أراد المسير إلى بلخ لأن أهلها كانوا يريدونه فقتله فلما غرق بقي بسر من رأى فحمل إلى بغداد فدفن عند قبر أبي حنيفة .

وفيها في جمادى الآخرة كانت وقعة بين الأمير أنز وتوران شاه بن قاورت بك وكانت ترکان خاتون الجلالية والدة محمود بن ملكشاه قد أرسلته في عسكر ليأخذ بلاد فارس من تورانشاه ، ولم يحسن الأمير أنز تدبير بلاد فارس فاستوحش منه الأجناد واجتمعوا مع تورانشاه وهزموا أنز ومات تورانشاه بعد الكسرة بشهر من سهم أصابه فيها.

وفيها استولى اصبهذ بن ساوتكين على مكة حرسها الله عنوة وهرب منها الأمير

قاسم بن أبي هاشم العلوي صاحبها وأقام بها إلى شوال وجمع الأمير قاسم وكبسه بعسفان وجرى بينهما حرب في شوال من هذه السنة فانهزم أصبهذ ودخل قاسم إلى مكة ومض أصبهذ إلى الشام وقدم إلى بغداد .

وفيها في رجب أحرق شحنة بغداد وهو أيتكين جب باب البصرة وسبب ذلك أن النقيب طراد الزينبي كان له كاتب يعرف بابن سنان ، فقتل فانفذ النقيب إلى الشحنة يستدعي منه من يقيم السياسة فانفذ حاجبه محمداً فرجمه أهل باب البصرة وأدموه ، فرجع إلى صاحبه فشكا إليه منهم فأمر أخاه بقصدهم ومعاقتهم على فعلهم فسار إليهم في جماعة كثيرة ، وتبعهم أهل الكرخ فاحرقوا ونهبوا ، فأرسل الخليفة إلى الشحنة يأمره بالكف عنهم

فكف . وفيها في رمضان توفيت تركان خاتون الجلالية بأصبهان وهي ابنة طغغاج خان وهرمن نسل فراسياب التركي وكانت قد برزت من أصبهان لتسير إلى تاج الدولة تتش لتتصل به فمرضت وعادت وماتت ، وأوصت إلى الأمير أنز وإلى الأمير سرمرز شحنة أصبهان بحفظ المملكة على ابنها محمود ولم يكن بقي بيدها سوى قصة أصبهان ومعها عشرة آلاف فارس أتراك .

وفيها في ذي القعدة ترفي أبو الحسين بن الموصلايا كاتب ديوان الزمام ببغداد .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة

ذكر دخول جمع من الترك إفريقية وما كان منهم

في هذه السنة غدر شاهملك التركي بيحيى بن تميم بن المعز بن باديس وقبض

عليه ، وكان هذا شاهملك من أولاد بعض الأمراء الأتراك ببلاد الشرق ، فناله في بلده أمر اقتضى خروجه منه فسار إلى مصر في مائة فارس فأكرمه الأفضل أمير الجيوش وأعطاه أقطاعاً ومالاً . ثم بلغه عنه أسباب أوجبت إخراجَه من مصر فخرج هو وأصحابه هاربين فاحتالوا حتى أخذوا سلاحاً وخيلاً وتوجهوا إلى المغرب ، فوصلوا إلى طرابلس الغرب وأهل البلد كارهون لواليتها فأدخلوهم البلد وأخرجوا الوالي وصار شاهملك أمير البلد ، فسمع تميم الخبر فأرسل العساكر إليها فحاصروها وضيقوا على الترك ففتحوها ووصل شاهملك معهم إلى المهدية فسر به تميم وبمن معه، وقال : ولد لي مائة ولد انتفع بهم وكانوا لا يخطيء لهم سهم فلم تطل الأيام حتى جرى منهم أمر غير تميماً عليهم فعلم شاهملك ذلك وكان داهياً خيثاً فخرج يحيى بن تميم إلى الصيد في جماعة من أعيان أصحابه نحو مائة فارس ومعه شاهملك ، وكان أبوه تميم قد تقدّم إليه أن لا يقرب شاهملك فلم يقبل فلما أبعدوا في طلب الصيد غدر به شاهملك فقبض عليه وسار به وبمن أخذ معه من أصحاب إلى مدينة سفاقس . وبلغ الخبر تميماً فركب وسير العساكر في أثرهم فلم يدركوهم ووصل شاهملك بيحيى بن تميم إلى سفاقس فركب صاحبها واسمه حمو وكان قد خالف على تميم ولقي يحيى ومشى في ركابه راجلاً وقبل يده وعظمه واعترف له بالعبودية ، فأقام عنده أياماً ولم يذكره أبوه بكلمة وكان قد جعله ولي عهده ، فلما أخذ أقام أبوه مقامه ابناً له آخر

اسمه مثنى . ثم إن صاحب سفاقس خاف يحيى على نفسه أن
يثور معه الجند وأهل البلد ويملكوه عليهم فأرسل إلى تميم كتاباً
يسأله في إنفاذ الأتراك وأولادهم إليه ليرسل ابنه يحيى ففعل ذلك
بعد امتناع ،

وقدم يحيى فحجبه أبوه عنه مدة ثم أعاده إلى حاله ورضي عنه ثم
جهز تميم عسكرياً إلى سفاقس ويحمي معهم فساروا إليها
وحصروها براً وبحراً وضيقوا على الأتراك بها وأقاموا عليها شهرين
واستولوا عليها وفارقها الأتراك إلى قابس وكان تميم لما رضي
عن ابنه يحيى عظم ذلك على ابنه الآخر المثنى وداخله الحسد فلم
يملك نفسه فنقل عنه إلى أبيه ما غير قلبه عليه ، فأمر بإخراجه
من المهديّة بأهله وأصحابه فركب في البحر ومضى إلى سفاقس
فلم يمكنه عامله من الدخول إليها ، وقصد مدينة قابس وبها أمير
يقال له مكين بن كامل الدهسماني فأنزله وأكرمه فحسن له مثنى
الخروج معه إلى سفاقس والمهديّة وأطمعه فيهما ، وضمن الإنفاق
على الجند من ماله ، فجمع مكين من يمكنه جمعه وسار إلى
سفاقس ومعهما شاهملك التركي وأصحابه فنزلوا على سفاقس
وقاتلوها . وسمع تميم فجرد إليها جنداً فلما علم المثنى ومن معه
أنهم لا طاقة لهم بها ، ساروا عنها إلى المهديّة فنزلوا عليها
وقاتلوها وكان الذي يتولى القتال من المهديّة يحيى بن تميم
وظهرت منه شهامة وشجاعة وحزم وحسن تدبير ، فلم يبلغ أولئك
منها غرضاً فعادوا خائبين وقد تلف ما كان مع المثنى من مال
وغيره ، وعظّم أمر يحيى وصار هو المشار إليه .

ذكر قتل أحمد خان صاحب سمرقند

في هذه السنة في المحرم قتل أحمد خان صاحب سمرقند وكان
قد كرهه عسكريه واتهموه بفساد الاعتقاد وقالوا هو زنديق وكان
سبب ذلك أن السلطان ملكشاه لما فتح سمرقند وأسر هذا أحمد
خان قد وكل به جماعة من الديلم ، فحسنوا له معتقدهم وأخرجوه
إلى الإباحة ، فلما عاد إلى سمرقند كان يظهر منه أشياء تدل على

انحلاله من الدين فلما كرهه أصحابه وعزموا على قتله قالوا
لمستحفظ قلعة كاسان - وهو طغرل ينال بك - ليظهر العصيان
ليسير أحمد خان معهم من سمرقند إلى قتاله فيتمكنوا من قتله
فعصى طغرل ينال بك فسار أحمد خان والعسكر إلى قتاله فلما
نازل القلعة تمكر العسكر منه وقبضوا عليه ، وعادوا إلى سمرقند
وأحضروا القضاة والفقهاء وأقاموا خصوماً ادعوا عليه الزندقة
فجدد فشهد عليه جماعة بذلك فأفتى الفقهاء بقتله فخنقوه
وأجلسوا ابن عمه مسعوداً مكانه وأطاعوه .

ذكر ما فعله يوسف بن آبق ببغداد

في هذه السنة في صفر سير الملك تتش يوسف بن آبق التركماني شحنة لبغداد

ومعه جمع من التركمان فمنع من دخول بغداد وورد إليه صدقة بن مزيد صاحب الحلة ، وكان يكره تتش ولم يخطب له في بلاده فلما سمع ابن آبق بوصوله عاد إلى طريق خراسان ونهب باجسرا وقاتله العسكر بيعقوبا فهزمهم ونهبهم أفحش نهب ، وأكثر معه من التركمان وعاد إلى بغداد . وكان صدقة قد رجع إلى الحلة فدخل يوسف بن آبق إلى بغداد وأراد نهبها والإيقاع بأهلها فمنعه أمير كان معه من ذلك ثم وصل إليه الخبر بقتل تتش فرحل عن بغداد إلى الموصل وسار من هناك إلى حلب .

ذكر الحرب بين بركيارق وتتش وقتل تتش

في هذه السنة في صفر قتل تتش بن ألب أرسلان . وكان سبب ذلك أنه لما هزم السلطان بركيارق كما ذكرناه ، سار من موضع الواقعة إلى همذان وقد تحصن بها أمير آخر ، فرحل تتش عنها فتبعه أمير آخر لأجل أثقاله فعاد عليه تتش فكسره فعاد إلى همذان واستأمن إليه وصار معه ، وبلغ تتش مرض بركيارق فسار إلى أصبهان فاستأذنه أمير آخر في قصد جرباذقان لإقامة الضيافة وما يحتاج إليه ، فأذن له ، فسار إليها ومنها إلى أصبهان وعرضهم خبر تتش . وعلم تتش خبره فنهب جرباذقان وسار إلى الري وأرسل الأمراء الذين بأصبهان يدعوهم إلى طاعته ويبدل لهم البذول الكثيرة ، وكان بركيارق مريضاً بالجدي فأجابوه يعدونه بالانحياز إليه وهم ينتظرون ما يكون من بركيارق ، فلما عوفي أرسلوا إلى تتش ليس بيننا غير السيف وساروا مع بركيارق من أصبهان ، وهم في نفر يسير فلما بلغوا جرباذقان أقبلت إليهم

العساكر من كل مكان حتى صاروا في ثلاثين ألفاً فالتقوا ، بموضع قريب من الري فانهزم عسكر تتش وثبت هو فقتل ، قيل : قتله بعض أصحاب اقسنقر صاحب حلب أخذاً بثأر صاحبه ، وكان قد قبض على فخر الملك بن نظام الملك وهو معه فأطلق واستقام الأمر والسلطنة لبركيارق وإذا أراد الله أمراً هياً أسبابه ، بالأمس ينهزم من عمه تتش ويصل إلى أصبهان في نفر يسير فلا يتبعه أحد ولو تبعه عشرون فارساً لأخذه لأنه بقي على باب أصبهان عدة أيام ، ثم لما دخلها أراد الأمراء كحله فاتفق أن أخاه حُم ثاني يوم وصوله وجدر فمات فقام في الملك مقامه ثم

جدر هو وأصابه معه سرسام فعوفي وبقي مذ كسره عمه إلى أن عوفي ، وسار عن أصبهان أربعة أشهر لم يتحرك عمه ولا عمل شيئاً ولو قصده وهو مريض أو وقت مرض أخيه لملك البلاد :

٦٧ ولله سر في علاك وإنما كلام العدا ضرب من الهذيان

ذكر حال الملك رضوان وأخيه دقاق بعد قتل أبيهما

كان تاج الدولة تتش قد أوصى أصحابه بطاعة ابنه الملك رضوان وكتب إليه من

بلد الجبل قبل المصاف الذي قتل فيه يأمره أن يسير إلى العراق ويقيم بدار المملكة، فسار في عدد كثير منهم أيلغازي بن أرتق ، وكان قد سار إلى تتش فتركه عند ابنه رضوان ومنهم الأمير وثاب بن محمود بن صالح بن مرداس وغيرهما ، فلما قارب هيت بلغه قتل أبيه فعاد إلى حلب ومعه والدته فملكها . وكان بها أبو القاسم الحسن بن علي الخوارزمي قد سلمها إليه تتش وحكمه في البلد والقلعة ، ولحق برضوان زوج أمه جناح الدولة الحسين بن أيتكين ، وكان مع تتش فسلم من المعركة وكان مع رضوان أيضاً أخواه الصغيران أبو طالب وبهرام ، وكانوا كلهم مع أبي القاسم كالأضياف لتحكمه في البلد واستمال جناح الدولة المغاربة وكانوا أكثر جند القلعة فلما انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على أبي القاسم وأرسل إليه رضوان أن بطيب قلبه فاعتذر فقبل عذره ، وخطب لرضوان على منابر حلب وأعمالها ولم يكن يخطب له بل كانت الخطبة لأبيه بعد قتله نحو شهرين .

وسار جناح الدولة في تدبير المملكة سيرة حسنة وخاف عليهم الأمير باغيسيان بن محمد بن ألب التركماني صاحب أنطاكية ثم صالحهم وأشار على الملك رضوان بقصد ديار بكر لخلوها من والٍ

يحفظها فساروا جميعاً وقدم عليهم أمراء الأطراف الذي كان تتش
رتبهم فيها وقصدوا سروج . فسبقهم إليها الأمير سقمان بن أرتق
جد أصحاب الحصن اليوم وأخذها ومنعهم عنيا وأمر أهل البلد
فخرجوا إلى رضوان وتظلموا إليه من عساكره وما يفسدون من
غلاتهم ويسألونه الرحيل ، فرحل عنهم إلى الرها. وكان بها رجل
من الروم يقال له الفار قليط ، وكان يضمن البلد من بوزان فقاتل
السلمين بمن معه واحتوى بالقلعة وشاهدوا من شجاعته ما كانوا
لا يظنونه ثم ملكها رضوان وطلب باغيسيان القلعة من رضوان
فوهبها له فتسلمها وحصنها ورتب

رجالها وأرسل إليهم أهل حران يطلبونهم ليسلموا إليهم حران ، فسمع ذلك قراة أميرها فاتهم ابن المفتي ، وكان هذا ابن المفتي قد اعتمد عليه تتش في حفظ البلد فأخذه وأخذ معه بني أخيه فصلبهم ووصل الخبر إلى رضوان وقد اختلف جناح الدولة باغيسيان وأضمر كل واحد منهما الغدر بصاحبه فهرب جناح الدولة إلى حلب فدخلها واجتمع بزوجه أم الملك رضوان ، وسار رضوان وباغيسيان فعبر الفرات إلى حلب فسمعوا بدخول جناح الدولة إليها ففارق وباغيسيان الملك رضوان ، وسار إلى أنطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمي وسار رضوان إلى حلب .

وأما دقاق بن تتش فإنه كان قد سيره أبوه إلى عمه السلطان ملكشاه ببغداد وخطب

له ابنة السلطان ، وسار بعد وفاة السلطان مع خاتون الجلالية وابنها محمد إلى أصبهان وخرج إلى السلطان بركيارق سراً وصار معه ثم لحق بأبيه وحضر معه الواقعة التي قتل فيها فلما قتل أبوه أخذه غلام لأبيه اسمه أيتكين الحلبي ، وسار به إلى حلب وأقام عند أخيه الملك رضوان فراسله الأمير ساوتكين الخادم الوالي بقلعة دمشق سراً يدعو له ليملكه دمشق فهرب من حلب سراً وجدّ في السير ، فأرسل أخوه رضوان عدة من الخيالة فلم يدركوه فلما وصل إلى دمشق فرح به الخادم ، وأظهر الاستبشار ولقيه فلما دخلها أرسل إليه باغيسيان يشير عليه بالتفرد بملك دمشق عن أخيه رضوان واتفق وصول معتمد الدولة طغديكين إلى دمشق ومعه جماعة من خواص تتش وعسكره ، وقد سلموا فإنه كان قد شهد الحرب مع صاحبه وأسر فبقي إلى الآن وخلص من الأسر فلما وصل إلى دمشق لقيه الملك دقاق وأرباب دولته ، وبالغوا في

إكرامه وكان زوج والدة دقاق فمال إليه لذلك وحكمه في بلاده وعملوا على قتل الخادم ساوتكين ، فقتلوه وسار إليهم باغيسيان من أنطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمي فجعله وزيراً لدقاق وحكمه في دولته .

ذكر وفاة المعتمد بن عباد

في هذه السنة توفي المعتمد بن عباد الذي كان صاحب الأندلس مسجوناً بأغमत من بلد المغرب وقد ذكرنا كيف أخذت بلاده منه سنة أربع وثمانين وأربعمائة فبقي مسجوناً إلى الآن وتوفي . وكان من محاسن الدنيا كريماً وعلمياً وشجاعاً ورياسة تامة ، وأخباره مشهورة وآثاره مدونة وله أشعار حسنة ، فمنها ما قاله لما أخذه ملكه وحبس :

٦٤ سلّ علي الخطوبُ سيوقّها فجذذنّ من جسدي
الحصيفِ الأمتنا

٦٥ ضربت بها أيدي الخطوب وإنما ضربت رقاب الأملين بها
المنا

٦٦ يا آملِي العادات من نفحاتنا كفوا فإن الدهر كف أكفنا
وله من قصيدة يصف القيد في رجله :

٦٧ تعطف في ساقِي تعطف أرقم يساورها عضاً بأنياب
ضيغم

٦٨ وإني من كان الرجال بسببه ومن سيفه في جنة
وجهنم

وقال في يوم عيد :

٦٩ فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً فصرت كالعبد في أغمات
مأسوراً

٧٠ قد كان دسرك إن تأمره ممثلاً فردك الدهر منهياً
ومأموراً

٧١ من بات بعدك في ملك يسربه فإنما بات بالأحلام
مسروراً

وكان شاعره أبو بكر بن اللبانة يأتيه وهو مسجون فيمدحه لا
لجدوى ينالها منه ،

بل رعاية لحقه وإحسانه القديم إليه . فلما توفي أتاحه فوقف على
قبره يوم عيد والناس عند قبور أهليهم وأنشد بصوت عال :

٧٢ ملكَ الملوكِ أسامعُ فأنادي أم قد عداك عن الجواب
عوادي

لما خلت منك القصور ولم تكن فيه كما قد كنت في الأعياد

فمثلت في هذا الثرى لك خاضعاً وتخذت قبرك موضع الإنشاد

وأخذ في إتمام القصيدة فاجتمع الناس كلهم عليه ليكون ولو أخذنا في تفصيل مناقبه ومحاسنه لطال الأمر فلنقف عند هذا .

ذكر وفاة الوزير أبي شجاع

في هذه السنة توفي الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين بن عبدالله وزير الخليفة

في جمادى الآخرة وأصله من رودروار ، وولد بالأهواز وقرأ الفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وكان عالماً بالعربية وله تصانيف منها : ذيل تجارب الأمم وكان عفيفاً عادلاً حسن السيرة كثير الخير والمعروف. وكان موته بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مجاوراً فيها ولما حضره الموت أمر فحمل إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فوقف بالحضرة وبكى

وقال : يا رسول الله قال الله عز وجل : { ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً } (1) وقد جئت معترفاً بذنوبي وجرائمي أرجو شفاعتك ، وبكى فكثر ، وتوفي من يومه ودفن عند قبر إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم.

ذكر الفتنة بنيسابور

في هذه السنة في ذي الحجة جمع أمير كبير من أمراء خراسان جمعاً كثيراً وسار

بهم إلى نيسابور فحصرها ، فاجتمع أهلها وقاتلوه أشد قتال ولازم حصارهم نحو أربعين يوماً فلما لم يجد له مطمعاً فيها سار عنها في المحرم سنة تسع وثمانين ، فلما فارقتها وقعت الفتنة بها بين الكرامية وسائر الطوائف من أهلها فقتل بينهم قتلى كثيرة وكان مقدّم الشفاعية أبا القاسم ابن إمام الحرمين أبي المعالي الجويني ومقدم الحنفية القاضي محمد بن أحمد بن صاعد وهما متفقان على الكرامية ومقدم الكرامية محممشاد فكان الظفر للشافعية والحنفية على الكرامية فخربت مدارسهم وقتل كثير منهم ومن غيرهم وكانت فتنة عظيمة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في ربيع الآخر شرع الخليفة في عمل سور على الحريم وأذن الوزير عميد الدولة بن جهير للعامة في التفرج والعمل فزينوا البلد وعملوا القباب وجدوا في عمارته .

وفيها في شهر رمضان جرح السلطان بركيارق جرحه إنسان ستري له من أهل سجستان في عضده ثم أخذ الرجل وأعانه رجلان أيضاً من أهل سجستان ، فلما ضرب الرجل الجرح اعترف أن هذين الرجلين وضعاه واعترفا بذلك فضربا الضرب الشديد

ليقرأ على من أمرهما بذلك فلم يُقرأ فقربا إلى الفيل ليجعلا تحت
قوائمه وقدم أحدهما فقال : اتركوني وأنا أعرفكم ، فتركوه فقال
لصاحبه : يا أخي لا بد من هذه القتلة فلا تفصح أهل سجستان
بإفشاء الأسرار فقتلاه .

وفيها توجه الإمام أبو حامد الغزالي إلى الشام وزار القدس وترك
التدريس في

(1) سورة النساء 64 .

النظامية واستتاب أخاه وتزهّد ولبس الخشن وأكل الدون وفي هذه السفرة صنف إحياء علوم الدين وسمعه منه الخلق الكثير بدمشق وعاد إلى بغداد بعدما حج في السنة التالية وسار إلى خراسان .

وفيها في ربيع الأول خطب لولي العهد أبي الفضل منصور بن المستظهر بالله.

وفيها عزل بركيارق وزيره مؤيداً الملك بن نظام الملك واستوزر أخاه فخر الملك

وسبب ذلك أن بركيارق لما هزم عمه تتش وقتله أرسل خادماً ليحضر والدته زبيدة خاتون من أصبهان ، فاتفق مؤيد الملك مع جماعة من الأمراء وأشاروا عليه بتركها فقال لا أريد الملك إلا لها وبوجودها عندي ، فلما وصلت إليه وعلمت الحال تنكرت على مؤيد الملك وكان نجد الملك أبو الفضل البلاساني قد صحبها في طريقها وعلم أنه لا يتم له أجمر مع مؤيد الملك ، وكان بين مؤيد الملك وأخيه فخر الملك متباعد بسبب جواهر خلفها أبوهم نظام الملك فلما علم فخر الملك تنكر أم السلطان على أخيه مؤيد الملك أرسل وبذل أموالاً جزیلة في الوزارة فأجيب إلى ذلك وعزل أخوه وولي هو .

وفي هذه السنة في جمادى الأولى توفي أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي الفقيه الحنبلي وكان عارفاً بعدة علوم وكان قريباً من السلاطين .

وفيها في رجب توفي أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون المعروف بابن

الباقلاني وهو مشهور ومولده سنة ست وأربعمئة .

وفيهما في شعبان توفي قاضي القضاة أبو بكر محمد بن المظفر الشاشي وكان من

أصحاب أبي الطيب الطبري ولم يأخذ على القضاء أجراً وأقر الحق مقره ولم يحاب أحداً من خلق الله ، ادعى عنده بعض الأتراك على رجك شيئاً فقال : ألك بينة؟ قال : نعم فلان والمشطب الفقيه الفرغاني . فقال لا أقبل شهادة المشطب لأنه يلبس الحرير . فقال التركي : فالسلطان ونظام الملك يلبسان الحرير ؟ فقال : لو شهدا عندي على باقة بقل لم أقبل شهادتهما ووفي القضاء بعده أبو الحسن علي بن قاضي القضاة أبي عبدالله محمد الدامغاني .

وفيهما مات القاضي أبو يوسف عبد السلام بن محمد القزويني ومولده سنة إحدى

عشرة وأربعمائة وكان مغالياً في الاعتزال وقيل كان زيدي المذهب .

وفيهما توفي القاضي أبو بكر بن الرطبي قاضي دجيل وكان شافعي المذهب ،

وولي بعده أخوه أبو العباس أحمد بن الحسن بن أحمد أبو الفضل الحداد الأصفهاني صاحب أبي نعيم الحافظ ، روى عنه حلية الأولياء وهو أكبر من أخيه أبي المعالي . وأبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله بن حميد الحميدي الأندلسي ولد قبل العشرين وأربعمائة وسمع الحديث ببلده ومصر والحجاز والعراق وهو مصنف الجمع بين الصحيحين وكان ثقة فاضلاً ، وتوفي في ذي الحجة ووقف كتبه فانتفع بها الناس .

الفهرس

سنة تسع وثمانين وثلاثمائة

3

ذكر القبض على الأمير منصور ابن نوح وملك أخيه عبد الملك

3

ذكر استيلاء يمين الدولة محمود بن سبكتكين على خراسان

3

ذكر انقراض دولة السامانية وملك الترك وما وراء النهر

5

ذكر ملك بهاء الدولة فارس وخوزستان

6

ذكر مسير باديس إلى زناته

7

ذكر ملك الحاكم طرابلس الغرب وعودها إلى باديس

9

ذكر عدة حوادث

9

سنة تسعين وثلاثمائة

11

ذكر خروج إسماعيل بن نوح وما جرى له بخراسان

11

ذكر محاصرة يمين الدولة سجستان

13

ذكر قتل ابن بختيار بكرمان واستيلاء بهاء الدولة عليها

13

ذكر القبض على الموفق أبي علي بن إسماعيل

14

ذكر عدة حوادث

15

سنة احدى وتسعين وثلاثمائة

16

ذكر قتل المقلد وولاية ابنه قرواش

16

ذكر البيعة لولي العهد

17

ذكر استيلاء طاهر بن خلف على كرمان وعوده عنها

17

ذكر عدة حوادث

18

سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة

20

ذكر وقعة ليمين الدولة بالهند

20

ذكر غزوة أخرى إلى الهند أيضاً

21

ذكر الحرب بين قرواش وعسكر بهاء الدولة

21

سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة

22

ذكر ملك يمين الدولة سجستان

22

ذكر الحرب بين عميد الجيوش أبي ملي وبين أبي جعفر الحجاج

23

ذكر عصيان سجستان وفتحها ثانية

23

ذكر وفاة الطائع لله

24

ذكر وفاة المنصور بن أبي عامر

25

ذكر محاصرة فلفل مدينة قابس وما كان منه

25

ذكر عدة حوادث

26

سنة أربع وتسعين وثلاثمائة

29

ذكر استيلاء أبي العباس على البطيحة

29

ذكر عدة حوادث

30

سنة خمس وتسعين وثلاثمائة

32

ذكر عود مهذب الدولة إلى البطيحة

32

ذكر غزوة بهاطية

33

ذكر عدة حوادث

33

سنة ست وتسعين وثلاثمائة

34

ذكر غزوة المولتان .

34

ذكر غزوة كواكير

35

ذكر عبور عسكر ايلك الخان إلى خراسان

35

ذكر الحرب بين عسكر بهاء الدولة والأكراد

36

ذكر عدة حوادث

36

سنة سبع وتسعين وثلاثمائة

38

ذكر هزيمة ايلك الخان

38

ذكر غزوه الى الهند

39

ذكر حصر أبي جعفر الحجاج بغداد

39

ذكر قصد بدر ولاية رافع بن مقن

40

ذكر قتل أبي العباس بن واصل

40

ذكر مسير عميد الجيوش إلى حرب بدر وصلحه معه

41

ذكر الحرب بين قرواش وأبي علي بن ثمال الخفاجي

42

ذكر خروج أبي ركوة على الحاكم بمصر

42

ذكر القبض على مجد الدولة وعوده إلى ملكه .

46

ذكر عدة حوادث

47

سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة

48

ذكر غزوة بهيم نغر

48

ذكر حال أبي جعفر بن كاكويه

49

ذكر عدة حوادث

49

سنة تسع وتسعين وثلاثمائة

53

ذكر ابتداء حال صالح بن مرداس

53

ذكر عدة حوادث

53

سنة أربعمائه

55

ذكر وقعة نارين بالهند

55

ذكر الخلف بين بدر بن حسنويه وابنه هلال

55

ذكر عود المؤيد إلى إمارة الأندلس وما كان منه

57

ذكر عدة حوادث

59

سنة إحدى وأربعمائه

62

ذكر غزوة يمين الدولة بلاد النور وغيرها

62

ذكر الحرب بين أيلك الخان وبين أخيه

63

ذكر الخطبة للمصريين العلويين بالكوفة والموصل

63

ذكر الحرب بين بني مزيد ، وبين دبيس

64

ذكر وفاة عميد الجيوش وولاية فخر الملك العراق

64

ذكر عدة حوادث

65

سنة اثنتين وأربعمئة

67

ذكر ملك يمين الدولة قصدار

67

ذكر أسر صالح بن مرداس وملكه حلب وملك أولاده
67

ذكر قتل جماعة من خفاجة
72

ذكر القدح في نسب العلويين المصريين
73

ذكر أخذ بني خفاجة الحجاج
73

ذكر عدة حوادث
73

سنة ثلاث وأربعمائة
75

ذكر قتل قابوس
75

ذكر موت أيلك الخان وولاية أخيه طغان خان
76

ذكر وفاة بهاء الدولة وملك سلطان الدولة
77

ذكر ولاية سليمان الأندلس الدولة الثانية
77

ذكر عدة حوادث
77

سنة أربع وأربعمائة
80

ذكر فتح يمين الدولة ناردين

80

ذكر ما فعله خفاجة دفعة أخرى

80

ذكر استيلاء طاهر بن هلال على شهرزور

81

ذكر عدة حوادث

81

سنة خمس وأربعمئة

82

ذكر غزوة تانيشر

82

ذكر قتل بدر بن حسنويه وإطلاق ابنه هلال وقتله

82

ذكر الحرب بين علي بن مزيد وبين بني ديبس

83

ذكر ملك شمس الدولة الري وعوده عنها

84

ذكر عدة حوادث

84

سنة ست وأربعمئة

86

ذكر الفتنة بين باديس وعمه حماد

86

ذكر وفاة باديس وولاية ابنه المعز

87

ذكر غزوة محمود إلى الهند

90

ذكر قتل فخر الملك ووزارة ابن سهلان

90

ذكر قتل طاهر بن هلال بن بدر

91

ذكر عدة حوادث

91

سنة سبع وأربعمائة

94

ذكر قتل خوارزمشاه ، وملك يمين الدولة خوارزم وتسليمها إلى
التوتناش

94

ذكر غزوة قشмир وقنوج وغيرهما

95

ذكر حال ابن فولاذ

97

ذكر ابتداء الدولة العلوية بالأندلس وقتل سليمان

97

ذكر ظهور عبد الرحمن الأموي

99

ذكر قتل علي بن حمود العلوي

100

ذكر ولاية القاسم بن حمود العلوي بقرطبة

100

ذكر دولة يحيى بن علي بن حمود وما كان منه ومن عمه

101

ذكر عود بني أمية إلى قرطبة وولاية المستظهر

102

ذكر ولاية محمد بن عبد الرحمن

103

ذكر عود يحيى العلوي إلى قرطبة وقتله

103

ذكر أخبار أولاد يحيى وأولاد أخيه وغيرهم وقتل ابن عمار

104

ذكر ولاية هشام الأموي قرطبة

106

ذكر تفرق ممالك الأندلس

107

ذكر الحرب بين سلطان الدولة وأخيه أبي الفوارس

113

ذكر قتل الشيعة بإفريقية

114

ذكر عدة حوادث

114

سنة ثمان وأربعمائة

116

ذكر خروج الترك من الصين وموت طغان خان

116

ذكر ملك أخيه أرسلان خان

116

ذكر ملك طغاج خان وولده

118

ذكر كاشغر وتركستان

119

ذكر وفاة مهذب الدولة وحال البطيحة بعده

119

ذكر وفاة علي بن مزيد وإمارة ابنه دبيس

120

ذكر عدة حوادث

121

سنة تسع وأربعمئة

122

ذكر ولاية ابن سهلان العراق

122

ذكر غزوة يمين الدولة إلى الهند والأفغانية

123

ذكر عدة حوادث

125

سنة عشر وأربعمائة

126

سنة احدى عشرة وأربعمائة

128

ذكر قتل الحاكم وولاية ابنه الظاهر

128

ذكر ملك مشرف الدولة العراق

130

ذكر ولاية الظاهر لإعزاز دين الله

131

ذكر الفتنة بين الأتراك والأكراد بهمدان

132

ذكر القبض على أبي القاسم المغربي وابن فهد

132

ذكر الحرب بين قرواش وغريب بن معن

133

ذكر عدة حوادث

133

سنة اثنتي عشرة وأربعمائة

134

ذكر الخطبة لمشرف الدولة ببغداد وقتل وزيره أبي غالب

134

ذكر وفاة صدقة صاحب البطيحة

134

ذكر عدة حوادث

135

سنة ثلاث عشرة وأربعمئة

137

ذكر الصلح بين سلطان الدولة ومشرف الدولة

137

ذكر قتل المعز وزيره وصاحب جيشه

137

ذكر عدة حوادث

138

سنة أربع عشرة وأربعمئة

139

ذكر استيلاء علاء الدولة على همذان

139

ذكر وزارة أبي القاسم المغربي لمشرف الدولة

140

ذكر الفتنة بمكة

141

ذكر فتح قلعة من الهند

141

ذكر عدة حوادث

142

سنة خمس عشرة وأربعمائة

143

ذكر الخلف بين مشرف الدولة والأتراك وعزل الوزير المغربي

143

ذكر الفتنة بالكوفة ووزارة أبي القاسم المغربي لابن مروان
143

ذكر وفاة سلطان الدولة وملك ولده أبي كاليجار وقتل ابن مكرم
144

ذكر عود أبي الفوارس إلى فارس وإخراجه عنها
145

ذكر خروج زناتة والظفر بهم
146

ذكر عود الحجاج على الشام وما كان من الظاهر إليهم
146

ذكر عدة حوادث
147

سنة ست عشرة وأربعمائة
148

ذكر فتح سومنات
148

ذكر وفاة مشرف الدولة وملك أخيه جلال الدولة
151

ذكر ملك نصر الدولة بن مروان مدينة الرها
151

ذكر غرق الأسطول بجزيرة صقلية
152

ذكر عدة حوادث
153

سنة سبع عشرة وأربعمائة

155

ذكر الحرب بين عسكر علاء الدولة والجوزقان

155

ذكر الحرب بين قرواش وبني أسد وخفاجة

155

ذكر الفتنة ببغداد وطمع الأتراك والعيارين

156

ذكر إصعاد الأثير إلى الموصل والحرب الواقعة بين بني عقيل

156

ذكر إحراق خفاجة الأنبار وطاعتهم لأبي كاليجار

157

ذكر الصلح بافريقية بين كتامة وزناتة وبين المعز بن باديس

157

ذكر وفاة حماد بن المنصور وولاية ابنه القائد

157

ذكر عدة حوادث

158

سنة ثمان عشرة وأربعمئة

159

ذكر الحرب بين علاء الدولة وإصبهذ ومن معه

وما تبع ذلك من الفتن

159

ذكر عصيان البطيحة على أبي كاليجار

160

ذكر صلح أبي كاليجار مع عمه صاحب كرمان

161

ذكر الخطبة لجلال الدولة ببغداد وإصعاده إليها

161

ذكر وفاة أبي القاسم بن المغربي وأبي الخطاب

162

ذكر عدة حوادث

163

سنة تسع عشرة وأربعمئة

165

ذكر الحرب بين بدران وعسكر نصر الدولة

165

ذكر شنب الأتراك ببغداد على جلال الدولة

165

ذكر الاختلاف بين الديلم والأتراك بالبصرة

166

ذكر استيلاء أبي كاليجار على البصرة

166

ذكر وفاة صاحب كرمان واستيلاء أبي كاليجار عليها

167

ذكر استيلاء منصور بن الحسين على الجزيرة الديسية

167

ذكر عدة حوادث

168

سنة عشرين وأربعمئة

170

ذكر ملك يمين الدولة الري وبلد الجبل

170

ذكر ما فعله السالار إبراهيم بن المرزبان بعد عود يمين الدولة عن

الري

171

ذكر ملك أبي كاليجار مدينة واسط ، ومسير جلال الدولة إلى
الأهواز

ونهبها وعود واسط إليه

172

ذكر حال ديبس بن مزيد بعد الهزيمة

173

ذكر عصيان زناته ومحاربتهم بإفريقية

174

ذكر ما فعله يمين الدولة وولده بعده بالغز

174

ذكر وصول علاء الدولة إلى الري واتفاقه مع الغز وعودهم إلى
الخلاف عليه

177

ذكر ما كان من الغز الذين بأذربيجان ومفارقتها

177

ذكر ملك الغز همذان

178

ذكر قتل الغز بمدينة تبريز وفراقهم أذربيجان إلى الهكارية

179

ذكر دخول الغز ديار بكر

179

ذكر ملك الغز مدينة الموصل

180

ذكر وثوب أهل الموصل بالغز وما كان منهم

181

ذكر ظفر قرواش صاحب الموصل بالغز

182

ذكر عدة حوادث

183

سنة احدى وعشرين وأربعمائة

186

ذكر ملك مسعود بن محمود بن سبكتكين همذان

186

ذكر غزوة للمسلمين إلى الهند

186

ذكر ملك بدران بن المقلد نصيبين

187

ذكر ملك أبي الشوك دقوقا

187

ذكر وفاة يمين الدولة محمود بن سبكتكين وملك ولده محمد

188

ذكر ملك مسعود وخلع محمد

188

ذكر بعض سيرة يمين الدولة

189

ذكر عود علاء الدولة إلى أصفهان وغيرها وما كان منه

190

ذكر الحرب بين عسكر جلال الدولة وأبي كاليجار

191

ذكر الحرب بين قرواش وغريب بن مقن

191

ذكر خروج ملك الروم إلى الشام وانهزامه

192

ذكر مسير أبي علي بن ماكولا إلى البصرة وقتله

192

ذكر استيلاء عسكر جلال الدولة على البصرة وأخذها منهم

194

ذكر غزو فضلون الكردي الخزر وما كان منه

194

ذكر البيعة لولي العهد

195

ذكر عدة حوادث

195

سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

196

ذكر ملك مسعود بن محمود بن سبكتكين التيز ومكران

196

ذكر ملك الروم مدينة الرها

196

ذكر ملك مسعود بن محمود كرمان وعود عسكره عنها

197

ذكر وفاة القادر بالله وشيء من سيرته وخلافة القائم بأمر الله

197

ذكر خلافة القائم بأمر الله

199

ذكر الفتنة ببغداد

199

ذكر ملك الروم قلعة افامية

200

ذكر الوحشة بين بارسطغان وجلال الدولة

201

ذكر عدة حوادث

201

سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

203

ذكر وثوب الأجناد بجلال الدولة وإخراجه من بغداد

203

ذكر انهزام علاء الدولة بن ككريه من عسكر مسعود بن محمود بن

سبكتكين

203

ذكر عدة حوادث

204

سنة أربع وعشرين وأربعمائة

206

ذكر عود مسعود إلى غزنة والفتن بالري وبلد الجبل

206

ذكر ظفر مسعود بصاحب ساوة وقتله

207

ذكر استيلاء جلال الدولة على البصرة وخروجها عن طاعته

207

ذكر إخراج جلال الدولة من دار المملكة وإعادته إليها

208

ذكر عدة حوادث

208

سنة خمس وعشرين وأربعمائة

210

ذكر فتح قلعة سرستي وغيرها من بلد الهند

210

ذكر حصر قلعة بالهند أيضاً

210

ذكر الفتنة بنيسابور

211

ذكر الحرب بين علاء الدولة وعسكر خراسان

211

ذكر الحرب بين نور الدولة ديبس وأخيه ثابت

212

ذكر ملك الروم قلعة برکوی

212

ذكر عدة حوادث

212

سنة ست وعشرين وأربعمائة

215

ذكر حال الخلافة والسلطنة ببغداد

215

ذكر إظهار أحمد ينالتكين العصيان وقتله

215

ذكر ملك مسعود جرجان وطبرستان

216

ذكر مسير ابن وثاب والروم إلى بلد ابن مروان

216

ذكر عدة حوادث

217

سنة سبع وعشرين وأربعمائة

219

ذكر وثوب الجند بجلال الدولة

219

ذكر الحرب بيني أبي السهل الحمدوني وعلاء الدولة

219

ذكر وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر

219

ذكر فتح السويداء وريض الرها

220

ذكر غدر السناسنة وأخذ الحاج وإعادة ما أخذوه

221

ذكر الحرب بين المعز وزنانة

221

ذكر عدة حوادث

221

سنة ثمان وعشرين وأربعمائة

223

ذكر الفتنة بين جلال الدولة وبين بارسطغان

223

ذكر الصلح بين جلال الدولة وأبي كاليجار والمصاهرة بينهما

224

ذكر عدة حوادث

224

سنة تسع وعشرين وأربعمائة

226

ذكر محاصرة الأبخاز تفليس وعودهم عنها

226

ذكر ما فعله طغرل بك بخراسان

226

ذكر مخاطبة جلال الدولة بملك الملوك

227

ذكر عدة حوادث

228

سنة ثلاثين وأربعمائة

229

ذكر وصول الملك مسعود من غزنة إلى خراسان وإجلاء السلجقية

عنها

229

ذكر ملك أبي الشوك مدينة خولنجان

230

ذكر الخطبة العباسية بحران والرقعة

231

ذكر عدة حوادث

231

سنة احدى وثلاثين وأربعمائة

233

ذكر ملك الملك أبي كاليجار البصرة

233

ذكر ما جرى بعمان بعد موت أبي القاسم بن مكرم

233

ذكر الحرب بين أبي الفتح بن أبي الشوك وبين عمه مهلهل

234

ذكر شغب الأتراك على جلال الدولة ببغداد

235

ذكر عدة حوادث

235

سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة

236

ذكر ابتداء الدولة السلجوقية وسياقة أخبارهم متتابعة

236

ذكر قبض السلطان مسعود وقتله وملك أخيه محمد

243

ذكر ملك مودود بن مسعود وقتله عمه محمداً

245

ذكر الخلف بين جلال الدولة وقرواش صاحب الموصل

246

ذكر ملك أبي الشوك دقوقا

247

ذكر الحرب بين عسكر مصر والروم

247

ذكر الخلف بين المعز وبني حماد

248

ذكر صلح أبي الشوك وعلاء الدولة

248

ذكر عدة حوادث

248

سنة ثلاث وثلاثين وأربعمئة

249

ذكر وفاة علاء الدولة بن كاكويه

249

ذكر ملك طغرل بك جرجان وطبرستان

250

ذكر أحوال ملوك الروم

250

ذكر فساد حال الذيرى بالشام وما صار الأمر إليه بالبلاد

252

ذكر عدة حوادث

253

سنة أربع وثلاثين وأربعمئة

255

ذكر ملك طغرل بك مدينة خوارزم

255

ذكر قصد إبراهيم ينال همذان وما كان منه

257

ذكر خروج طغرل بك إلى الري وملك بلد الجبل

257

ذكر مسير عساكر طغرلبك إلى كرمان

258

ذكر الوحشة بين القائم بأمر الله أمير المؤمنين وجمال الدولة

259

ذكر محاصرة شهرزور وغيرها

260

ذكر خروج سكين بمصر

260

ذكر عدة حوادث

260

سنة خمس وثلاثين وأربعمائة

262

ذكر إخراج المسلمين والنصارى الغرباء من القسطنطينية

262

ذكر وفاة جمال الدولة وملك ألب كاليجار

262

ذكر حال أبي الفتح مولود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين

263

ذكر ملك مودود عدة حصون من بلد الهند

264

ذكر الخلف بين الملك أي كاليجار وفرامرز بن علاء الدولة

264

ذكر أخبار الترك بما وراء النهر

265

ذكر أخبار الروم والقسطنطينية

265

ذكر طاعة المعز بافريقية للقائم بأمر الله

265

ذكر عدة حوادث

266

سنة ست وثلاثين وأربعمائة

267

ذكر قتل الإسماعيلية بما وراء النهر

267

ذكر الخطبة للملك أبي كاليجار وإصعاده إلى بغداد

267

ذكر عدة حوادث

268

سنة سبع وثلاثين وأربعمائة

270

ذكر وصول إبراهيم ينال إلى همذان وبلد الجبل

270

ذكر عدة حوادث

271

سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة

273

ذكر ملك مهلهل قرميسين والدينور

273

ذكر اتصال سعدي بن أبي الشوك بإبراهيم ينال وما كان منه

273

ذكر حصار طغرلبك أصبهان

274

ذكر عدة حوادث

274

سنة تسع وثلاثين وأربعمائة

276

ذكر صلح الملك أبي كاليجار والسلطان طغرلبك

276

ذكر القبض على سرخاب أخي أبي الشوك

276

ذكر ملك إبراهيم ينال قلعة كنكور وغيرها

276

ذكر استيلاء أبي كاليجار على البطيحة

278

ذكر ظهور الأصفر وأسرته

279

ذكر عدة حوادث

279

سنة أربعين وأربعمئة

282

ذكر رحيل عسكر ينال عن تيرانشاه وعود مهلهل إلى شهرزور

282

ذكر غزو إبراهيم ينال الروم

282

ذكر موت الملك أبي كاليجار وملك ابنه الملك الرحيم

283

ذكر محاصرة العساكر المصرية مدينة حلب

284

ذكر الخلف بين قرواش والأكراد الحميدية والهدبانية

284

ذكر عدة حوادث

285

سنة احدى وأربعين وأربعمائة

287

ذكر ظهور الخلف بين قرواش وأخيه أبي كامل وصلحهما

287

ذكر مسير الملك الرحيم إلى شيراز وعوده عنها
288

ذكر الحرب بين البساسيري وعقيل
289

ذكر الوحشة بين طغرل بك وأخيه إبراهيم ينال
289

ذكر الحرب بين دبيس بن مزيد وعسكر واسط
289

ذكر وفاة مودود بن مسعود وفلك عمه عبد الرشيد
290

ذكر استيلاء البساسيري على الأنبار
291

ذكر انهزام الملك الرحيم من عسكر فارس
291

ذكر عدة حوادث
291

سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة
293

ذكر ملك طغرل بك أصبح
293

ذكر عود عساكر فارس من الأهواز وعود الرحيم إليها
294

ذكر استيلاء زعيم الدولة على مملكة أخيه قرواش
294

ذكر استيلاء الغز على مدينة فسا

294

ذكر استيلاء الخوارج على عمان

295

ذكر دخول العرب إلى إفريقية

295

ذكر عدة حوادث

298

سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة

299

ذكر نهب سرق والحرب الكائنة عندها وملك الرحيم رامهرمز

299

ذكر ملك الملك الرحيم اصطخر وشيراز

299

ذكر انهزام الملك الرحيم بالأهواز

300

ذكر الفتنة بين العامة ببغداد وإحراق المشهد على ساكنيه السلام

301

ذكر عصيان بني قرة على المستنصر بالله بمصر

302

ذكر وفاة زعيم الدولة وإمارة قريش بن بدران

303

ذكر عدة حوادث

303

سنة أربع وأربعين وأربعمائة

305

ذكر قتل عبد الرشيد صاحب غزنة وملك فرخ زاد

305

ذكر وصول الغز إلى فارس وانهزامهم عنها

307

ذكر الحرب بين قريش وأخيه المقلد

307

ذكر وفاة قرواش

308

ذكر استيلاء الملك الرحيم على البصرة

308

ذكر ورود سعدي ا لعراق .

309

ذكر عدة حوادث

310

سنة خمس وأربعين وأربعمائة

312

ذكر الفتنة بين السنية والشيعة ببغداد

312

ذكر استيلاء الملك الرحيم على أرجان ونواحيها

312

ذكر مرض طغرلبك

312

ذكر عود سعدي بن أبي الشوك إلى طاعة الرحيم

313

ذكر عود الأمير أبي منصور إلى شيراز

313

ذكر إيقاع البساسيري بالأكراد والأعراب

314

ذكر عدة حوادث

314

سنة ست وأربعين وأربعمائة

315

ذكر فتنة الأتراك ببغداد

315

ذكر استيلاء طغرل بك على أذربيجان وغزو الروم

316

ذكر محاربة بني خفاجة وهزيمتهم

316

ذكر استيلاء قريش بن بدران على الأنبار والخطبة لطغرل بك

بأعماله

317

ذكر وفاة القائد بن حماد وما كان من أهله بعده

317

ذكر ابتداء الوحشة بين البساسيري والخليفة

317

ذكر وصول الغزالي الدسكرة وغيرها

318

ذكر عده حوادث

319

سنة سبع وأربعين وأربعمائة

320

ذكر استيلاء الملك الرحيم على شيراز وقطع خطبة طغرل بك فيها

320

ذكر قتل أبي حرب بن مروان صاحب الجزيرة

320

ذكر وثوب الأتراك ببغداد باهل البساسيري والقبض عليه

ونهب دوره وأملاكه وتأكد الوحشة بينه وبين رئيس الرؤساء

321

ذكر وصول طغرلبيك إلى بغداد والخطبة له بها

322

ذكر وثوب العامة ببغداد بعسكر السلطان طغرلبيك وقبض الملك

الرحيم

323

ذكر عدة حوادث

325

سنة ثمان وأربعين وأربعمائة

327

ذكر نكاح الخليفة ابنة داود أخي طغرل بك

327

ذكر الحرب بين عبيد المعز بن باديس وعبيد ابنه تميم

327

ذكر ابتداء الدولة الملتمين

327

ذكر ولاية يوسف بن تاشفين

329

ذكر تبيض أبي الغنائم بن المحلبان

331

ذكر الواقعة بين البساسيري وقريش

331

ذكر مسير السلطان طغرل بك إلى الموصل

332

ذكر عود نور الدولة دبيس بن مزيد وقريش بن بدران إلى طاعة

طغرل بك

334

ذكر قصد السلطان ديار بكر وما فعله بسنجار

334

ذكر عدة حوادث

335

سنة تسع وأربعين وأربعمائة

337

ذكر عود السلطان طغرل بك إلى بغداد

337

ذكر الحرب بين هزارسب وفولاذ

338

ذكر القبض على الوزير اليازوري بمصر

338

ذكر عدة حوادث

339

سنة خمسين وأربعمائة

341

ذكر مفارقة إبراهيم ينال الموصل واستيلاء البساسيري عليها
وأخذها منه

341

ذكر الخطبة بالعراق للعلوي المصري وما كان إلى قتل
البساسيري

341

ذكر عود الخليفة إلى بغداد

345

ذكر قتل البساسيري

347

ذكر عدة حوادث

348

سنة إحدى وخمسين وأربعمائة

349

ذكر وفاة فرخ زاد صاحب غزنة وملك أخيه إبراهيم

349

ذكر الصلح بين الملك إبراهيم وجفري بك داود

349

ذكر وفاة داود وملك ابنه ألب أرسلان

349

ذكر حريق بغداد

350

ذكر انحذار السلطان إلى واسط وما فعل العسكر وإصلاح ديبس

351

ذكر عدة حوادث

351

سنة اثنتين وخمسين وأربعمئة

352

ذكر عود ولي العهد إلى بغداد مع أبي الغنائم بن المحلبان

352

ذكر ملك محمود بن شبل الدولة حلب

352

ذكر عدة حوادث

353

سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة

354

ذكر وزارة ابن دارست للخليفة

354

ذكر موت المعز بن باديس وولاية ابنه تميم

354

ذكر وفاة قريش صاحب الموصل وإمارة ابنه شرف الدولة

355

ذكر وفاة نصر الدولة بن مروان .

356

ذكر عدة حوادث

356

سنة أربع وخمسين وأربعمئة

357

ذكر نكاح السلطان طغرل بك ابنة الخليفة

357

ذكر عزل ابن دارست ووزارة ابن جهير

358

ذكر عدة حوادث

359

سنة خمس وخمسين وأربعمائة

360

ذكر ورود السلطان بغداد ودخوله بابنة الخليفة

360

ذكر وفاة السلطان طغرل بك

360

ذكر شيء من سيرته

362

ذكر ملك السلطان ألب أرسلان

362

ذكر خروج حمو عن طاعة تميم بن المعز بإفريقية

363

ذكر عدة حوادث

363

سنة ست وخمسين وأربعمائة

364

ذكر القبض على عميد الملك وقتله

364

ذكر ملك ألب أرسلان ختلان وهراة وصغانيا

365

ذكر عود ابنة الخليفة إلى بغداد والخطبة للسلطان ألب أرسلان

ببغداد

366

ذكر الحرب بين أبي أرسلان وقتلمش

367

ذكر فتح ألب أرسلان مدينة اني وغيرها من بلاد النصرانية
368

ذكر عدة حوادث
370

سنة سبع وخمسين وأربعمائة
372

ذكر الحرب بين بني حماد والعرب
372

ذكر بناء مدينة بجاية
373

ذكر ملك ألب أرسلان جند وصيران
375

ذكر عدة حوادث
375

سنة ثمان وخمسين وأربعمائة
376

ذكر عهد ألب أرسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه
376

ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس
376

ذكر ملك شرف الدولة الأنبار وهيت وغيرهما
377

ذكر عدة حوادث
377

سنة تسع وخمسين وأربعمائة

379

ذكر عصيان ملك كرمان على ألب أرسلان وعوده إلى طاعته

379

ذكر عدة حوادث

379

سنة ستين وأربعمائة

381

ذكر عدة حوادث

381

سنة إحدى وستين وأربعمائة

383

ذكر عدة حوادث

383

سنة اثنتين وستين وأربعمائة

384

ذكر عدة حوادث

384

سنة ثلاث وستين وأربعمائة

387

ذكر الخطبة للقائم بأمر الله والسلطان بحلب

387

ذكر استيلاء السلطان ألب أرسلان على حلب

387

ذكر خروج ملك الروم إلى خلاط وأسرته

388

ذكر ملك اتسز الرملة وبيت المقدس

390

ذكر عدة حوادث

390

سنة أربع وستين وأربعمائة

391

ذكر ولاية سعد الدولة كوهرائين شحنة بغداد

391

ذكر تزويج ولي العهد بابنة السلطان

391

ذكر ولاية أبي الحسن بن عمار طرابلس

392

ذكر ملك السلطان ألب أرسلان قلعة فضلون بفارس

392

ذكر عدة حوادث

392

سنة خمس وستين وأربعمائة

393

ذكر قتل السلطان ألب أرسلان

393

ذكر نسب ألب أرسلان وبعض سيرته

394

ذكر ملك السلطان ملكشاه

394

ذكر ملك صاحب سمرقند مدينة ترمذ

395

ذكر قصد صاحب غزنة سكلند

395

ذكر الحرب بين السلطان ملكشاه وعمه قاورت بك

396

ذكر تفويض الأمور إلى نظام الملك

396

ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان

397

ذكر عدة حوادث

401

سنة ست وستين وأربعمائة

403

ذكر تقليد السلطان ملكشاه السلطنة والخلع عليه

403

ذكر غرق بغداد

403

ذكر ملك السلطان ملكشاه ترمذ والهدنة بينه وبين صاحب

سمرقند

404

ذكر عدة حوادث

404

سنة سبع وستين وأربعمائة

406

ذكر وفاة القائم بأمر الله وذكر بعض سيرته

406

ذكر خلافة المقتدي بأمر الله

407

ذكر عدة حوادث

408

سنة ثمان وستين وأربعمائة

410

ذكر ملك الأقسيس دمشق

410

ذكر عدة حوادث

410

سنة تسع وستين وأربعمائة

412

ذكر حصر أقسيس مصر وعوده عنها

412

ذكر عدة حوادث

413

سنة سبعين وأربعمائة

415

ذكر عدة حوادث

415

سنة إحدى وسبعين وأربعمائة

417

ذكر عزل ابن جهير من وزارة الخليفة

417

ذكر استيلاء تتش على دمشق

418

ذكر عدة حوادث

418

سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة

420

ذكر فتوح إبراهيم صاحب غزنة في بلاد الهند

420

ذكر ملك شرف الدولة مسلم مدينة حلب

421

ذكر مسير ملكشاه إلى كرمان

421

ذكر عدة حوادث

421

سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة

423

ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان وأخذها منه

423

ذكر عدة حوادث

423

سنة أربع وسبعين وأربعمائة

425

ذكر خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه

425

ذكر وفاة نور الدولة بن مزيد وإمارة ولده منصور

425

ذكر محاصرة تميم بن المعز مدينة قابس

426

ذكر عدة حوادث

426

سنة خمس وسبعين وأربعمائة

427

ذكر وفاة جمال الملك بن نظام الملك

427

ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة

428

ذكر مسير الشيخ أبي إسحاق إلى السلطان في رسالة

428

ذكر حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها

429

ذكر عدة حوادث

429

سنة ست وسبعين وأربعمائة

430

ذكر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة
ومسير والده فخر الدولة إلى ديار بكر

430

ذكر عصيان أهل حران على شرف الدولة وفتحها

430

ذكر وزارة أبي شجاع محمد بن الحسين للخليفة

430

ذكر قتل أبي المحاسن بن أبي الرضا

431

ذكر استيلاء مالك بن علوي على القيروان وأخذها منه

431

ذكر عدة حوادث

432

سنة سبع وسبعين وأربعمائة

433

ذكر الحرب بين فخر الدولة بن جهير وابن مروان وشرف الدولة

433

ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل

434

ذكر عصيان تكش على أخيه السلطان ملكشاه

435

ذكر فتح سليمان بن قتلمش أنطاكية

435

ذكر قتل شرف الدولة وملك أخيه إبراهيم

436

ذكر عدة حوادث

437

سنة ثمان وسبعين وأربعمائة

439

ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة

439

ذكر استيلاء ابن جهير على آمد

439

ذكر ملكه أيضاً ميافارقين

440

ذكر ملك جزيرة ابن عمر

440

ذكر عدة حوادث

440

سنة تسع وسبعين وأربعمائة

443

ذكر قتل سليمان بن قتلمش

443

ذكر ملك السلطان حلب وغيرها

444

ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مزيد وولاية ابنه صدقة

445

ذكر وقعة الزلاقة بالأندلس وهزيمة الفرنج

445

ذكر دخول السلطان إلى بغداد

448

ذكر عدة حوادث

449

سنة ثمانين وأربعمائة

451

ذكر زفاف ابنة السلطان إلى الخليفة .

451

ذكر عدة حوادث

452

سنة إحدى وثمانين وأربعمائة

454

ذكر الفتنة ببغداد

454

ذكر إخراج الأتراك من حريم الخلافة

454

ذكر ملك الروم مدينة زويلة وعودهم عنها

455

ذكر وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور

455

ذكر وفاة إبراهيم ملك غزنة وملك ابنه مسعود

455

ذكر عدة حوادث

456

سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة

457

ذكر الفتنة ببغداد بين العامة

457

ذكر ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر

457

ذكر عصيان سمرقند

458

ذكر فتح سمرقند الفتح الثاني

459

ذكر عود ابنة السلطان زوجة الخليفة إلى أبيها

460

ذكر فتح عسكر مصر عكا وغيرها من الشام

460

ذكر الفتنة بين أهل بغداد ثانية

460

ذكر حيلة لأمير المسلمين ظهرت ظهوراً غريباً

461

ذكر ملك العرب مدينة سوسة وأخذها منهم

462

ذكر عدة حوادث

462

سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة

464

ذكر وفاة فخر الدولة أبي نصر بن جهير

464

ذكر نهب العرب البصرة

464

ذكر عدة حوادث

465

سنة أربع وثمانين وأربعمائة

466

ذكر عزل الوزير أبي شجاع ووزارة عميد الدولة بن جهير

466

ذكر ملك أمير المسلمين بلاد الأندلس التي للمسلمين

467

ذكر ملك الفرنج جزيرة صقلية

471

ذكر وصول السلطان إلى بغداد

474

ذكر عدة حوادث

475

سنة خمس وثمانين وأربعمائة

477

ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بجان

477

ذكر استيلاء تتش على حمص وغيرها من ساحل الشام

477

ذكر ملك السلطان اليمن

478

ذكر مقتل نظام الملك

478

ذكر ابتداء حاله وشيء من أخباره

480

ذكر وفاة السلطان وذكر بعض سيرته

481

ذكر ملك ابنة الملك محمود وما كان من حال ابنه الأكبر بركيارق

إلى أن ملك

484

ذكر قتل تاج الملك

485

ذكر ما فعله العرب بالحجاج والكوفة

485

ذكر عدة حوادث

486

سنة ست وثمانين وأربعمائة

487

ذكر وزارة عز الملك بن نظام الملك لبركيارق

487

ذكر حال تتش بن ألب أرسلان

487

ذكر وقعة المضيع وأخذ الموصل من العرب

488

ذكر ملك تتش ديار بكر وأذربيجان وعوده إلى الشام

488

ذكر حصر عسكر مصر صور وملكهم لها

489

ذكر قتل اسماعيل بن ياقوتي خال بركيارق

489

ذكر أخذ الحجاج

490

ذكر عدة حوادث

490

سنة سبع وثمانين وأربعمائة

493

ذكر الخطبة للسلطان بركيارق

493

ذكر وفاة المقتدي بأمر الله

493

ذكر خلافة المستظهر بالله

494

ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر وملك تتش حلب والجزيرة وديار
بكر وأذربيجان وهمذان والخطبة له ببغداد

494

ذكر انهزام بركيارق من عمه تتش وملكه أصبحان بعد ذلك

495

ذكر وفاة أمير الجيوش بمصر

496

ذكر وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلي

497

ذكر عدة حوادث

498

سنة ثمان وثمانين وأربعمائة

500

ذكر دخول جمع من الترك إفريقية وما كان منهم

500

ذكر قتل أحمد خان صاحب سمرقند

501

ذكر ما فعله يرسف بن آبق ببغداد

502

ذكر الحرب بين بركيارق وتتش وقتل تتش

502

ذكر حال الملك رضوان وأخيه دقاق بعد قتل أبيهم

503

ذكر وفاة المعتمد بن عباد

504

ذكر وفاة الوزير أبي شجاع

505

ذكر الفتنة بنيسابور

506

ذكر عدة حوادث

506